



الملَكُوكَ الأَرْدَنِيَّةُ العَاصِمِيَّةُ

مَجَلَّةُ
مَجَمِعِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَرْدَنِيِّ



المملكة الأردنية الهاشمية



مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanarb.com

مجَّالَةٌ
مِجَمْعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَرْدُنِيِّ

المجلد الأول
كتابون الثاني ١٩٧٨ م.

المجلد الأول
صفر ١٣٩٨ هـ



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com

كلمة العدد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استهلال

يسعدنا ان نقدم الى العالم العربي هذا العدد الأول من (مجلة مجمع اللغة العربية الاردني) ، راجين ان تستمر اعداد هذه المجلة بعد اليوم في طريقها ، بجهود المخلصين من ابناء هذه الامة العربية المجيدة ، الحريصين على لغة الضاد العزيزة ، وعلى خدمة النهضة العلمية في وطننا العربي الكبير .

لقد مضى على تأسيس مجمعنا الاردني عاماً وبعض العام ، بعد أن تغلب على بعض الصعاب التي اعترضت سبيله في بدايته ، وقد أصبح في وسعه الان ان يمضي قدماً في تحقيق الأهداف السامية التي قام من اجل تحقيقها في خدمة اللغة العربية ، والمشاركة في خدمة التراث العربي والاسلامي الزاهر ، والحضارة العربية المعاصرة .

ومجتمع يضم جهوده المتواضعة الى جهود اشقائه من الجامع العربية العربية ، بعد ان أصبح عضواً في اتحاد الجامع ، وبعد ان استكمل عنده ، واصبح موضع امل في ان يعمل عملاً فعالاً مثمراً في نادية رسالته العلمية واللغوية .

ونحن نؤمن بان **المجلة** ركن من اركان العمل الجمعي لا غنى عنه ، تستقطب جهود اهل الاعلام من اهل الفكر ، من الاخوة العرب ، ومن الزملاء المستشرقين ؛ فالمجلة هي صوت المجتمع وصوت سنتنا

اللغة العربية والتراث العربي والاسلامي معاً . ونحن نأمل ان يؤدي
هذا الصوت الامانة التي يرتفع لناديتها ، بجدارة وكفاءة وصدق .

لقد بذلت جهداً خيراً من اجل ان يكون هذا العدد الاول جديراً
بمكانه في استهلال صدور المجلة ، ولكننا نعلم ان الكمال لله وحده .
ولهذا نرجو أن يكون لنا من سامح الاخوان وتقديرهم ما يغفر عن
النقص، وما يحفز على المضي قدماً لما نرجو ، ويرجون منا ، من
الكمال الممكن .

والله ولست التوفيق .

مقرر لجنة المجلة
نائب رئيس المجمع
الدكتور محمود السمرة



ابن رشد في أدبَه

للدكتور عبد الكرييم خليفة
رئيس المجمع

مقدمة

تهدف هذه الدراسة الى القاء الضوء على جانب مهمٍ من جوانب إنتاج عُلَمٌ من اعلام الفكر في حضارتنا العربية الإسلامية ؛ وهذا الجانب يتمثل في « أدب » ابن رشد ، وهو واحد من أشهر الكتاب ومن أكثرهم خصباً وانتاجاً .

وان هذه الدراسة شائكة في نظرنا ، وذلك لصعوبة الفصل بين مجال الفكر والفلسفة من ناحية ، والأدب من ناحية أخرى . مان مفاهيم الأدب وتعريفاته تتعدد وتختلف باختلاف الاتجاهات الفكرية والثقافية والاجتماعية عند الباحثين . وربما كان أهمّ من ذلك كله أن نصل الى مفهوم الأدب عند الكاتب ذاته . ليس من السهل ان تحدد مفهوم الأدب عند ابن رشد ، دون النظر في فلسنته وهي ملهمة الأدب عند معلميه الأول « أرسطو » .

ليس من الخطأ أن تعتبر مفهوماً واحداً للأدب ، تحاول إتحامه على جميع أنشطة الفكر الإنساني ؟ ... الا تتدخل مفاهيم الأدب هذه بالواه ومحاذه ؟ ..

لا شك أن هناك فرقاً كبيراً بين أدبِ واقعيٍ تحتل فيه جذبة الفكر مكانة ممتازة ، وأدبٌ لا يُضفي عليه الأديب رونق النكهة والظرف .

لقد كان ابن رشد جداً ، وكانت درايته اغلب عليه من الرواية . وبلغت جذبيته الى الحد الذي عبر عنه صاحب كتاب التكميلة بقوله : « ... وعني بالعلم ومن صفره الى كبره، حتى حكى عنه انه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل الا ليلة وفاة أبيه ، وليلة بنائه على اهله وانه سُوَدَ في ما منَّفَ وتيَّدَ وَلَفَ وَهَذَبَ واختصر نحواً من عشرة آلاف ورقة . ومال الى علوم الاولى، فكانت لم نيتها الامامة دون اهل

عصره » (١) . ونحن لا يهمّنا في هذا المجال مدى دقة هذه الرؤاية ، ولكنَّ ما توحّي به من نظرية ابن رشد الجادة إلى الحياة وتحكيمه العقل ، وذلك بفضلة الدراسة عنده على الرواية ...

فإذا نظرنا مثلاً إلى المساجلة الفكرية باعتبارها أحد الفنون الأدبية الراقية ، الا يتحقّق لنا أنْ تصبِّت في إطارها تلك المساجلة التي دارت بين ابن رشد والغزالى ؟ فقد وصفها العقاد بقوله : « فلم يحفظ لنا تاريخ الفكر مساجلة بين حكيمين في قوة المساجلة التي دارت بين ابن رشد والغزالى ، ومضاء سلاحها ، ونفاذ حججها وبراهينها ... » (٢) .

وهنا يشير الكاتب في الواقع إلى معركتين فكريتين ما زالا اثرهما العميق في التفكير الفلسفى الإسلامى . فقد أشار الأولى الغزالى في كتابه : « تهافت الفلسفه » وأشار الثانية ابن رشد بكتابه : « تهافت التهافت » .

وبالرغم من أن ابن رشد قد ذاع صيته لدى الافرنج في مجالين اساسيين من المعرفة ، هما الطبُّ والفلسفة ، فـان جوانبه الفكرية والثقافية الأخرى لم تكن أقل إشراقاً ؛ فهو على حد تعبير بعض الروايات ، كما سترى فيما بعد : « كان يُفْزَعُ إلى فتواه في الطبِّ كما يُفْزَعُ إلى فتواه في الفقه ، مع الحظ الوافر من الاعراب والأداب » (٣) .

وإن الدارس للحركة العلمية في ذلك العصر ، لا يُعجب من هذا كلَّه ، فقد عاش ابن رشد في بيئه علمية عالية جمعت مشاهير عصره ، يعينه في ذلك طبع مؤاٍ واستعداد فطريّ أصيل .

اما في مجال الحركة العلمية في الاندلس ، ورغبة اهلها في العلم ، فنحن نستذكر ما اورده المقري ، اذ قال : « واما حال اهل

(١) التكملة ، ج ٢ ، من ٥٥ .

(٢) العقاد ، من ٥٥ .

(٣) لسرج ، من ٢٧ .

الأندلس في فنون العلم ، فتحقيق الانتصاف في شأنهم في هذا الباب ، انهم احرص الناس على التمييز ؛ فالجاهل الذي لم يوثقه الله للعلم بجهد ان يتميّز بصنعه ، ويربا بنفسه ان يُرى فارغا عالة على الناس ، لأن هذا عندهم في غاية القبح ؛ والعالم عندهم م معظم من الخامسة والعاشرة ... فالعالم منهم بارع ، لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه ، يجعله على ان يترك الشغل الذي يستفيد منه ، وينفق ما عنده حتى يعلم . وكل العلوم لها عندهم حظ واعتاء الا الفلسفة والتنجيم ، فان لهما حظا عظيما عند خواصهم ، ولا يُتَظَاهِرُ بهما خوف العامة . فاته كلما قيل « فلان يقرأ الفلسفة » او « يشتغل بالتنجيم » اطلق على اسم زنديق ، وقيئت عليه اتفاسه . فان زل في شبهة رجموه بالحجارة او حرقوه قبل ان يصل امره للسلطان ، او يقتله السلطان تقربا لقلوب العامة . وكثيرا ما يأمر ملوكهم باحرق كتب هذا الشأن اذا وجدت ... » ^(٤) .

إن ظاهرة التضييق على حرية الفكر ، التي أشار إليها المقرري ، قد أصابت بهمها ابن رشد ذاته في محنته التي حلّت به في أخريات عمره ؛ وإن هذه الظاهرة لم تكن في الحقيقة لتنحصر على الأندلس ، بل امتدت من مشرق دار الإسلام إلى مغربه الأقصى ، وذلك في مرات معينة .

ولو القينا نظرة على احداث الفترة الزمنية التي لقى بها ابن رشد محنته ، لوجدنا أمثلة كثيرة في هراء وواسط ودمشق وبغداد ^(٥) .

اسمها ونسبه وكنيته :

هو محمد بن أبي القاسم أحمد ابن أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد ، يكنى أبا الوليد . وهو حميد قاضي الجماعة بقرطبة . ^(٦) .

(٤) النسخ ، ج ١ ، ص ٤٥٠ .

(٥) انظر العبر ، ج ٤ ، ص ٢٨٥ .

(٦) النباهي ، من ١١١ . انظر : ابن أبي اصميحة ، من ٥٣٠ ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

ولد بقرطبة سنة ٥٢٠ هـ ١١٢٦ مـ . وادرك من حياة جده
شهرًا سنة عشرين ^(٧) . وقد اشتهر في أوروبا في القرون الوسطى
باسم AVEROES ^(٨) .

نشأ ابن رشد في بيت علم وفضل ، وكان أبوه أحمد بن محمد بن
أحمد بن رشد أبو القاسم ، قد تولى القضاء ^(٩) . وتتحقق المصادر
عن نشأة أبي القاسم هذا ، فنقول : «إنه من أهل بيت فقه وعلم » ^(١٠) .
وربما ساهمت شهرة ابن رشد الحفيد وابن رشد الجد ، في تلة
المعلومات التي وصلتنا عن أبي القاسم . وتوفي والد ابن رشد سنة
٥٦٢ هـ ^(١١) . وهذا يعني أن الأديب الفيلسوف ابن رشد ، قد
ذاعت شهرته العلمية في حياة والده .

اما جده محمد بن أحمد بن رشد ^(١٢) ، فهو اصله
من بلدة سرتسطة ^(١٣) . وكان قاضي الجماعة بقرطبة ، وصاحب
الصلاوة بالمسجد الجامع بها ، يكنى أبا الوليد ... وكان قطبها ، عالما
حافظا للفقه ، متذمما فيه على جميع أهل عمره ، عارفا بالفتوى
على مذهب مالك واصحابه ، بصيراً باقوالهم وآثاراتهم واختلافهم ،
نافذا في علم المرائض والأصول ، من أهل الرياسة في العلم والبراعة
والفهم مع الدين والفضل والوقار والحلم والسمت ، والمدي الصالح .
ويستمرّ صاحب كتاب الملة فيقول : «سمعت الفقيه أبا مروان
عبد الملك بن مسرة صاحبنا أكرم الله ، ومكانه من العلم والفضل
والثقة مكانه ، يقول : شاهدت شيخنا القاضي أبا الوليد رحمة
الله يصوم يوم الجمعة دائمًا في الحضر والسر » ^(١٤) .

(٧) العبر ، ج ٤ ، من ٢٨٧ ، شذرات الذهب ، ج ٢ ، من ٢٢٠ .

(٨) Encyclo . Vol. II . P. 410 - 413

(٩) المصدر نفسه .

(١٠) بنيّة الملensis ، من ١٥٦ .

(١١) المصدر نفسه .

(١٢) النباهي ، من ٩٨ .

(١٣) الملة ، ج ٢ ، من ٥٧٦ ، من ملخص الأمل ، قال مير بن دحية : أصله
من بلدة سرتسطة .

(١٤) الملة ، ج ٢ ، من ٥٧٦ : النباهي ، من ٩٨ .

ولد أبو الوليد ابن رشد (الجد) في شوال سنة ٥٠ هـ. (١٥). وقد روى عن أبي جعفر أحمد بن رزق الفقيه، وعن أبي مروان ابن سراج، وأبي عبد الله بن خيرة، وأبي عبد الله محمد بن فرج، وأبي علي الفساني، وأجاز له أبو العباس العذري ما رواه (١٦).

وتقىد أبو الوليد القضاء بقرطبة، وسار فيه على حد تعبير الرواية، بمحسن سيرة واقوم طريقة، ثم استعن به ناعف؟ ونشر كتبه وتوليه ومسائله وتصانيفه (١٧). ومن توليه كتاب المقدمات لأوائل كتب المؤونة، وكتاب البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليق، واختصار المسوطة، واختصار مشكل الآثار للطحاوي إلى غير ذلك من توليه. ويعقب على ذلك صاحب كتاب الصلة بقوله: «سمعنا عليه بعضها، وأجاز لنا سائرها» (١٨).

ومن مؤلفاته أيضاً، «الفتاوی» (١٩)، فقد جمع ابن الفران، شيخ الجامع الكبير في قرطبة، فتاوى أبي الوليد ابن رشد (الجد)، في كتاب خطى (٢٠). ولا شك أن هذه المكانة العلمية الرفيعة التي كان يشغلها الجد، قد كان لها آثارها العديدة وطوابعها الواضحة في شخصية ابن رشد (الحفيظ) وتكونه العلمي والثقافي. وتوفي أبو الوليد ابن رشد (الجد)، ليلة الأحد، ودفن عشي يوم الأحد الحادي عشر من ذي القعدة سنة عشرين وخمسين، ودفن بمقدمة العباس، وصلّى عليه ابنه أبو القاسم، وشهده جموع عظيم من الناس؛ وكان الثناء عليه حسناً جميلاً (٢١). وهكذا فقد ولد أبو

(١٥) الصلة، ج ٢، من ٥٧٧.

(١٦) المصدر نفسه.

(١٧) النباضي، من ١١، الصلة، ج ٢، من ٥٧٧.

(١٨) الصلة، ج ٢، من ٥٧٧.

(١٩) الأسلام، ج ٦، من ٢١٠.

(٢٠) يوجد هذا المخطوط، على حد رواية الجامعة / لوح أنطون، من ٨ في مكتبة باريس وقد نقل إليها من دير سان بيكتور مس أسبانيا.

(٢١) الصلة، ج ٢، من ٥٧٧.

الوليد ابن رشد (الخديد) سنة ٥٢٠ هـ. بقرطبة ونشأ فيها ، في بيت ملِمْ ونَضْلَ، مما كان له أكبر الأثر في تكوينه الفكري والثقافي .

مجريات حياته :

ولد ابن رشد بقرطبة سنة ٥٢٠ هـ. ، ونشأ فيها حيث درس الفقه والطب وملحوم الأوائل ، وتلذمذ على مشاهير علمائها ... وفي سنة ٥٤٨ هـ. نراه في مراكش ، حاضرة الدولة الموحدية التي بسطت سلطانها على الاندلس والمغرب . وربما كان ابن طفيل ، المفكّر المشهور ، وطبيب البلاط الموحدي، هو الذي أشار عليه بالقدوم إلى عدوة المغرب ؛ إذ قام ابن طفيل بتقديم « ابن رشد » الشاب إلى أبي يعقوب يوسف سلطان الموحدين ؛ وتروي لنا المصادر قصة هذه المقابلة التي كان من نتائجها حتّى ابن رشد بوضع شروحٍ مُيسّرة لارسطو ... (٢٢) .

وتعاقبت الأحداث في حياة ابن رشد ... ففي سنة ٥٦٥ هـ. تولى القضاء بأشبيلية ، وبعد ذلك سنتين أصبح قاضي قرطبة . وبالرغم من مشاغله الكثيرة ، فقد ألفَ أهمّ كتبه في هذه الفترة ..

وفي سنة ٥٧٨ هـ. استدعاه يعقوب المنصور ، الذي خلف أباه يوسف ، لكي يصبح طبيبه بمراكش ، فقد تقدمت السن كثيراً بابن طفيل . ولم يلبث ابن رشد طويلاً في البلاط الموحدي ، إذ نراه بعد فترة قصيرة يعود إلى قرطبة ، لكي يشغل فيها منصب قاضي القضاة .
كان ابن رشد ذا حظوة عند خليفة الموحدين ، يعقوب المنصور ، في بداية الأمر، ثم مالبث أن نقم عليه ، بعد أن أتهم بالزنقة . فامر الخليفة بحرق كتب الفلسفة ، ما عدا كتب الطب والحساب ، وفرض على ابن رشد أن يقيم في « اليسانة » وهي بلدة قريب من قرطبة ، كانت أولاً لليهود ، وإن لا يخرج عنها (٢٢) . وقد نقم السلطان أيضاً

(٢٢) انظر : Encyclo . Vol. II , P. 410 - 413

(٢٢) انظر : ابن أبي اصيحة ، ص ٥٤٤ .

على جماعة اخرى من الفضلاء الاعيان ، وامر ان يكونوا في موضع اخر ، واظهر انه فعل لهم ذلك بسبب ما يُدَعِّى لهم انهم مشتغلون بالحكمة وعلوم الاولئ . وهم ابو جعفر الذهبي، والقفيه ابو عبد الله محمد بن ابراهيم، قاضي بجية، وابو الربيع الكنيف ، وابو العباس الحافظ الشاعر القرابي .^(٢٤)

وفي الحديث عن نهاية محبة ابن رشد ورفاته يقول ابن ابي اصيمية : « ويقوا مدة ثم ان جماعة من الاعيان باشبيلية شهدوا لابن رشد انه على غير ما نسب اليه ، نرضي المنصور عنه وعن سائر الجماعة ، وذلك في سنة خمس وتسعين وخمسين ، وجعل ابا جعفر الذهبي مزوارا للطلبة ومزارا للأطباء »^(٢٥) .

وقد اورد « رينان » قطعة من سيرة ابن رشد للأنصارى (ولق مخطوط المكتبة الامبراطورية ملحق عربى سنة ٦٨٢ ، من ٧) جاء فيها عن محبة ابى الوليد :^(٢٦)

« فكمدت سوق السعاليات ، وضرب عن كل طالب ومطلوب ، والاعداء كانوا لا يسامون من الانتظار ، ويرقبون أوقات الضرار ، فلما كان التلوم من المنصور بمدينة قرطبة ، وامتد بها امد الاقامة ، وانبسط الناس لمجالس المذاكرة ، تجدت للطلابين آفاقهم ، وتوى تالبهم واسترسالهم ، فادلوا ب بذلك الالقيات ، وأوضحوا ما ارتبوا فيه من تشريع السوءات ، المحاجة لابى الوليد كثيرا من الحسنات . فغرت بالجلس ، وتدوّلت اغراضها ومعانيها وقواعدها ومبانيها ، فخرجت بما دللت عليه اسوا مخرج . وربما ذيلها مكر الطالبين ، فلم يكن عند اجتماع الملا الا المدانة عن شريعة الاسلام ؛ ثم آثر الخلية نضيلة الابتاء ، وأغمد السيد التماس جميل الجزاء ، وامر طلة مجلسه وفقهاء دولته بالحضور بجامع المسلمين ، وتعزيز الملا بأنه مرق من الدين ، وانه استوجب لعنة الصالين . واضيف اليه القاضي ابو

(٢٤) المصدر نفسه .

(٢٥) انظر : ابن ابي اصيمية ، من ٥٢٢ .

(٢٦) انظر : رينان ، من ٣٨٤ - ٣٨٥ .

عبد الله ابن ابراهيم الاصولي في هذا الازدحام ، وله معه في حريق هذا الملام ، لأشياء ايضا نسبا نسبت عليه في مجالس المذاكرة ، وفي اثناء كلامه مع تواли الايام ... » ثم يستمر الاتصاري في الحديث عن الاجتماع بالجامع الاعظم بقرطبة ، الى ان يقول : « فنالهم ما شاء الله من الجفاء ، وتفرقوا على حكم من يعلم السر واخفي ؟ ثم امر أبو الوليد بسكنى البستانة ، لقول من قال : انه ينسب فيبني اسرائيل ، وانه لا يُعرف له نسبة في قبائل الاندلس ... » ثم يتتابع الحديث عن ابن رشد وصاحبه الذي لفه الحرير معه فيقول الاتصاري « وليس في زمانهما من بكمالهما ولا من نسج على منوالهما ، وتفرق تلاميذ أبي الوليد ايدي سباء » (٢٧)

ومن الواضح ان هناك اسبابا خلية قد دفعت الى نكبة ابن رشد : فالاتصاري مثلا يواصل حديثه فيقول : « وينظر ان من اسباب نكبه هذه اختصاصه بابي يحيى اخي المنصور والي قرطبة ». وقد اورد ابن ابي اصيبيحة اسبابا اخرى . قال القاضي ابو مروان : « وممّا كان في قلب المنصور من ابن رشد انه كان متى حضر مجلس المنصور ، وتكلّم معه او بحث عنده في شيء من العلم يخاطب المنصور بان يقول : تسمع يا اخي . وايضا فان ابن رشد كان قد صنّف كتابا في الحيوان ، وذكر فيه انواع الحيوان ، ونعت كل واحد منها . فلما ذكر الزرافة وصفها ثم قال : « وقد رأيت الزرافة عند ملك البربر » يعني المنصور . ولما بلغ ذلك المنصور صعب عليه ، وكان احد الاسباب الموجبة في اتهامه نقم على ابن رشد وابعده ... » (٢٨) .

وكانت هذه المحنّة التي اصابت ابا الوليد ، مناسبة اغتنمتها خصومه للتشنيع عليه (٢٩) .

وبعد عودة الخليفة المنصور الى مراكش ، ما لبث ان عفا من ابن رشد ورفاقه واستدعاه اليه . ولكن ما لبث ابن رشد ان

(٢٧) انظر : المصدر نفسه .

(٢٨) ابن ابي اصيبيحة ، من ٥٤٢ .

(٢٩) انظر : النباعي ، من ١١١ ، وشنان ، من ٤٣٧ - ٤٤٤ .

توفي فيها ، بعد ذلك بقليل ؟ فكانت وفاته كما أوردها الانصاري ، ليلة الخميس التاسعة من صفر سنة خمس وستين وخمسة عشر موقتاً عاشر دجنبر . ودفن بجبانة باب تاغزوت . وبعد ثلاثة أشهر حمل إلى قرطبة ، ودفن بها في روضة سلفه بمقدمة ابن عباس (٢٠) .

شخصية ابن رشد وأثرها في أدبه :

كان لشخصية ابن رشد أثراً عميقاً في أدبه فقد طبعته بطبع العمق والجدية ، ونات به عن الفنون الأدبية التقليدية ؛ ولا عجب إذا رأينا العقلانية والواقعية تطبعان أدبه وانتاجه الفكري في جميع فنون المعرفة ، ولذا كانت الدراسة أغلب عليه من الرواية (٢١) .

فهي أبو الوليد ابن رشد بالعلم من صفره إلى كبره ، وكانت لهذه الحياة الجادة آثاراً في تكوين شخصيته . وكان على حد تعبير بعض الروايات ، على شرفه ، أشد الناس تواضعاً وألطفهم جناحاً (٢٢) . ويورد ابن أبي اصيحة حينما للقاضي أبي مروان الباقي يقول : « كان القاضي أبو الوليد ابن رشد حسن الرأي ، ذكيّاً ، رث البزة ، قويّ النفس » .. (٢٣) .

كان لهذه المقومات الشخصية أثراً بعيداً في حياة ابن رشد ، وما تركته من طوابع مميزة في أدبه . نكان إلى جانب السيرة الحميدة ، قد وهب ذاته للعلم والمعرفة ، وقصّر حياته على خدمة وطنه .

هذا صاحب التكلمة يتحدث عن هذه الجوانب في شخصية ابن رشد فيقول : « وولى قضاء قرطبة بعد أبي محمد بن مفیث محمد سيرته ، وتأنلت له عند الملوك وجاهة عظيمة ، لم يصرنها في ترفيع حال ، ولا جمع مال ، إنما قصرها على مصالح أهل بلده خاصة ، ومنافع أهل الأندلس عامة (٢٤) . وكان إلى ذلك كلّه »

(٢٠) انظر : ربستان ، من ٤٤٢ .

(٢١) انظر : التكلفة ، ج ٢ ، من ٥٥٤ .

(٢٢) المسرد نفسه .

(٢٣) ابن أبي اصيحة ، من ٥٣١ .

(٢٤) التكلفة ، ج ٢ ، من ٥٥٤ .

سمحاً كريم النفس، فكان يبذل العطاء لُقْصاده ، ويُلام أحياناً على البذل لمن لا يُحِبُّونه ولا يُكْفَّرون عن اتهامه فيقول : إنَّ اعطاء العدو هو الفضيلة ، أما اعطاء الصديق ، فلا فضل فيه . وقد أعطى مرة رجلاً أهانه ، وحُثِّره من فعل ذلك بغيره لأنَّه لا يأمن بوادر غضبه^(٢٥) .

وإذا كان ابن رشد متساماً في أمر نفسه ، فإنه لم يكن متساماً في أمر غيره ؟ ومن ذاك قصته مع الشاعر ابن خروف حين هجا إبا جعفر الحميري العالم المؤدب ، فقد أوجع الشاعر ضرباً واندره ألا يعود لتلها .

كانت شخصية ابن رشد مطبوعة على مزاج التيلسوف الحكيم ، تناهى به عن الاتجاه إلى تلك الفنون الأدبية والفنية ، في الطرف والنغم والابيقاع ، كما كان الشأن مع جلة حكماء ذلك العصر وأطيانه ، مثل ابن طفيل، وابن باجة، وابن زهرة وغيرهم . وهكذا كان ابن رشد يحسن المساجلة ولا يحسن المندامة . ولا يبالغ تزييف لغة « البلاط » في سبيل تحقيق لغة العلم، ورفع الكلفة من مجالس الباحثين فيه^(٢٦) . وربما كانت هذه الصفات من الأسباب الخفية التي أدت إلى التكيل بهذا المكر الإسلامي العظيم .

لقد اجمع أكثر الدارسين لابن رشد على وصفه بأنه « أكثر فُرُّاج مؤلفات أرسطو عمقاً »^(٢٧) . كان ابن رشد معجباً لعجبات كله بالمعلم الأول « أرسطو » .

ولكن يبقى السؤال الضخم أمام دارس أدب ابن رشد ، وهو : إلى أي حد تأثر ابن رشد شخصياً بآراء أرسطو ولمساته في الأخلاق والسياسة والخطابة والشعر ؟ وبعبارة أخرى نحن نتساءل إلى أي حد نستطيع أن نعتبر هذه الآراء تأثراً ملائكة ابن رشد واتجاهاته في فهم العلوم والآداب ؟

(٢٥) انظر : العقاد ، من ١٩ .

(٢٦) انظر : العقاد ، من ٢٦ .

(٢٧) انظر : بين الدين والفلسفة ، من ٤٨ .

وما لا شك فيه ان هنالك عاملين اساسيين أثرا في منهومه المتميز للأدب ، وهذان العاملان هما، شخصيته الجادة ، وتكوينه الثنائي ، واحتفاله بعلوم الأوائل بانصرافه الى دراسة ارسطو والتعميق بشرح فلسنته وآرائه .

وان نظرة شاملة في مؤلفات ابن رشد (٢٨) تظهر لنا الطابع العقلاني لادب ابى الوليد : فمؤلفاته بصورة عامة يمكن تقسيمها الى اربعة اقسام : هنالك شروح او مصنفات فلسفية وعلمية ، وشروح او مصنفات طبية ؟ وكذلك هنالك مصنفات كلامية وفقهية ، ومصنفات ادبية ولغوية .

وكان مجال التأليف عند ابن رشد قد تأثر بطبيعة نظرته الفلسفية ^٤ فقد حرص دائما على تأكيد ذلك المذهب الفلسفي الذي تميزت به الفلسفة العربية في الانطس خاصه ، والذكر العربي بصورة عامة ؟ وفحواه تقسيم الاقتبسة الى ثلاثة اصناف : برهانية وجدلية وخطابية . وبناء على ذلك يقسم الناس الى فئات او طبقات ثلاثة مترابطة : هم اهل البرهان ، مالجذليون ، مالخطابيون . وهو يعني باهل البرهان الفلسفية او الخاصة ، وبالخطابيين جمهور الناس الغالب او العامة ، وبالجذليين طائفة من الناس هي دون الفلسفة مرتبة ، الا انها مع ذلك تتميز عن الجمهور ، هم المتكلمون (٢٩) .

وربما يُسئل على دارس مؤلفات ابن رشد ، بعد هذا ، ان يصنفها ولق هذه الاقتبسة . نحن نعتقد مثلا أن كتابة « تهافت التهافت »

(٢٨) في مؤلفات ابن رشد انظر : ابن ابى اصيمية ، من مجموع مؤلفات ابن رشد ، من ٥٢٢ ، النكبة ج ٤ ، من ٦٢٦ - من ٥٥٥ ، الذعير ، من ٧٦ - ٩٢ وما من اكبر القوائمه خبطا وتفصيلا ؟ وهناك نشرة ادب « بونسج » من مخطوطات ابن رشد الموجودة في اتحاد العالم . وقد اشارت المادر ايسنا الى تلك القائمة المهمة التي تحوي مؤلفات ابن رشد في المخطوطات رقم ١٨٨ ، بمكتبة الاسكندرية بالسباطية .

(٢٩) انظر : مخري ، من ٢٣ .

هو مساجلة اببية قام باثنائها بمحض دقيق، وتأويل عبق متبصر لكتاب « تهافت الفلسفة » للغزالى . فهو ينعي بحرارة على الفرزالى حين يصرّح بأنه لم يقصد من تهافتة بيان الحق في نفسه ، وإنما قصد التشويش على الفلسفة ، ونزع الثقة بهم ... (٤٠) . وكذلك تستطيع أن تدرج في إطار الأدب ، وفق منهوم ابن رشد ، كتابه الذي سياه « نصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال »، وكتاب « منهاج الأدلة في علم الأصول »... وغيرها ، دون أن نضع حداً فاصلاً بين علم الكلام وأثره في الأدب .

اما في مجال اللغة ، فقد اشارت المصادر إلى « كتابه في العربية الذي سمه بالضروري » (٤١) . وكذلك كتابه في الكلام على الكلمة والاسم المشتق (٤٢) . وهكذا تستطيع القول إن مجاله الأدبي قد أتسم بتلك المعركة الفكرية التي تركت أثرا عميقا في التفكير الإسلامي ؟ هذا مع العلم ان الفلسفة الأدبية لم تشغل سوى حيز صغير من مذهب هذا الفيلسوف ، بازاء فلسنته المائية . فقد كان الخلاف ، بينه وبين المتكلمين في الفلسفة الأدبية، شبيها بالخلاف بينه وبينهم في فلسنته الطبيعية (٤٣) .

لقد كانت شخصية ابن رشد واضحة مميزة في أدبه، وفي اجتهاده الفكري، وفي فلسنته . وإن تصانيفه التي سُمِّيَّت بالشرح ، كانت على مستويات مختلفة من حيث المنهج والغاية التي يرمي إليها . وهو في ذلك كله كان يميز أحيانا ، حتى في هذه الشروح ، بين رأيه ورأي المتن الذي يشرحه .

وهكذا فإن شخصية هذا القاضي الفيلسوف ، التي طبعت على الجد ، قد تركت آثارها العميقة في منهومه للأدب . فقد كان

(٤٠) انظر : بين الدين والفلسفة ، ص ١٩٧ .

(٤١) التكلفة ، ج ٢ ، من ٥٥ .

(٤٢) انظر : رينان ، من ٦٠ .

(٤٣) انظر : لرح ، من ٥٨ .

يتعرّف عن حضور مجالس اللهو والطرب ، مما استباحه جملة من علماء عصره وحكمائه . وقد بلغ من تعقّنه عما لا يراه خليقاً بعلمه ومكانه من القضاء انه ، « احرق شعره الذي نظمه في الغزل أيام شبابه » . وبذلك ، مع الاسف ، حُرم الدارسون من مصدر مهم من مصادر دراسة أدبه وحياته .

وفي هذا الاطار العقلاني لنهوم الأدب ، وتقطيعه هذا الجانب على الجانب الفني ، نورد الرواية التالية :

قال أبو النفل التقاشي : جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب بين التقىه أبي الوليد ابن رشد والرئيس أبي بكر ابن زهر ، فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة : ما ادرى ما تقول ، غير انه اذا مات عالمٌ باشبيلية ، فاريدَ بِيُمْ كَبَهْ حُجِّلَتْ الى قرطبة حتى تُبَاعُ فِيهَا ، وإن مات مطرب بقرطبة فاريدَ بِيُمْ آلتَهْ حُجِّلَتْ الى اشبيلية « (٤) » .

ارتباط الأدب عند ابن رشد بالحقيقة والمعرفة :

نظر ابن رشد الى الأدب نظرة شاملة وميّنة ، وقد هم رسامته الأدبية من خلال اتجاهين أساسين استغرقا حياته الأدبية كلّها . وهذا الاتجاهان يتباينان بالبحث عن الحقيقة وواجب الوجود ، من ناحية ، وعن المعرفة التي هي عبادة للخلق ؟ ويلتقي ابن رشد في ذلك مع الفارابي وغيره من المفكرين المسلمين الذين يعتبرون البحث عن المعرفة عبادة للله سبحانه وتعالى وتسبيحه في ملكته . ولنستمع الى ابن رشد في هذه العبارة التي حُنْفَتْ على حد تعبير « رينان »، من شرح ما بعد الطبيعة في الطبيعتين اللاتينية ، وقد ترجمها مسيو « منك » من العبرية .

قال ، قال ابن رشد : « يقوم دين الفيلسوف الخاص على دراسة ما هو كائن ؟ وذلك لأن ارفع عبادة يمكن ان يعبد الله بها ، تقوم

على معرفة ما صنع ، لما يُؤدي إليه هذا من معرفتنا إياه على حقيقته كلها . وهذا هو أصلع الأعمال عند الله ... »^(٤٥) .

اتجه ابن رشد إلى البحث عن الحقيقة ، تاركاً لنا في ذلك نتاجاً خصباً وأدباً رفيعاً يقع على حد تعبير بعض الروايات « في حوالي عشرة آلاف ورقة .

وهو في بحثه من الحقيقة ، كان له موقف متميز عن المسائل الكبرى التي أثارت الجدل في مصره وفيها نلاه من القرون الوسطى . فقد شار الجدل حول مسألة قدم العالم ، ومسألة علم الله بالجزئيات ، ومسألة النفس وبقائها ؟ هذا فضلاً عن مسائلتين آخريتين ، شار حولهما الجدل واحتدم ، وهما : مسألة الصفات الالهية ، ومسألة الحقيقتين . والمسألة الأخيرة مؤداها أن حقيقة الشرع وحقيقة العلم والحكمة شيء واحد ، يختلف في العبارة ولا يختلف في الجوهر . وقد كُلِّلت هذه القضية اقتلام الكتاب والمكررين في ذلك العصر . نوضع ابن طفيل قصته المعروفة « حي بن يقطان » ووضع ابن رشد كتابه الموسوم « نصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » . ملحوظة التي أملت على ابن طفيل قصته ، هي ذاتها التي أملت على ابن رشد كتابه . وإن الفرق بين الأسلوبين يعود إلى الفرق بين ↑ شخصيَّتي الكاتبين .

نابن طفيل ، كما يبدو من أخباره وأثاره ، صاحب مزاج طريف ، يُحسن فنَّ المنادمة والمساءلة ، في حين أن شخصية ابن رشد الجادة ، ونظرته العقلانية إلى الأشياء ، قد تردد أصداوها في أبهه ، مما حدا بين ترجموا له بوصفه بـ« ابن الدراءة » كانت أغلب عليه من الرواية^(٤٦) . وكان وصفه هذا في مجال الفقه ، ولكنه ينسحب بطبيعة الحال على حياته الثقافية والنكرية كلها . فقد تميز ابن رشد منذ وقت مبكر في

^(٤٥) رينسان ، ص ١٧٦ .

^(٤٦) التكملة ، ج ٢ ، ص ٥٥٤ .

مجال الفقه ، بالنظره المعتلية والتباين في الأحكام . هذا مع العلم أن محسوله في الرواية كان واسعا . وان المصادر تحدّثنا مثلاً بأنه كان يحفظ الموطأ عن ظهر قلب ^(٤٧) .

وان نزعة التوليق بين الشريعة والفلسفة ^{تُعتبر} مقدمة الامالة والطراوة في تفكيره . أما في مجال المعرفة ، فلم يتوانَ ابن رشد في البحث والتنقيب عن جميع المعارف الانسانية دراسة وتدقيقاً وشرحها ، وفي مختلف الحقوق ، في الطب والمنطق والفلك والرياضيات والفلسفة وغيرها من صنوف المعارف الانسانية .

فالبحث وراء المعرفة ، في نظر ابن رشد يقتربه إلى فهم حقيقة الخالق ؟ فهو عبادة وتبسيط للله في ملوكه ، وبالتالي فإن هذا المسرى يؤدي به إلى فهم جوهر الدين وحقيقة «الوحى» ما عجز عنه العقل . وهكذا كان الأدب ونتاج الفكر الانساني يرتبط في نظر ابن رشد بالحقيقة والمعرفة من حيث الغاية والهدف .

الخطابة عند ابن رشد :

وفي هذا الموضوع لا يُدْلِلنا ان نتفق عند كتاب «تلخيص الخطابة» ، حيث يبدأ ابن رشد الكلام فيه في كل فقرة بقوله : « قال » ثم يورد بعض كلمات من أوائل الفقرة، ويمضي بعد ذلك في الشرح ، دون أن يتميز ما لارسطو مقاله هو ذاته ، ويستطرد أحياناً ويأتي بكثير من الأمثلة من عنده، ولكنه في هذا كلّه يتبع ترتيب النص الأصلي لارسطو ويتقىده به . ويتسع أحياناً ، فيزيد كثيراً عن حجم نص ارسطو ^(٤٨) . وقد لرغ ابن رشد من كتابة هذا يوم الجمعة الثالث من شعبان من عام سبعين وخمسة ، بقرطبة ^(٤٩) .

وقد توّسّع ابن رشد في ابضاح معانٍ ارسطو التي ينكرها النص ؟ وهو يعترف في نهاية الكتاب أن ما سجّله لم يتعدْ لممه

(٤٧) انظر : ريشان ، من ٦٢ .

(٤٨) انظر : تلخيص الخطابة ، من ٥ .

(٤٩) تلخيص الخطابة ، من ٣٢٢ .

واستيعابه لهذه النصوص ، اذ يقول : « وقد لخمنا منها ما نادى
الينا فهمه، وغلب على ظننا انه مقصوده ؛ وعسى الله ان يمئن
بالنفرغ التام ، للشخص عن نص اقاويله في هذه الاشياء »^(٥٠) .

وان هذا الاتجاه يحملنا على الاعتقاد بطبع ابن رشد وشخصيته
في هذه الشروح ، ولا سيما في « تلخيص الخطابة »^(٥١) فتراه مثلا يستبدل
في كتابه هذا بالامثلة اليونانية نظائرها في اللغة العربية ، متلائما
مع البيئة العربية الاسلامية التي يكتب لها ويعيش فيها ؟ فهو رد
شواهد من الفقه والتاريخ الاسلامي واللغة العربية . وقد نجح
ابن رشد نجاحا كبيرا في تطبيق القواعد والنماذج التي يذكرها ارسطو ،
على اللغة العربية وتراثها ، ولا سيما في المقالة الثالثة : اقسام من
الخطابة ، في صفات الاسلوب ... الخ^(٥٢) .

فإن ابن رشد يتبنى مذهب « المعلم الأول » ارسطو في الخطابة ،
كما يتبنّاه في الشعر ، كما سترى فيما بعد « صناعة الخطابة »^(٥٣)
تناسب صناعة الجدل ، وذلك ان كلّيّهما ^{تُؤْمَن} غالية واحدة وهي
مخاطبة الغير ... ويوجد استعمالهما مشتركاً للجميع ؛ اعني ان
كلّ واحد من الناس يستعمل « بالطبع » الاقاويل الجدلية والاقاويل
الخطابية ...^(٥٤) . وفي موضع آخر يقول : « وكلّ واحد من الناس
يوجد مستعملاً لنحو ما من أنحاء البلاغة ، ومنتهياً منها إلى مقدار
ما ، وذلك في صنفِي الاقاويل اللذين أحدهما الماناظرة والثاني التعليم
والارشاد . وأكثر ذلك في الموضوعات الخاصة بهذه الصناعة وهي
مثل الشكابة والاعتذار وسائل الاقاويل التي في الأمور الجزئية ...^(٥٥) .

فالكلام عنده على مذهب ارسطو ، مرکب من ثلاثة : من قائل ،
وهو الخطيب ؟ ومن يقول فيه ، وهو الذي يعمل فيه القول ؟ ومن

(٥٠) تلخيص الخطابة ، من ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٥١) انظر : تلخيص الخطابة ، من ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٥٢) تلخيص الخطابة ، من ٢ .

(٥٣) تلخيص الخطابة ، من ٤ .

الذين يوجه اليهم القول ، وهم السامعون . والغاية بالقول انما هي متوجة نحو هؤلاء السامعين . والسامعون لا محلَّة إِمَّا مُنْظَرٌ ، وإِمَّا حاكم ، وإِمَّا المقصود اقتناعه ... والحاكم في الامور المستقبلة ، هو الرئيس ، والحاكم في الامور الكائنة هو الذي ينصبه الرئيس، مثل القاضي في مدننا هذه وهي مدن الاسلام . وأما الناظر فانما يناظر بتوة الملكة الخطابية (٤٤) .

ولنستمع لابن رشد كيف يطبق نظريات ارسطو في تفصيل الاتاویل الخطابية على نصوص من اللغة العربية ، بل يستشهد على ذلك بآيات من القرآن الكريم . قال : والمكرور والمعاطف في الاتاویل الخطابية ، هو أن يكون أول القول وأخره بلفظ واحد أو قريب من الواحد . وهذا مثل قولهم : « القتل انتهى للقتل » ، ومثل قوله تعالى (الحادة ما الحادة ، وما ادرك ما الحادة) ... (٤٥) .

وهنالك أمثلة كثيرة ؛ بل ان المقالة الثالثة كما أشرنا سابقاً ، هي محاولة جادَّة من ابن رشد ، لكي يتمثَّل نظريات ارسطو في الخطابة ويطبقها على اللغة العربية وآدابها . ولنستمع اليه يقول : « وأما الأسماء المترادفة ، فمصلحة جداً لصناعة الشعر ، وقد تصح أيضاً لصناعة الخطابة . والشاعر يستعمل هذا الصنف لأسباب اخْتَصَّ بها استعمالها لتصحيح الوزن والقافية ، مثل قوله : « وهنَّتْ أتى من دونها النَّايُ والبُعْدُ » (٤٦) .

فابن رشد يشير بهذا النص الى بيت للخطيبة من داليته المشهورة التي يمدح بها بفيض بن عامر ، ومطلعها : « الا طرقتنا بعدما هجموا هندٌ - وقد سرُّونَ خمساً وثلاثةَ بنا نجدُ » .

وتمام البيت الذي استشهد به ابن رشد هو :

(٤٤) طبيعت الخطابة ، من ٢٨ - ٢٩ .

(٤٥) طبيعت الخطابة ، من ٢٨٨ .

(٤٦) طبيعت الخطابة ، من ٢٦٢ .

ألا حبذا هنداً وأرضها بها هنداً : وهنداً اتي من دونها الناي والبعد
وفي حدبه من توابع الانفاظ ، يقول :

« وينبني أن تعلم أن الأخذ بالوجوه »^(٥٧) ليس لـه غناء في الخطب
المكتوبة ، وإنما غناوه في المثلوة ، وإن عادة العرب في استعمالها قليلة .
ولما من سلف من الأمم ، فربما أقاموها في الأشعار مقام الانفاظ ،
أعني التشكيلات ، ويختفون اللفظ الدال على ذلك المعنى | امـا ارادـه
للاختصار ، وإما طلباً للوزن والالذاذ ؟ وهذا لم تجر به عادة العرب .
ولهذا صار ما يقول ارسطو في كثير من هذه الأشياء ، كما يقول أبو
نصر ، غير مفهوم عندنا ولا نافع . والأخذ بالوجوه إنما هو نافع
أكثر في الخطب التي تطى على جهة المنازعة ، لأنـه إنـما يـحتاج إـلى
الاستعـانـة بـجـمـيعـ الـأـشـيـاءـ المـقـنـمـةـ فيـ مـوـضـعـ المـنـازـعـةـ لـتـحـصـلـ الـقـلـبةـ .
وأمثال هذه الخطب هي الخطب التي كانت بين علي ومعاوية .
وأمثال ذلك في الأشعار ، ^{أـنـماـ اـشـعـارـ الـتـيـ كـانـتـ بـيـنـ جـرـيرـ وـالـفـرزـدقـ}^(٥٨) .
وهكذا نـقـدـ أـضـافـ ابنـ رـفـدـ أـضـالـاتـ أـصـيـلـةـ فيـ الشـروحـ التيـ
وضـعـهاـ عـلـىـ مـصـنـفـاتـ اـرـسـطـوـ . وـلـمـ يـكـنـ بـالـنـقلـ ، بلـ تـرـكـ آـثـارـ
مـبـقـرـيـتـهـ الـفـذـةـ عـلـىـ تـلـكـ النـظـريـاتـ وـالـأـرـاءـ ، التـيـ قـامـتـ بـدورـ مـهمـ فيـ
الـنـهـضةـ الـأـدـبـيـةـ نـيـهاـ بـعـدـ .

ابن رشد والشعر :

لـمـ يـكـنـ أـبـوـ الـولـيدـ أـبـنـ رـشـدـاـ شـاعـراـ وـلـاـ ذـاـ طـبـيـعـةـ شـعـرـيـةـ ؟
فـانـ اـتـجـاهـهـ الـفـكـرـيـ ، وـمـاـ جـبـلـ عـلـيـهـ مـنـ جـبـيـةـ فـيـ التـكـيـرـ وـالـسـلـوكـ ،
كـانـ يـنـيـانـ بـهـ عـنـ حـيـاةـ الـفـنـ وـالـشـعـرـ .

ولـمـ يـكـنـ أـبـنـ رـفـدـ فـيـ عـالـمـ الشـعـرـ مـعـ ذـلـكـ كـلـهـ ، بـاقـلـ مـنـ اوـلـئـكـ
الـنـجـباءـ ، الـإـلـبـاءـ مـنـ نـظـرـائـهـ مـنـ كـبـارـ الـفـلـاسـفـةـ ، وـالـأـطـبـاءـ وـالـفـقـهـاءـ ،

(٥٧) وقد مرّ « الأخذ بالوجوه » يقوله : « الامور المستملة بـيـ الانـفـاظـ عـلـىـ
جمـةـ المـعـونـةـ فـيـ جـسـودـ النـفـسـ وـأـيـقـاعـ التـصـدـيقـ وـبـلـوغـ التـرـفـنـ المـقـصـودـ » . انـظرـ :
تلـخـيـصـ الـخـطـبـةـ ، مـنـ ٢٥٠ـ .

(٥٨) تـلـخـيـصـ الـخـطـابـةـ ، مـنـ ٢٥١ـ - ٢٥٢ـ .

كابن سيناء وابن حزم وغيرهما ، في المشرق ، كما هو في المغرب والأندلس ؛ وقد كان الشعر في الأندلس على حد تعبير بعض الروايات ، مائراً على جميع الألسنة في الأندلس ؛ فالشعر يجري على ألسنة النساء الرجال كما يجري على ألسنة النساء ، ويجري على ألسنة الشعراء كما يجري على ألسنة الفقهاء والعلماء . ولكنَّ شعر هؤلاء العلماء لم يكن ليتجاوز النظم والتاليق المحكم بين المقاطع والالغاز . ونحن اذا استثنينا بعض الأمثلة التلبلة ، فاننا نستطيع القول : إنَّ جميع هؤلاء العلماء قد نظموا الشعر وأنطلقوا ، دون أن يكونوا ذوي شأن في مجال الفن أو الفن ، ولكنه حلية يتصف بها كل نجيب . وكان ابن رشد من كبار هؤلاء النجاء الالباء ، فلا بدَّ من أن يضيق الشعر الى جملة علومه وكتاباته .

ـ لهذا ابن البار يصفه نبيقول :

ـ « وكان يُفْرَعُ إِلَى فتواه في الطبع كما يُفْرَعُ إِلَى فتواه في الفته ، مع الحظَّ الوالر من الأعراب والأداب . حَكَى عنْهُ أَبُو القاسم بن الطيلسان أنه كان يحفظ شعر حبيب والتبسي ، ويكثُر التمثيل بهما في مجلسه ، وبيورد ذلك أحسن ابزاد » (٥١) .

ـ ويحدثنا ابن سعيد ، صاحب المغرب ، وقد كان قريباً عهد من الفترة التي عاش فيها ابن رشد ، نبيقول : « ادركه والدي وقرأ عليه ، وقال في وصيَّه الشقدي : « نقيبه الأندلس ، وفليسونها الذي لا يحتاج في نهايته الى تببيه » . وانشد من شعره قوله :

ـ ما العِشَقُ شَانِي ، وَلَكِنْ لَسْتُ أَنْكِرَهُ
ـ كَمْ حَلَّ مَقْدَة سَلَوَانِي تَذَكَّرَهُ

ـ مَنْ لَى بِفَضْلِ جُفُونِي عَنْ مَخْبَرَهُ إِلَى
ـ اجْفَانَ قَدْ اظَهَرَتْ مَا لَسْتُ أَضْمِرَهُ

لولا النهى لاطمأنت اللحظة ثانية
نيمون يردد بمنا الالحان منظره

ـا لابن سقين قادرته لغايته
عشرينة نسائى عنده تبصره

قد كان رضوى وقاراً فهو مالية
الحسن يسورة ، والهون يصيرة ٦٠ .

وفي هذا الموضوع ، يتحدث الفيلسوف الفرنسي المشهور
ارنست ريفان « ليقول :

« ونعلم من ليون الافريقي ان ابن رشد كان قد نظم عدة قصائد
خلقه وغزلية ، فأحرقها في مشيبة ؛ وينقل ليون البنا قطعة منها
تجعلنا نلترض بالحقيقة ، كون الحكمة ، من بعض النواحي ، لم تأت
ابن رشد إلا مع السنين .. ٦١ . ومهما يكن من أمر ، فقد راض
ابن رشد نفسه على التوفيق ببالغ في رياضتها ، وربما دفعه ذلك
إلى حرق أشعار نظمها في صباحه ؛ وبذلك ، مع الأسف ، فقدنا لواناً مهمّاً
من نتاج مبقريته ، يمكن أن يلقي ضوءاً على حياته الخاصة ونتائج
الأدب . »

لم يكن ابن رشد من نظم الشعر وانتحله ، على مذهب نظراته
من العلماء والفلسفه ولكنـه كان له موقف من الشعر ، بصورة عامة ،
يتداخل مع موقف ارسطو ونظريته في الشعر . والواقع أن تلخيصه
« من الشعر » لارسطو يشهد بعلوّ كعبه في الأدب العربي ، ولا سيما
شعر ما قبل الإسلام .

وتجد في كل منحة من هذا الكتاب ، على حد تعبير المستشرق
الفرنسي ارنست ريفان ، استشهاداً بعنترة وامرئ القيس والاعشى
والنابغة وابي تمام والمتنبي وكتاب الأغانى ... ٦٢ .

(٦٠) المقرب ، ج ١ ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٦١) ريفان ، من ٦٢ - ٦٣ .

(٦٢) انظر : ريفان ، من ٦٢ .

ويربط ابن رشد بين الموسيقى والشعر ، كما هو الأمر عند أرسطو ؛ بالموسيقى بنظره تُعنى بتنمية النفس وتمريضها على الفضائل الخلقية . وهو يعني بالموسيقى الاتاويل المطبية ذات اللحن ، على حد تعبيره . فكانت بهذا الفن خاتمة لصناعة الشعر الذي يؤثر في الصِّيَّبة والاحداث أكثر من الخطابة والبرهان – وهما ضربان من ضروب الاقناع – . لماذا رقوا عن هذا الطور استعملت معمم الاتاويل الخطابية والجدلية ، وفي الطور الآخر البرهانية التي يراد بها الفلسفة او الحكماء خاتمة (١٢) .

لابن رشد ينظر الى الشعر ، وفق نظرة ارسطو ، وذلك من خلال وظيفته في التربية وتائيره في الناشئة ؛ ومن ناحية اخرى فإنه يرى فيه صنعا من صنوف الاقناع ؛ والاقناع احد سبعين رئيسين لنفس الفضائل في نفوس سكان الدولة . ملاقاويل الخطابية والشعرية يخاطب بها الجمهور ، وقد اعتمدها ايضا الملاطون في « الجمهورية » (١٣) .

لابن رشد يقف من الشعر من خلال وظيفته التربوية موقفا هادئا ؛ فمن القصص التي ، كما يقول ، ينبغي نبذها ما كان حلا على طلب اللذة او على ابتلاء المال ، لاتها تحول دون التأثير بحياة الجنديه . وهذه المفاسد ، كما يقول ابن رشد ، يكثر ذكرها في اشعار العرب ، « فلم يكن اضر من تلقينها للصبية منذ نعومة اظفارهم » ؟ وهو ما درج عليه معلومهم منذ القديم (١٤) .

لا شك ان أبي الوليد يكت موقنا انتقاديا من الشعر العربي في مجال التربية . وهذا امر ينسجم والاهداف التربوية السامية ، التي رسمها منذ البداية ، من وحوب غرس الفضائل في نفوس ابناء المدينة الفاضلة . ولا يمكن ان يكون هذا الموقف كفراها للشعر العربي

(١٢) انظر : فخرى ، ص ١٢٢ .

(١٣) انظر : فخرى ، ص ١٢٢ .

(١٤) انظر : فخرى ، ص ١٢٦ .

بصورة عامة ، وهو الذي كان يحفظ شعر حبيب والتبسي ، ويُكتَبْ
الممثل بهما في مجلسه .

كان ابن رشد باع في قول الشعر ، ولكنّه لم يكن يمثل جوانب
عقريته المشرقة ؛ وكانت له آراء ونظارات فنية ونقدية فيه امتنجت
بآراء أرسطو ونظرته للشعر امتزاجاً كلياً . ونحن نعتقد أن ابن
رشد قد حالفه التوفيق في مجال الشعر كما حالفه في مجال الخطابة ،
من حيث محاولته لتطبيق نظريات أرسطو على نماذج أصلية في اللغة
العربية وأدابها ، شعراً ونثراً ...

أدب ابن رشد ونزعاته الإنسانية والاجتماعية :

لقد ذاع صيت ابن رشد بين « اللاتين » لامريلن ؛ لكونه طبيباً
وكونه شارحاً لأرسطو ؛ بيد أن مخرجه شارحاً أعظم من مخرجه طبيباً
بمراحل . نمهما يكن من شهرة نالتها « الكليات » لم تبلغ ما ناله
« قانون » ابن سينا من اعتبار بالغ (١٦) . وإنما انتهى بشرحه الكبير
إلى تكوين قطب ثابت في الفلسفة ، « فالطبيعة تفسر بارسطو، وأرسطو
ينفس بابن رشد » (١٧) .

وأَلَّـت ابن رشد عدا هذه الشروح ، عدداً كبيراً من الكتب يُعْضُرُ
احصاؤها تماماً . وتقدّم شَكَلَت مؤلفاته مختلف مجالات المعرفة
الإنسانية : في الفلسفة ، وعلم الكلام ، وعلم الفقه ، والفلك ، والطب ،
والنحو ، واللغة .

ونحن إذا تجاوزنا مفهوم الأدب من حيث هو نتاج فكري هذه
التسلية والوعظة إلى مفهوم أعمّ ، وذلك من حيث هو نتاج فكري
يؤثر الكاتب من خلاله على القارئ ويحرّكه نحو الانضمام ، تكون قد
اقترينا كثيراً لكتابي نصّيف في هذا الإطار مجموعة من مؤلفات ابن رشد
الأدبية ، وأهمّها :

(١٦) انظر : ريشان ، ص ٧٢ .
(١٧) المقدّر ذاته .

- ١ - كتاب « تهافت التهافت » ، وقد وضعه ابن رشد لكي يدحض به كتاب الغزالى الذى عنوانه « تهافت الفلسفه » .
- ٢ - كتاب « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » ، وقد حاول فيه ابن رشد ان يوْفق بين الشريعة والفلسفة .
- ٣ - كتاب « الكشف عن مناهج الأدلّة » .

ولكي نستطيع أن نفهم اتجاهات ابن رشد في مصنفاته المختلفة ، لا بد لنا أن نتعرف على نظرية ابن رشد للكاتب ، من ناحية ، ولنوعية الجمهور الذي يكتب اليه من ناحية أخرى . فالناس في نظره مختلفون حسب استعداداتهم وقدراتهم ، ومن هذا التناوُل في النطْر والمعقول ، جعل الناس على حد تعبيره طوائف ثلاثة :

- ١ - **الخطابيون** ، وهم الجمهور الغالب الذي يصدق بالآلة الخطابية .
- ٢ - **أهل الجدل** ، ومنهم رجال علم الكلام ؛ وهم الذين ارتفعوا من العامة ولكنهم لم يصلوا لأهل البرهان البقيني .
- ٣ - **البرهانيون** ، بطبعهم وبالحكمة التي أخذوا انفسهم بها .

وبناء على ذلك يقول ابن رشد بانقسام الشريعة الى ظاهر له اهله ، وهم العامة واشباههم ، وباطن له اهله ، وهم ذنو البرهان (٦٨) ، وان نظرية ابن رشد في التعليم تقوم على هذه الفروق التربيعية ، اذ كان ينادي دائماً « **بانَ جَعَلَ** الناس شرعاً واحداً في التعليم خلاف المحسوس والمعقول » ؟ هذه النظرية التي كانت معروفة جيداً عند الكثير من الفلاسفة قبله ، مثل الفارابي وابن سينا وغيرهما ...

كان ابن رشد يرى وجوب تقييد الكاتب بنوعية الجمهور الذي يكتب اليه . فقد حرم مثلاً الحديث مع الجمهور في مسلم الله على النحو

(٦٨) انظر : بين الدين والفلسفة ، من ٩٢

الفلسفي . وقد اخذ على الغزالى اثباته التأويل في غير كتب البرهان ، وتقديمه ذلك إلى جمصور الناس . وشجب المتكلمين ، وبخاصة المعتزلة ، انهم بتآویلهم التي صرّحوا بها للجممور ، اوقموا الناس في ثنتين وتباغضن وحروب ، ومزقوا الشرع (٦١) .

ولكننا نجد ابن رشد يقع في مثل هذا الطبع ، فيعتذر بأن الجمصور قد هرف من أولئك الذين يلومهم هذه التأويل . مكان لا بد له أن يتكلم ليها ، وذلك لبيان الحق من جهة ، ولدفع الأذى من الجمصور من جهة أخرى .

وان هذا اللون من الكتابة التي خرج بها من إطار كتب الخاصة ، أهل البرهان ، إلى نطاق العامة ، أهل الجدل والخطابة ، ليست في جوهرها سوى مساجلات ومناظرات كتابية ، يحاول الكاتب تحض آراء خصومه ، واصلاح ما أفسدته ، على حد تعبيره ، لدى الجمصور . بل ينصلّح أحياناً أن بعض الإنكار ، لا سبيل إلى انشائه في هذا الكتاب ، مما يؤكد أن كتاب « تهافت التهافت » ، ليس من الكتب التي تُدْخَرُ لل خاصة وإنما هو كتاب لل العامة على حَدّ مفهومه ؛ إذ يقول أحياناً في مناقشة بعض الموضوعات : « وهذا العلم لا سبيل إلى انشائه في هذا الموضع » (٧٠) .

وان اسلوب ابن رشد في « تهافت التهافت » ، يبتعد كثيراً عن الأساليب البرهانية ، فقد خرج به من هذه الدائرة من حيث الهدف ، ولكنه يتلوّن أحياناً بانفعالية تخرج الكاتب من وقاره وموضوعاته إلى السباب والتهكم اللاذع .

لبيشير إلى أبي حامد الغزالى يقول : « ثباتي أنه بمثل هذه الآتاویل السفسطائية قبيح ، فإنه يُؤْنَى به أنه من لا يذهب عليه ذلك ، وإنما أراد بذلك مداعنة أهل زمانه » (٧١) وهذه تهمة ، ولا شك ، خطيرة بوجهها ابن رشد إلى أبي حامد . وفي موضع آخر يقول :

(٦١) انظر : بين الدين والفلسفة ، من ١٠١ .

(٧٠) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٩٢ .

(٧١) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٩٣ .

« قلت : هذا الكلام ، الذي هو جواب عن الفلسفة ، في نهاية السقوط » (٧٢) . وفي مكان آخر « قلت : هذا كله سلسلي خبيث » (٧٣) . وكذلك : « هذا يَعْنِي بنفسه ؟ وسائل هذا ، هو الملبس ، لا الفلسفة ، لأن الملبس هو الذي يقصد التغليط لا الحق . وإذا اخطأ في الحق وليس يقال فيه : انه ملبس » (٧٤) . وفي تعليق له حول بعض الانكار يقول : « وهذا كله عند الفلسفية هوس وتخليل » (٧٥) . وكثيراً ما يَعْتَبِرُ ابنُ رشد : ابنَ سينا وشيعته ليقول : « فانظر هذا الغلط ، ما أكتره على الحكماء ؟ فعليك ان تتبين قولهم هذا : هل هو برهان ؟ لم لا ؟ اعني في كتب القدماء ، لا في كتب ابن سينا وغيره ، الذين غيرُوا مذهب القوم في العلم الالهي ، حتى صار ظنيا » (٧٦) .

ويتم أحياناً ابن سينا والفارابي أحياناً ، بعدم فهم مذاهب قديماء الفلسفية ، ليقول : « قلت : هذا كله تَخْرُصُ على الفلسفة من ابن سينا وأبي نصر ، وغيره وقد يهاجم الفرزالي بعنف ، مع دحضه لآراء ابن سينا اذ يقول : « وأما الكلام فيما صدر عنها (أي العقول) فانفرد ابن سينا بالقول الذي حكاه (أي الفرزالي) من الفلسفية وتَجَرَّدُ هو للرد عليهم ، ليوهم انه رد على جميعهم .

وهذا ، كما قال ، « تَعْقِيقُ مَعْنَى قَالَهُ فِي الْهُوْسِ » (٧٨) . وهو أيضاً يعني على الفارابي وابن سينا مقالهما ، اذ يصبح مذهبها : « والمجب كل المجب ، كيف خلى هذا على أبي نصر وابن سينا ، لأنهما أول من قال هذه الخرافات ، فقلدهما الناس ، ونسبوا هذا القول إلى الفلسفية ... » (٧٩) .

- (٧٢) نهائـتـ النهـائـتـ ، ج ١ ، من ١٦٠ .
- (٧٣) نهائـتـ النهـائـتـ ، ج ١ ، من ٢٤٢ .
- (٧٤) نهائـتـ النهـائـتـ ، ج ١ ، من ٢٥٢ .
- (٧٥) نهائـتـ النهـائـتـ ، ج ١ ، من ٢٨٢ .
- (٧٦) نهائـتـ النهـائـتـ ، ج ١ ، من ٣٠١ .
- (٧٧) نهائـتـ النهـائـتـ ، ج ١ ، من ٣٠٦ .
- (٧٨) نهائـتـ النهـائـتـ ، ج ١ ، من ٢٨٥ .
- (٧٩) نهائـتـ النهـائـتـ ، ج ١ ، من ٣٩٧ .

وان مثل هذه الاشارات التي تتم من اسلوب انفعالي كثيرة جدا . وهو في اسلوبه هذا قد يُعْنِي الى حد السخرية اللاذعة . ففي مناقشته لبعض آراء ابى حامد يقول : « فهو مصدق في ذلك ، اذ لم يبلغ الرجل المرتبة من العلم المحيطة بهذه المسألة . وهذا هو الظاهر من حاله فيما بعد .. » (٨٠) .

وقد وقع ابى حامد الغزالى في تيار السباب والعنف ايضا ؛ ولنستمع الى الغزالى وقد جاوز حد الانفعال الى السباب تقريبا اذ يقول :

« قال ابى حامد راداً على النلاسة :

« قلنا : ما ذكرتكم تحكّمات ، وهي على التحقيق ظلمات نوّق ظلمات ، لو حكاها الانسان عن منام رأه ، لاستدلّ به على سوء مزاجه ، او أورد جنسه في المقصبات ، التي تصارى الطلب فيها تخمينات ، لتقبل : إنها ترّهات ، لا تقيّد غلبة الظنون » .

نهي على حد تعبير ابى حامد ، تحكّمات ... وظلمات ... وترّهات ... الخ . وعندما يناقشه ابن رشد ، يقابله انفعالا بانفعال ، وانتقاما بانتقام .

يقول ابن رشد في الرد على الغزالى، بعد أن أورد ما حكاه سابقا : « قلت : « لا يبعد أن يعرض مثل هذا للجهال مع العلماء ، وللجمهور مع الخواص ، كما يعرف ذلك لهم في المصنوعات ؛ فان الصناع ، اذا اوردوا صفات كثيرة من مصنوعاتهم على العوام ، وتضمنوا الانفعال العجيبة عنها ، هزىء بهم الجمهور ، وظنوا انهم مبرسون » ، وهم في الحقيقة الذين ينزلون منزلة المبرسين من العقلاء ، والجهال من العلماء . وامثال هذه الاقوایل لا ينبغي ان تنتقى بها آراء العلماء وأهل النظر » (٨١) .

(٨٠) نهاد النهاد ، ج ١ ، ص ٤٠٩ .

(٨١) نهاد النهاد ، ج ١ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

وهكذا ننحو نستطيع ان نصنف كتب ابن رشد هذه خارج دائرة الخاصة ، وانها موجهة الى العامة من القراء، وهي بذلك تخرج من ميدان البحث الفلسفى الرصين ، الى ميدان المساجلات الادبية وأساليبها ... لقد كتب ابن رشد مؤلفاته هذه وقد وجهها الى العامة ، وفق مفهومه ، ي يريد اصلاح ما افسدته اقوال السابقين . فهو يحاول اصلاح ما افسده سابقه بالتصريح بآراء مُنسِّدة ، وتأويل ضالة ، تلقنها غير اهلها ، فعمَّ بذلك ضررها ... (٨٢) .

وفي هذه المساجلة الفكرية ، يقول العقاد : « فلم يحيط لنا تاريخ الفكر مساجلة بين حكيمين في قوة المساجلة التي دارت بين ابن رشد والغزالى ، ومضاء ملاحمها وتلاذ حججها اوبراهينها ... » (٨٣) .

ولم يكن ابن رشد في شروحه المشهورة وفي تصانيفه ، العلمية منها والفنية والادبية ، سوى منكر عظيم يوجّه جميع طاقاته وجهة انسانية رفيعة ، هدفها الاسمى تنمية الفضائل لدى افراد الامة ، وخلق مجتمع اسلامي تويم .

ونحن نلمس هذه النزعة الواقعية في مختلف مصنفاته الى جانب تلك النزعة الانسانية السامية .

ونحن اذا استثنينا بعض الاشارات المقتضبة الى تضليل اخلاقية وسياسية ، نلمحها في بعض مؤلفاته ، كتهاون التهافت ، والكشف عن مناهج الائمة وسواعدها ؛ فقد انتصر ابن رشد في تاليله في الاخلاق والسياسة ، على شرح الاخلاق الى نبيو ما خس . وجواجمع سياسة انطليتون ... (٨٤) . وقد نصل ابن رشد في شروحه هذه . ما اعلمه في شرح الخطابة والشعر . فهو لا يكتفى بشرح الجمهورية ، بل يعمد الى تطبيق بعض مبادئها على الاوضاع السياسية والاجتماعية السائدة في البلاد الاسلامية آنذاك ، وخاصة الاندلس والمغرب .

(٨٢) انظر : بين الدين والدولة ، ص ١٠١ .

(٨٣) العقاد ، من ٥٥ .

(٨٤) انظر : فخرى ، من ١١٨ .

لصلاح المجتمع وسعادته ، هو الهدف الاسمى ، الذى كان يرمى اليه ابن رشد في جميع مصنفاته ، العلمية منها والفلسفية واللغوية ؟ فقد ختم كتابه المشهور في ميدان الفقه « بداية المجتهد ونهاية المتمد » ، بتوله :

« وينبغي قبل هذا أن يعلم أن السنن المنشورة العملية المقصد منها هو الفضائل الننسانية ، فمنها ما يرجع إلى تعظيم من يجب تعظيمه ، وشكراً من يجب شكره في هذا الجنس تدخل العبادات ... ومنها ما يرجع إلى النفضيلة التي نسميتها « مُنْهَّةً » ... ومنها ما يرجع إلى طلب العدل والكف عن الجور ... ومنها السنن الواردة في الأمراض ، ومنها السنن الواردة في جمع الأموال وتنويمها ، وهي التي يقصد بها طلب النفضيلة التي نسمى السخاء ، وتجب الرغبة التي تسمى البخل ؛ والزكاة تدخل في هذا الباب من وجده ، وتدخل في باب الاشتراك في الأموال ؛ وكذلك الأمر في الصدقات .

ومنها سنن واردة تمس المجتمع الذي هو شرط في حياة الإنسان
وحفظ نفاثاته العلمية والعلمية ... ومن السنن المهمة في حيز
الاجتماع السنن السواردة في المحبة والبغضه والتعاون على إقامة
هذه السنن ؛ وهو الذي يسمى النهي عن المنكر والإ أمر بالمعروف ...
لـ (١٥) .

فمن الواضح أن ابن رشد يرى أن الدين يرمي بشعائره وأوامره إلى غايات إنسانية واجتماعية رفيعة ، هنئها صلاح المجتمع وسعادته . وكان لابن رشد ، من خلال ابيه، موقف واضح من أهم القضايا الاجتماعية والسياسية ؛ فقد كان له رأي واضح في السياسة، والمجتمع، والتربية، والمرأة، وحرية الإنسان ؛ ثني مجال السياسة ، فما نظرته كانت مبنية على فلسفة أفلاطون ، وقد بسطها في شرحة « جمهورية » هذا الفيلسوف وجوه تعاليمها ، أنه يجب القاء

^{٨٥}) انظر : بداية المحمد ، ج ٢ ، من ٦٦) .

زمام الاحكام الى الشيوخ وال فلاسفة ليديروها بقسط وعدل . ويجب
حث الناس على الفضائل بتعليمهم البيان والعلوم التي تتفق العقل ^(٨١) .
ويتناول ابو الوليد ثلاث مخابيا هي بمثابة المدخل الى علم
السياسة ، وهى :

اولا - ما هي الشروط التي ينبغي أن تتوافر لكي توجد هذه الفضائل
المشار اليها ... اذ ليس الفرض من هذا العلم معرفة ماهية
هذه الفضائل ، كما يقول ارسقو ، بل العمل بها .

ثانيا - كيف يمكن غرس هذه الفضائل في نفوس الاحداث ، بحيث تنمو
تدرجياً ، وكيف تسان بعد ان تبلغ مرتبة الكمال ؟ وكيف يمكن
استئصال الشر من نفوس الاشرار .

ثالثا - ما هي الصفات والفضائل التي تشتّد اذا اقترنـت بفضيلة ما ،
وتشعـف اذا اقترنـت بفضيلة اخـرى ؟ اي كيف تؤثر هذه الفضائل
احداها في الآخر ^(٨٢) .

وكان ابن رشد يكره الاستبداد العسكري والاقطاعات
العسكرية ، ويرى استغفاء الدولة عن القضاة والاطباء ،
دليلا على انتظام شؤونها . ويقوم ^{مثـل} الدولة الاعلى على عدم
الاحتياج الى قاض ، ولا الى طبيب ، وليس على الجيش واجب غير
السهر على حرس الامة . وما يحدث لو اكلت كلاب الراعي غنمـه ؟
وتنـعد اقطاعات الجيش آفة الدول ^(٨٣) .

وقد رأى ابن رشد ان الحكم الظالم هو ذلك الذي يحكم
الشعب من اجل نفسه لا من اجل الشعب ، وأن ^{شـر} الظلم ظلم الكهنة ؛
وان احوال العرب في عهد الخلفاء الراشدين كانت على غاية من
الصلاح ، « فـكأنـها وصف افلاطون حـكمـتهم » لما وصف في « جمهوريته »
الحكومة الجمهورية الصحيحة التي يجب ان تكون مثالا لجميع الحكومات » .

(٨٦) انظر : رينان ، من ١٧٠ ، فوج ٤ من ٥٩ .

(٨٧) انظر : تخري ، من ١٢٢ .

(٨٨) رينان ، من ١٧٠ ، وهذا النص اورده من طبعـات من ٤١ .

ولكن معاوية هدم ذلك البناء الجليل القديم ، واقسام مكانه دولة بني امية وسلطانها الشديد ، ففتح بذلك باباً للفتن ما تزال الى الان قائمة قاعدة حتى في بلادنا هذه (اي الاندلس) . « ٨٩ » . اما موقفه من المرأة فهو يساوي بين المرأة والرجل من حيث الطبيعة فيقول : وتختلف النساء عن الرجال درجة لا طبية ، ومن اهل لكل ما يفعل الرجال من حرب وفلسفة . السخ . . . ، ولكن على درجة دون درجتهم . وهن يُفتقن احياناً كما في الموسيقى ، وذلك مع كون كمال هذه الصناعة يقوم على التلحين من قبل رجل والفناء من قبل امرأة . ويدلّ مثال بعض الدول الافريقية على استعدادهن الكبير للحرب ؛ ولا يُعدّ من الخوارق امكان انتهائهن الى الحكمة الجمهورية . او لا يرى ، كما هو الواقع ، ان اثاث الكلاب تحرس القطبيع كما تحرس ذكورها ؟ والى هذا اضاف ابن رشد قوله :

« لا تدعنا حالنا الاجتماعية نبصر كل ما يوجد من امكانيات في المرأة ؛ ويفتهر انهن لم يخلقن لغير الولادة وارضاع الاولاد ». .

وتد قفت هذه الحال من العبودية فيهن على قدرة القيام بجلال الاعمال . ولذا فانتنا لا نرى بيننا امراة مزينة بفضائل خلقية . وتمر حياتهن كما تمر حياة النباتات ، وهن في كفالة ازواجهن انفسهم . ومن هنا ، ايضا ، اتسى البوس الذي يلتهم مدننا ؛ وذلك لأن عدد النساء فيها ضعف عدد الرجال ، ولا يستطيعن كسب الحاجة بعملهن . « ٩٠ » .

وتطرق ابن رشد الى حرية الانسان ، ووصل هذا المفهوم الانساني الرفيع بما ورد عنه في آي القرآن الكريم . فالانسان في مطلق الحرية تماماً ولا مقيد لها تماماً . وذلك انه اذا نظر اليه

(٨٩) انظر : رينان ، من ١٧١ .

(٩٠) رينان ، من ١٧٠ - ١٧١ وقد نقل النصوص من « طبيعتات » من ٢١

من جهة نفسه وباطنه ، فهو حُرّ مطلق لأن نفسه مخلقة الحرية في جسمه . ولكن اذا نظر اليه من جهة حوادث الحياة الخارجية ، كان مقيداً بها ، لصالها من التأثير على اعماله . « وهو يقول : » ان هذا هو السر في ان القرآن يجعل الانسان تارة مختارا و تارة مقيدا . » (٩١) .

ويسر ابن رشد على منوال أفلاطون في تصايبا التربية ، فيحيث في مجال تربية الصغار من التمثيل بالحكايات الكاذبة « اي الأساطير » التي ترسخ في اذهانهم فتقيد سريرتهم (٩٢) . وهو على مذهب أفلاطون بالتربية الجماعية ، وحاجة الفرد الاقرانه . فقد تبين ان اكتساب المرء لا ي من هذه الفضائل دون معونة الاقران مستحيل ، إذ ، ان الانسان يحتاج الى من عدائه ، في اكتساب النضيلة ؟ فهو كائن مني بالطبع (٩٣) .

وفي حديثه عن الحصول المكتسبة التي ينبعى على الحاكم او الرئيس ان يتصرف بها ، يرسم ابن رشد منهاجا تربويا واضحا ، فيما يتعلق بالرئيس ، من الطفولة الاولى حتى يبلغ سن الخمسين ، لانه على حد تعبيره يجب تقويض الحكومة الى الشيوخ .

بعد ان يتحدث عن الطفولة الاولى للحاكم او الرئيس ، يقول : ومنها ، اي من الخصال المكتسبة ، الاقبال على العلوم المختلفة والتوفّر على دراستها . وتبدأ هذه الدراسة بعلم الحساب ، فالهندسة ، نظم النجوم ، فالموسيقى ؛ وهي علوم لا تطلب من اجل الكمال الانساني ، شيمية الطبيعيات والالهيات ، بل من اجل إعداد الفكر للاتصال على هذين العلمين وحين يبلغ الحكم سن السادسة عشرة او السابعة عشرة ينبغي ان يُقبلوا على تعلم الفروسية حتى سن العشرين ، وعندها يأخذون بتعلم الفلسفة حتى سن الثلاثين . ماذا بلغوا الخامسة والثلاثين دفعت لهم رئاسة الجيش ، طوال

(٩١) انظر : لصح ، من ٥٨ .

(٩٢) انظر : فخرى ، من ١٢٤ .

(٩٣) فخرى ، من ١٢٠ .

خمس عشرة سنة ؟ فإذا بلغوا سن الخمسين ، باتوا قادرين على
الاضطلاع بمهام الرئاسة وإدارة شؤون الدولة ...

أما التربية الأخلاقية لجميع المواطنين ، فهي تقوم ، في نظر ابن رشد ، على تلقينهم الفضيلة بتعليمهم الخطابة والشعر والجدل . ولا شك أن فلسوفنا يقصد الانتقاء في مجال الخطابة والشعر والجدل ، فهي وسائل من أجمل تربية الفضيلة في نفوس جميع المواطنين . ومن هنا نستطيع أن نفهم قوله عندما يعقب على ذلك قائلا : « والشعر مفسد ، ولا سيما شعر العرب » (٤٤) . فإن ابن رشد لا ينال من قيمة الشعر الفنية ، ولم يهدف أن ينتقص من شعر العرب من حيث هو ، ولكنه يرى أن يختار المربى من هذه الأشعار ما يكتن بتلقين الفضيلة ، وتربيتها في نفوس المواطنين .

العلاقة بين الشكل والمحفوظ :

يشغل الجدل ، بصورة عامّة ، مكانة مهمة من مؤلفات ابن رشد . وهو على حد تعبير رينان : « يدخل إليه من الرشاقة ما هو ممتع . وما كان يقع أحيانا ، أن يرتقي بحماسته العلمية ، وكلفه بالفلسفة إلى نبرة من الخلقة ، بلية إلى الغاية . ويسود الإسهاب شروره ، ولكن بلا جفاف . وتتجلى شخصية المؤلف فيما يعرف أن يسوقه إلى الموضع المهم من استطرادات وتأملات ... » (٤٥) .

والحقيقة أن هذه الإشارات تكون أهم خصائص ابن رشد في أسلوب كتابته . أما جفاف أسلوبه فلا بد لنا أن نستذكر حقيقة مهمة ، حيث أن طبعات كتبه في الحقيقة لا تعرض في نصوصها العربية سوى شرح قام على ترجمة عربية من ترجمة سريانية من أصل يوناني . أما في نصوصها باللغات الأجنبية فهي تقوم على ترجمة لاتينية من ترجمة عبرية . هذا مع العلم أن كثيرا من مصنفاته قد فقدت أصولها العربية .

(٤٤) انظر : رينان ، من ١٧٠ - ١٧١ .

(٤٥) رينان ، من ٦٧ .

وان الدارس لادب ابن رشد ومصنفاته يمكن ان يلمح ركائز يمكن ان تُبيّن نظرة ابن رشد في اسلوبه، من ناحية، وفي فن الكتابة، من ناحية اخرى . فهناك طبيعة الجمهور الذي يكتب اليه الكاتب ؟ وهذه النظرة رأيناها واضحة تماماً في ابحاثنا السابقة ؛ فهو ينادي بأن على الكاتب ان يكون على بصيرة من نوعية الجمهور الذي يكتب اليه ، وبالتالي بنوعية الافكار وطبيعة الابحاث التي يقدمها الى قرائه ، والا وقع في خطيئة كبيرة، وأدّى جده الى الانفصال . « وليس كل منف من اصناف الناس يتبين ان يُستعمل معهم البرهان ، في الاشياء النظرية التي يراد منها اعتمادها . وذلك اٍنما لأن الانسان قد نشأ على مشهورات تختلف الحقائق ، فإذا سلك به نحو الاشياء التي نشأ عليها ، سهل اقتناعه ، وإِنما لأن نظرته ليست مُعدّة لتقبُل البرهان اصلاً ، وإنما لأنه لا يمكن بيانه له في ذلك الزمان البسيء الذي يراد منه وقوع التصديق فيه ... » (١٦) .

فهو في ذلك يقول بوجود علاقة وثيقة بين طبيعة الجمهور وحقائق المعرفة التي يمكن ان تُعرض عليهم . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، يجعل للانفعالات النفسية دوراً مهمّاً نحو استئصال الحكم والناظرین ، حيث يقول : ... الاشياء المعينة في وقوع التصديق ، مثل التكلم في الخوف والرحمة والغضب» وما اشبه ذلك من الانفعالات النفسانية التي ليست مُعدّة نحو الامر المقصود تبيينه اولاً وبالذات ، وإنما هي مُعدّة نحو استئصال الحكم والناظرین ، ولذلك كانت كأنها مُوظّنة للتصديق لا فاعلة له ... (١٧) .

ويجعل ابن رشد للاظافر مكانتها في زيادة التصديق ؛ وإن هذه المكانة تختلف باختلاف طبيعة المعرف ، وذلك على حد تعبير ابن رشد، لأن للاظافر في ذلك معونة في زيادة التصديق الحاصل عن

(١٦) ظهير الخطابة ، من ١١ .

(١٧) ظهير الخطابة ، من ٥ .

البرهان وقوته ، كالحال في الصنائع الأخرى ، فانها يلفي لما معونة في ابتعاد التصديق المستعمل فيها وإن كانت في ذلك تختلف .

فأقلّها حاجةً في ذلك صناعة الجدل ، ثم من بعدها صناعة السفسطة ، ثم من بعدها الخطابة ، ثم من بعدها صناعة الشعر . فهاتان الصناعتان أكثر حاجةً إلى ذلك ...

وانما صارت الألفاظ والأصوات تفعل في هاتين الصناعتين هذا الفعل من أجل أنها تخيل في المعنى رفعه أو خسنه ، وبالجملة أمرا زائدا على مفهوم اللفظ ، مثل غرابة اللفظ ، فانها تخيل غرابة المعنى ، ولذلك فخامته تخيل فخامة المعنى . والنجم كذلك يفيد فيه هذا المعنى ... وليس يقصد ذلك احد عندما يتكلم على طريق الهندسة ولا على طريق العدد (٩٨) .

فقد ادرك ابن رشد العلاقة الونية بين الشكل والمحتوى ، وقد اقترب في مفهوم ذلك إلى المدى الذي لا يرى منه الشكل منفصلا عن المحتوى ، بل ان الصورة مرتبطة ارتباطا عنيوا مع المادة . فابن رشد يرى مع ارسطو ان الكون هو تغير في الجوهر ، وأنه لا يتكون شيء من لا شيء ، بل من موضوع . وهذا على حد تعبير ابن رشد في تفسير ما بعد الطبيعة حيث يقول : "... المذهب الذي اخذناه عن ارسطو ، وهو أن الفاعل إنما يفعل المركب من المادة والصورة ، وذلك بأن يحرك المادة ويفيرها حتى يخرج ما فيها من القسوة الى الفعل ..." .

ان هذه النظرة الفلسفية للعلاقة بين المادة والصورة قد انعكست تماما في موقف ابن رشد من الأدب بصورة عامة ، حيث يرى المادة متصلة اتصالا عنيوا بالشكل ، وليس متفصلة عنه . وهي النظرة التي يأخذ بها النقد الأدبي في مناهجه الحديثة .

(٩٨) تخيس الخطابة ، من ٢٥٣ .

وربما كانت هذه النظرة الى العلاقة بين الشكل والمحفوٰى ، بين المادة والصورة ، وتطبيقها على الادب ، وفق مفهومه العقلاني له ، اهم قضيّتين يمكن ان يطرحهما الدارس لادب ابن رشد . اما القضية الاخرى ، فقد اشرنا اليها فيما سبق، وهي ارتباط الادب بالحقيقة والمعرفة ، في نظر ابن رشد ...

ابن رشد في مجال اللغة والبلاغة وال نحو :

كان للغة اثر كبير في تحديد فكر ابن رشد ، وتطويع نظريات ارسطو وفلسفته الى واقع الحضارة العربية الاسلامية بمناهيمها وعقيدتها ، بل الى لغتها وادبها .

فقد اعتذر ابن رشد عن ذكر الامثلة اليونانية لانه رآها مجهولة تماما لدى القارئ العربي الذي يتوجه اليه ، ولا تتلامم ايضا مع الجو الاسلامي الذي يكتب له ويعيش فيه ؛ على انه استبدل بهذه الامثلة اليونانية نظائرها في الاسلام ، فاستشهد بشواهد من الفقه والتاريخ الاسلامي واللغة العربية ... حيث اراد ان يطبق القواعد والنماذج التي يذكرها ارسطو على اللغة والادب والخطب العربية ..^(٩١)

وكان ابن رشد يقول منذ البداية ، بان الشريعة الاسلامية تحض من خلال الآيات القرآنية والحديث على النظر الفلسفى . وهي توجب استعمال البرهان المنطقي ، على حد تعبيره ، لمعرفة الله تعالى وموجوداته . ويستشهد على ذلك بآيات من القرآن الكريم ، فيورد مثلا الآية الكريمة : « فاعتبروا يا اولى الابصار »^(١٠٠) . ويبين ان الاعتبار هنا ليس الا استنباط المجهول من المعلوم ، وهو القياس الفلسفى او المنطقي المعروف^(١٠١) .

وبناء على هذا الاتجاه ، فقد استخدم ابن رشد امثلة عربية واسلامية كثيرة في كتاب « تلخيص الخطابة » وفي كتاب « الشعر »

(٩١) انظر : مقدمة تلخيص الخطابة ، من ي .

(١٠٠) مسورة الحشر ٢/٥١ .

(١٠١) انظر : بين الدين والفلسفة ، من ٦١ .

ايضا . وبالرغم من انها شروح لكتب ارسسطو ، غير ان ابن رشد في التلخيص او التحليل ينكلُ باسمه الخامس دائما ، فيعرض مذهب الفيلسوف مضيفا ، حاذفا ، باحثا في الرسائل الاخرى ما تكمل به الفكرة، متذبذباً ترتيباً ومنهاجاً من اختياره ؟ وهكذا على حد تعبير الفيلسوف الفرنسي « رينان » : « فان التخلصات رسائل حقيقة كرسائل ارسسطو »^(١٠٢) . ففي حديثه مثلا عن الامور المستعملة مع الالفاظ على جهة المعونة في جودة التقسيم وابداع التصديق وبلغ الغرض المقصود ، وهي على حد تعبير ابن رشد نفسه ، التي جرت عادة القدماء ان يسموها الاخذ بالوجوه . فيقول : « وذلك ان هذه الاشياء ، لما كان من شأنها ان تميل السامعين الى الاصفاء والاستعمال والاقبال على المتكلم بالوجه ، وتقرير النفس لما يورده ، تستعير لها هذا الاسم . وهذه الاشياء صنفان : اما اشكال ، واما اصوات ونغم والاشكال بالجملة ، يقصد بها احد امرین : اما تفهم المعنى وتخيله الواقع للتصديق ، كما روي عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، انه قال في آخر خطبة : « بعثت انا والساعة كهاتين » وأشار بأصابعيه يترنما ... »^(١٠٣) .

وتراه يخرج في شروح الى دراسات مقارنة ، ثيتحدث عن موقع بعض النظارات البلاغية في اشعار الامم ، ويقارنها بما هو في لغة العرب وآدابها . فنرى ابن رشد يتحدث في موضع آخر من « تلخيص الخطابة » فيقول : « وفيها ايضا انها تستعمل بضرب من الوزن في الكلام الخطبي ... وهذا الضرب من النغم ضروري في اوزان اشعار من سلف من الامم ما عدا العرب ؟ فان من سلف من الامم كانوا يزنون ابياتهم بالنغم والوقفات ، والعرب تزمنها بالوقفات فقط . ومنها ايضا ان تستعمل اشعارا في افتتاح القول وختمه ومواضع الوقف ... »^(١٠٤) .

(١٠٢) رينان ، من ٧٤ .

(١٠٣) انظر : تلخيص الخطابة ، من ٤٥٠ .

(١٠٤) تلخيص الخطابة ، من ٢٥١ .

وقد نظر إلى البلاغة بهذه النظرة المبدعة ، حيث استطاع أن يتمثل نظريات ارسطو من خلال نثر اللغة العربية وشعرها ... ويستخدم « بطبيعة الحال » الاصطلاحات البلاغية التي يبقيها إليها البلاغيون الأعلام قبله ؛ إذ يقول مثلاً : « والاستعارة التي تكون من هذا النوع كثيرة موجودة في إشعار العرب وخطبها ، والاتاويل التي يخصّها أهل لساننا من الناظرين في الشعر والبلاغة بالاستعارة هي داخلة في هذا الجنس » ، ولذلك يقولون : إن المجاز استعارة وتشبيه » .^(١٠٥)

وكان ابن رشد مجال واسع في التعرير ، وكيفية استخدام الألفاظ للدلالة على معانٍ مستجدة ؛ وكذلك توليد الكلمات عن طريق الاشتغال وغيره . فقد ذكرت لنا المصادر المختلفة بين قائمة كتبه ، كلاماً له على الكلمة والاسم المشتق ».^(١٠٦)

وفي حديثه عن تأثير الألفاظ والآصوات في الاتاويل يقول : « والذين وقعوا أولاً على تأثير هذه الأحوال من الألفاظ والآصوات في الاتاويل هم الشعراء ، وذلك أن هذا المعنى اظهر ما يكون في الاتاويل الشعرية » ، مع أن الوقوف على الاتاويل الشعرية هو متقدم بالزمان على الاتاويل البلاغية ... ».^(١٠٧)

ويُعمق نظرته في استعمال الألفاظ في لغات مختلفة ، ليقول : « وأما اللغات فهي متناثر، احدهما ... مثل أن يستعمل الحجازي لفظة حميرية ؟ والصنف الثاني أن يستعمل في مخاطبة أمة ما ، لفظاً ليس من الفاظ أهل لسانيهم ، وإنما هو من لسان أمة أخرى ، مثل ما يوجد في لسان العرب الفاظ كثيرة من الفاظ الفرس والأمم المجاورة لها . وهذا يستعمل على وجهين : أحدهما أن يأتي بذلك اللفظ بعينه من غير أن يغيّر بنيته وتركيبه : والوجه الثاني أن يغيّره تغييرًا يقرب

(١٠٥) طخيص الخطابة ، من ٢٤ .

(١٠٦) انظر : القائمة التي اوردها ربستان ، من ٥٦ — ٤٥٧ . وفي مخطوط الاسكندرال .

(١٠٧) طخيص الخطابة ، من ٢٥٣ — ٢٥٤ .

من الابنیة المستعملة في لسانهم ليسها . بذلك، عليهم النطة بـ « مثل : السجّيل وغير ذلك مما هو موجود في كتب اللغة »^(١٠٨)

لابن رشد يقف هنا موقفاً واضحاً ومتيناً ، نجاه قضية التعرّيب ، سواء أكان ذلك بآيات الفاظ ميّة ، مثل استعمال الحجازي الفاظا حميرية ، أم استعمال اللفظة الاجنبية ، كما هي ، وادخالها الى العربية، من ناحية، او ادخالها بعد اضفاء رونق العربية عليها ... وقد اورد لفظة « السجّيل » وهي لفظة قرآنية ... وهناك ايضا الفاظ موضوعة ، يحدّثها ابن رشد من خلال شرحه فيقول : « وهي الالفاظ المخترعة في لسان جنس ما ، يخترعها أهل ذلك اللسان ، على نحو التركيب الذي لحروفهم »^(١٠٩) . ويبحث « تلخيص الخطابة » اللفظة من حيث اصوات الحروف وتناسقها او عدمه . وهنا ايضا ، تمتزج آراء ارسطو بآراء شارحه ابن رشد ، الى الحد الذي تُرى فيه شخصية الشارح واضحة بارزة ، وذلك من خلال تقصياته وبياناته الامثلة في نطاق العربية وحروفها واصواتها ، اذ يقول :

« وأما المقلّطة فهي الالفاظ التي يعسر النطق بها ، وذلك يعرض الأسباب : منها أن تكون تلك الحروف حروفاً يُعسر النطق بها ، وإن كانت قليلة ؛ ومنها أن يكون سبب العسر فيها كثرة الحروف التي رُكّبت منها ، والتي يعسر النطق بها ، إما أن يكون من أجل مخرج الحرف نفسه وأن ينطلق به وحده ، مثل كثير من حروف الحلق ، وإما أن يكون العسر يحدث له عند تركيبه مع غيره ؛ وذلك إما لتقريب مخارجها ، وهذا هو سبب الادغام في لسان العرب ، وإما لتكرارها ، مثل قولهم : « قصصت ألفاري » . ولذلك بعض العرب يبدلون احدى الصادين « ياء » في مثل هذا . وربما كان السبب في ذلك تضاد المخارج . ولذلك قُلل في لسان العرب اسم يوجد على وزن

(١٠٨) *تلخيص الخطابة* ، من ٢٥٧ .

(١٠٩) *تلخيص الخطابة* ، من ٢٥٦ .

« فعلى » الا ما حكوا من « الدفى ». واكثر الانقلابات والتغيرات التي يضعها النحاة هذا هو سببها (١١٠).

وهنا نستعين بخواص نظرية ابن رشد في النحو ، وقد كانت له مساهمة فيه . ولا عجب من ذلك ، فالنحو عند أهل الأندلس ، على حد تعبير المترى « في نهاية من علم الطبقة » ، حتى إنهم في هذا العصر فيه كاصحاب عصر الخليل وسيبوبيه ، لا يزداد مع هرم الزمان إلا جدّة ؛ وهم كثيرون في البحث فيه ، وحيثما ذهبوا إلى الفقه . وكل عالم في أي علم لا يكون متمكنا من علم النحو ، بحيث لا تخفي عليه الدقائق ، فليس عندهم بمستحق للتبيّن ، ولا سالم من الإزدراء ... » (١١١) .

ولم يخرج ابن رشد عن هذه القاعدة ، فقد أسمى في هذا المجال بكتاب سماه « الفروري في النحو » (١١٢) . وإن هذه التسمية ، تذكّرنا بكتاب أبي بكر الزبيدي القرطبي الذي وضعه قبل ذلك بحوالى قرنين من الزمن وأطلق عليه « الواضح » .

ذكرت اكثر المصادر التي اوردت مصنفات ابن رشد ، كتابه هذا في النحو ، ولكن مع الاسف لم يصل اليها ، ولا نعرف عنه شيئاً ؛ فربما ما زال تائها في بعض الاقبعة او زوايا المكتبات ، وربما فقد الى الابد كما فقدت مصنفات كثيرة من هذا التراث الضخم ، نتيجة التكبات والحروب وما حل بالاندلس من استئصال لجذور حضارة عربية اسلامية اصيلة . وإن التسمية بحد ذاتها « الضروري في النحو » توحى لنا باتجاهه العملي ، في استخدام ما هو ضروري من مواد النحو ؛ وهذا الاتجاه ينسجم تماماً مع طبيعة ملخصة ابن رشد العقلانية والواقعية ... وهو في ذلك استمرار لهذه المدرسة

^{١١٠}) **طبعي الخطابية** ، ص ٢٥٨ .

^{١١١} انظر : النسخ ، ج ١ ، من ٢٠٦ .

(١١٢) انظر : قائمة كتب ابن رشد التي اوردها ريتشارد ، من ٤٥٦ - ٤٥٧ وفق مخطوط اكسيوبيال .

الترطبية ، التي اتجهت اتجاهها عملياً مناهضةً لتعقيدات النحو ، وانشغلهم بجزئيات لافائدة منها .

وجملة القول، فقد كانت ابن رشد جمود طيبة في مجال البلاغة والنقد ، وفي مجال النحو والاشتقاق، والترجمة والتعریف والشرح ؟ وان هذه المجالات تستحق الدراسة المعمقة في مصنفات هذا الفيلسوف الاسلامي، الذي كان على حد تعبير ابن البار : « كان يُنْزَعُ الى فتواه في الطبع كما يُنْزَعُ الى فتواه في الفقه» مع الحظ الوافر من الاعراب والاداب » ...

خاتمة

ربما كان ابن رشد من المفكّرين القلائل في الدنيا ، الذين اهملتهم أممٌ وعيّنت بهم أمم أخرى ؛ لقد تجاوزت مصنفات ابن رشد حدود الزمان والمكان ، وكانت ركيزة أساسية في النهضة الاوروبية فيما بعد .

عُرِّفت اوروبا القرون الوسطى ابن رشد باسم (Averroes) وطارت شهرته لديها بالطلب، من ناحية الفلسفة وبالفلسفة من ناحية أخرى . وربما كان من الطبيعي أن لا يُنْسَى الفرنسي بالجوانب الأخرى في نكر ابن رشد ، في مجال الفقه واللغة والادب . وقد بقيت جميع هذه الجوانب ، مع الاسف، في زوايا الاهمال والنسيان ... ولا شك أن العصورظلمة التي توالت على الامة العربية والاسلامية ، كانت تقف وراء هذا الاهمال .

لم يكن ابن رشد فيلسوفاً وطبيباً فحسب ، بل كان فقيها مجتهداً ، كما ينمُّ عليه كتابه « بداية المجتهد » ؛ كما كان اديباً يعالج أهم القضايا السياسية والاجتماعية والأخلاقية التي تمثّل كيان امته . وقد سار على درب صديقه « ابن طفيل » وكتبه من الفلسفه المسلمين الذين سبقوه ، في محاولة التوفيق بين الحكمة والشريعة ، وبين ما يصل اليه من طريق الوحي والرسيل ...

ولذا فنحن نستطيع أن نعتبر بحقِّ ما كتبه في « تهافت التهافت »
وفي كتابه « فصل المقال » ... وكذلك في « كشف مناهج الأدلة ... »
وغيرها ، من الأدب المقلاني الرفيع الذي يحاول الكاتب فيه معالجة
قضايا إنسانية واجتماعية وأخلاقية وسياسية ، يهدف من ورائها
اصلاح ما نسمى في بناء هذه الآية .

ولم يقف ابن رشد عند هذه الحدود من الأدب ، بل تعداها إلى
تول الشعر ، والإيمان في البحوث اللغوية والبلاغية ولا سيما في مجال
النحو والتعریف والاشتقاق والتقد ... الخ ... وإن شروحد
بلصقات أريسطو لم تكن لتقتصر به عند حد النقل ، بل كانت تتعداها إلى
حد الإبداع في نهم نكر « المعلم الأول » ومتلئه ، وتطبيقه على بيته
العربية الإسلامية، ولا أدل على ذلك من تعقيبه في خاتمة كتاب
« تلخيص الخطابة » بقوله : « وهنا انتقضت معانى هذه المقالة
الثالثة ، وقد لخصنا منها ما تادى علينا فيه، وغلب على ظننا أنه
مقصوده ... » (١١٢) .

(١١٢) انظر : تلخيص الخطابة ، من ٤٤٢ .

المصادر والمراجع

ابن الأبار : ابن الأبار القضاوي اللبناني ، التكملة لكتاب الصلة ، ج ١ - ٢ ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

ابن أبي أصيحة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيحة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، بيروت ، ١٩٥٦ م .

ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ١ - ١٢ ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك ، الصلة ، مصر ، ١٩٦٦ م .

ابن تغري بردى : جمال الدين أبو المحسن يوسف تغري بردى الانابكي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١ - ١٢ ، القاهرة .

ابن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، بداية الجتهد ونهاية المقتضى ، ج ١ - ٢ ، القاهرة .

هـ = : أبو الوليد ابن رشد ، تلخيص الخطابة ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

هـ = : أبو الوليد ابن رشد ، تلخيص السفسطة ، تحقيق محمد سليم سالم ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

- ابن رشد** : ابو الوليد محمد بن رشد ، تهافت التهافت ، ج ١ - ٢ ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .
- ـ ـ** : ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد القرطبي ، رسائل ابن رشد ، حيدر اباد الدكن ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .
- ابن سعيد** : علي بن موسى ، المغرب في حل المغارب ، ج ١ - ٢ ، مصر ، ١٩٦٤ م .
- ابن طفيل** : ابن طفيل الاندلسي ، حي بن يقطنان (ابن سينا وابن طفيل والسمورودي) ، تحقيق احمد امين ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .
- ابن العماد** : ابو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ج ١ - ٨ ، مصر ، ١٣٥٠ هـ .
- الاتصاري** : ابو عبد الله محمد الاتصاري ، نهرست الرصاص ، تونس ، ١٩٦٧ م .
- الذهبي** : الحافظ الذهبي ، العبر في خبر من عبر ، ج ١ - ٥ ، الكويت ، ١٩٦٣ م .
- الضبي** : احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة ، بغيضة الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .
- رينان** : ارنست رينان ، ابن رشد ، والرشدية ، ترجمة عادل زعبيتر ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .
- زيـدان** : جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ١ - ٤ ، القاهرة .
- الزركـي** : خمر الدين الزركلي ، الاعلام ، ج ١ - ١١ .
- المقادـد** : عباس محمود العقاد ، ابن رشد ، القاهرة .

الغزالى : الامام الغزالى ، تهافت الفلاسفة ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

سرج : سرج أنطون ، ابن رشد وفلسفته ، الإسكندرية ، ١٩٠٣ م .

مخري : ماجد مخري ، ابن رشد فيلسوف قرطبة ، بيروت ، ١٩٦٠ م .

المقرى : احمد بن محمد التلميسي ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، ج ١ - ١٠ ، بروت ، ١٣٦٧ هـ ١٩٤٩ م .

موسى : محمد يوسف موسى ، بين الدين والفلسفة ، القاهرة .

النباھي : الشیخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباھي المالقی الاندلسی ، كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتیا ، بيروت .

— BROCKELMAN - Geschichte d. Arab. Literatur Ers.
Sup. LEIDEN , 1937 .

— The Encyclopaedia of Islam , LEYDEN , 1927 .

— Encyclopaedia of Religion and Ethics , vol. I-VIII .
NEW-YORK , 1962 .

نشأة الثقافة العربية الإسلامية

نظرة إلى العراق

لـ الدكتور عبد العزيز الدوسي

ان نشأة الثقافة العربية الإسلامية ظاهرةً معقّدة تتطلب دراسة
بيئاتها والعناصر المكونة لها ، والاتجاهات والتطورات الخامسة .
ونهاياً بـ محاولة أولية لرسم الخطوط العامة ^(١) .

ادى التوسيع العربي الإسلامي – الذي رافقه الشعور
برسالة – الى فتح ابواب البلاد الخصبة الى الشمال امام القبائل
المتنامية باستمرار من الجزيرة الغربية ، وشجّعت الخلافة الهرة
الى الامصار واعتبرتها لازمة للانتماء الكلي للأمة ^(٢) . واعتبرت
العودة الى الbadية ، بعد الهجرة ، امراً مكروراً ^(٣) . وهذا ادى
إلى استقرار متزايد للقبائل في البلاد المفتوحة .

وانتجمت سياسة التعمير ابتداء الى وضع المقاتلة في مجموعات
متماضكة في المراكز الجديدة ، في ثور هجرة مثل البصرة والكونية ،
وفي قرى او مناطق قرب المدن القديمة (كما في الاجناد في الشام) ،
او في اماكن استراتيجية (كما في ارجاء من الجزيرة الفراتية) .

واستمرت القبيلة او العشيرة أساساً في تنظيم السكن والعلاقات
الاجتماعية في الامصار . وكانت القبيلة – عند خروجها من الجزيرة –
تتوزع عادة بين اكبر من مركز او منطقة ، ثم ظُهرت المجموعات القبلية ،
لاغراض التعبئة العسكرية ، في وحدات كبيرة ، على الاسباع (ثم
الارباع) في الكوفة مثلاً، وعلى الاختباس في البصرة .

وساعدت الاقامة في بلد واحد ، وظهور مصالح جديدة ،
والمحاشرات بين القبائل ، اضافة الى تأثير المفاهيم الإسلامية ، على
ظهور ولاءات محلية ، واجدت ظروفنا ثقافية جديدة ، وساعدت

على قيام تكتلات جديدة (٤) . وهذا يوضح كيف ان القبائل الواحدة او القرية ، والتي تعيش في امصار او اقطار مختلفة ، لم تُتخذ موقفاً واحداً في القضايا العامة . وكل ذلك ساعد على ظهور اتجاه نحو الوحدة بين القبائل في المcr الواحد .

وكان كل من الكوفة والبصرة باباً للبادية الى السواد ؛ وهذا يوضح لاحقاً ما اطّراد المهرة اليها . وأكّد هذه المهرة استمرار الصلات بين عشائر المصريين وبين اقربائها من القبائل الرحالة في البوادي المجاورة . هذا الى ان جماعات من المقاطنة (خاصة من ربوعة وتبيم) استمررت على العيش في البادية مع استعدادها لطلبية النساء للمشاركة في الحملات حين استقر الآخرون في الكوفة والبصرة (٥) .

ولم تُشجع الاقامة بين السكان المحليين في البداء ، ونظر اليها بشيء من الإنكار (٦) . وهكذا فان عزلة المقاطنة ، وهي ضرورة عسكرية واجتماعية في البداء ، كان لها اثرها في توفير جوًّا للوحدة والاستمرار الثقافي ، وساعدت على جذب الآخرين الى اطار المجموعات العربية – الى الاسلام والعروبة .

– وكانت اللغة العربية اساس البوءة العربية ، فالناس عرب او مجم بلغتهم . اما المفاهيم المتصلة بالنسب والتسلى تنطوي على مفهوم الجذور البشرية عند القبائل ، فانها لسم تُطمس هذا الاساس . فحين قال الحاج لاهل الكوفة : « لا يؤمنكم الا عربى » ، وتب بعضهم بالقاريء يحيى بن وثاب ، وهو مولى ، لعزله عن الامامة ، فاعتراض الحاج قائلاً : « ويحكم إنما قلت عربى اللسان » (٧) . وهكذا صارت اللغة ، لا الدم ، اساس العروبة (٨) .

ولما كانت العربية لغة القرآن ، فقد ارتبطت بالاسلام ، مما اكسبها حرمـة وساعد على انتشارها . مكان دخول الاسلام يعني تعلـمـ العربية ، وربما المشاركة في الثقافة العربية . وتکاد « العربية »

ان تكون مرادفة للاسلام في الفرات الاولى ^(٩) . فلما سال ابو جعفر (المنصور) مولى لهشام بن عبد الملك عن هويته ، قال : « ان كانت العربية لسانا فقد نطقنا بها ، وان كانت ديننا فقد دخلنا فيه » ^(١٠) .

— كانت القبائل العربية تندفع باستمرار الى الاراضي الخصبة . وقد انتشرت في الجزيرة الفراتية بين دجلة والفرات قبل الميلاد ، وكان بعضها متديلا والآخر مستقرا ^(١١) . فكان مركز قضاة في الحضر ^(١٢) ، وكانت ربعة وتنوخ في الجزيرة ^(١٣) ، والتمر بن قاسط في عين التمر ^(١٤) . وانتشرت تغلب من عين التمر وعانت على الفرات شمالا حتى جبل بثري ، وكانت من رعاة وفلاحين ^(١٥) . وكان في حاضر الرقة (ريفها) قوم من العرب ^(١٦) . وكانت ايساد في الفرات الاوسط واطراف الجزيرة الفراتية ، ثم تحركت في فترة الفتوح الى الجزيرة ^(١٧) .

وكانت في الحيرة قبائل عربية — تنوخ والعباد وجماعات اخرى (الاحلاف) ، وامتد بعضها الى الانبار ^(١٨) . ويقول المدائني : « الانبار والحريرة والقصر الابيض ... وسنداد والخوزنق والمسدير وبارق ، محاضر العرب القديمة من حيز العراق » ^(١٩) . وانتشرت بكر بن وائل في البوادي المطلة على السواد بين القادسية والخليج العربي ^(٢٠) .

هكذا وبنهاية القرن السابع للميلاد كانت مناطق الفرات الاسفل والاوست والجزيرة الفراتية قد تعرّبت لخزّ كبير .

وفي فترة الفتوح وبعدها جاءت قبائل وجماعات جديدة الى العراق ؛ فقد ارتفع ديوان البصرة مثلما من ١٠٠٠ الى ٤٠٠٠ ایام عثمان ، ثم الى ٤٠٠٠ و (٨٠٠٠ من العيالات) ایام علي ، ثم الى ٨٠٠٠ (و ١٢٠٠٠ من العيالات) في ولایة زياد بن ابيه ^(٢١) ، ثم الى ٩٠٠٠ (١٤٠٠٠ من العيالات) في ولایة عبيد الله بن زياد ^(٢٢) . وفي الكوفة ارتفع الديوان من ٢٠٠٠ سنة ١٧ هـ. الى ٦٠٠٠ سنة ٢٥ هـ ^(٢٣) ، الى ٦٠٠٠ في اواسط القرن الاول الهجري ^(٢٤) .

ونزلت مجموعات قبلية ، من تميم وبكر واليبن – خاصة خولان وهدان والإزد – الموصل في خلافة عمر . وتحوّلت الحديّة ، على الزاب الأعلى ، إلى قرية عربية بين نزلها من العرب (٢٥) . ونزلت قبائل عربية في سنمار ورأس العين (٢٦) ، وجاءت جماعات كبيرة من قيس إلى الجزيرة . ثم إن معاوية أتى بجموعات من قيس وأسد وأوطنهن لما كان ستراتيجية بين الرقة وسنمار ، كما ثبتت ربيعة في ديارها من الجزيرة (٢٧) . واستمررت الهجرة إلى الجزيرة الفراتية، وأدت إلى تكوين ديار مضر وديار ربيعة (٢٨) . لهذا رأى مروان بن محمد ، آخر الامويين ، أنه يستطيع الاستناد إلى قيس في تكوين قواته، وانتصب منها عشرين ألفاً (٢٩) .

— وكان للعوامل الجغرافية والبشرية اثرها في العراق ، فقد كان ملتقى الثقافات السامية والآرية، إضافة إلى كونه مهد الحضارة السامية .

كان سكان العراق (النبط) ، وهم ساميون يتكلمون الآرامية . أما الفرس فكانوا فئة حاكمة في المدن الرئيسية (مثل طبسون ونصيبين) ، وبينهم الملوك الكبار والجنود في الحاميات ، وجُلُّهم طردوا أثناء الفتاح أو أُسروا (٣٠) . ولكن بعضهم بقي في المدن، مثل الحيرة ونصيبين وسنمار، أو على الحدود الشرقية للسمول ، بينما جاء آخرون إلى المراكز الجديدة (خاصة الكوفة والبصرة) . وبقي كثير من الدهاتين ، وبعضهم من أهل البلاد (نبطا أو عرباً)، وأسلموا وحافظوا على أراضيهم (٣١) .

وكانت لفظة «نبط» ابتداءً ذات دلالة بشرية (٣٢) ، ثم صارت بعدئذ مرتبطة بالفلاحة والري (٣٣) . وكان يشار للنبط عادة بـ «أهل السواد» أو «العلوج» تمييزاً لهم عن العجم (٣٤) . وتتبادر الروايات عن وضعهم ، بين ما يشير إلى الشعور بالرابطنة والكيان (٣٥) وبين الادعاء بالأصل الفارسي (٣٦) .

اعتبر المسلمين النبط غير محاربين، ولم يتعرضوا لهم في انتقامه
الفتح^(٢٧) . يذكر المدائني أن عمر بن الخطاب «رفع الرق عنهم
ووضع عليهم الخراج في رقبتهم» وجعلهم أكراة الأرض^(٢٨) . وكان
بالمكانين استفلال الأرض وبعيمها وتوريثها ورثتها^(٢٩) . وإذا أسلموا
أغروا من الجزية عادة ، ولكنهم يستمرون على دفع الخراج . ورأى
عمر بن عبد العزيز أن لهم الحرية في ترك الأرض عند إسلامهم ،
ولكن أرضهم تؤول إلى القرية، والأصوات مارست للدولة .

ومع أن النبط أغروا أحراراً من حيث المبدأ ، إلا أن المفاهيم
المحظية الموروثة التي تربطهم بالأرض والاعتبارات الاقتصادية أثرت
على وضعهم . وكانت الهجرة من الريف إلى المدينة أمراً مالوفنا ،
بل وواسعة أحياناً؛ وهي ظاهرة ساعدت على التعرّيف . ومما يُشير
إلى التعرّيف أن النبط ساميون يتكلّمون لغة لها قرابة بالعربية . ولعل
هذا يفسّر سكوت المصادر عن انتشار التعرّيف بينهم^(٣٠) .

هناك إشاراتٌ قليلة إلى موال من النبط مع أنهم - عددياً -
يكونون جمهور الموالين ؛ ولعل ذلك يعود إلى ارتباطهم بالعرب في
الأصول والثقافة . فالحجاج ، وقد أغضبه اشتراك مجموعة من
القراء في ثورة ابن الأشعث ، قال عنهم « إنما الموالى علوج ، وإنما أئمي بهم
من القرى » ، ونفهم إلى قراهم^(٤١) . وتميّز بعض النبط في أمور المال^(٤٢) ،
مثل عميرة وحسان النبطي^(٤٣) ، وفي الحرب، مثل مقاتل بن حيان .
وكان لهم أثرهم خاصّة على العربية في الكوفة^(٤٤) .

ولقي العرب في الفرات الأوسط^(٤٥) وتنقّل في الجزيرة^(٤٦) ،
معاملةً مفردة ، مما يشعر بالتجهيز الإسلامي ، إذ كانوا أحراراً في
بيع أراضيهم ، وعند إسلامهم تصبح أرضهم عشرية .

كان أثر العرب في المدن والريف واسعاً ؛ فقد أصبح التسجيل
في الديوان محدوداً زمن الروانين ، ولم يعد مفتوحاً للجميع ؛ وكان
على الذين لا يسجلون في الديوان (وبالتالي لا يأخذون العطاء)
أن يبحثوا عن وسائل أخرى للعيش ، في التجارة أو الزراعة أو

الهن . يذكر البرد ان الميلـ دـشـ الجوـاسـيسـ الى عـسـكـرـ الـخـوارـجـ فـأـتـوـهـ بـأـخـبـارـهـمـ «ـ فـإـذـاـ حـشـوةـ مـاـ بـيـنـ قـصـارـ وـمـبـاغـ وـدـاعـرـ وـحـدـادـ . . . »ـ (ـ ٤٧ـ)ـ . وـيـدـوـ اـنـ هـذـهـ الـظـاهـرـةـ عـامـةـ لـاـ تـخـصـ بـالـعـرـاقـ ،ـ فـيـ اـخـبـارـ حـمـلـةـ اـبـنـ اـبـيـ بـكـرـ عـلـىـ سـجـيـسـانـ (ـ ٦٩٩ـ/ـ ٧٩ـ)ـ قـاتـلـتـ جـمـاعـةـ مـقـطـوـعـةـ مـنـ مـذـحـ وـهـمـدـانـ (ـ ٤٨ـ)ـ . كـمـاـ اـنـ بـعـضـ الـاعـرـابـ الـقـادـمـينـ اـلـىـ الـمـدـنـ مـثـلـ الـبـصـرـ ،ـ مـاـرـوـاـ فـيـ عـدـادـ «ـ الـمـساـكـينـ »ـ عـلـىـ اـطـرـافـهـ (ـ ٤٩ـ)ـ . هـذـاـ اـلـىـ اـنـ بـعـضـ الـقـاتـلـةـ بـقـواـ فـيـ الـبـوـادـيـ الـمـلـطـةـ عـلـىـ السـوـادـ يـرـعـونـ مـوـاشـيـمـ وـابـلـهـمـ (ـ ٥٠ـ)ـ . وـتـرـدـ اـخـبـارـ شـعـرـاءـ يـتـقـلـوـنـ بـيـنـ قـبـائـلـهـمـ فـيـ الـبـوـادـيـ وـبـيـنـ عـشـائرـهـاـ الـمـوـجـوـدـةـ فـيـ الـمـراـكـزـ الـحـضـرـيـةـ ،ـ وـخـاصـةـ تـبـيـمـ (ـ ٥١ـ)ـ . وـهـذـهـ الـجـمـاعـاتـ اـخـتـلـطـتـ بـحـرـيـّـةـ بـاـهـالـيـ الـبـلـادـ .ـ السـابـقـيـنـ .

وـالـقـتـتـ الـعـرـبـ ،ـ وـخـاصـةـ الـاـشـرـافـ وـاهـلـ الـمـدـنـ ،ـ اـمـتـلـاكـ الـاـرـاضـيـ وـحـصـلـوـاـ عـلـيـهـاـ بـطـرـقـ مـخـلـفـةـ —ـ بـالـاـقـطـاعـ مـنـ الصـوـافـيـ ،ـ وـبـاحـيـاءـ الـاـرـضـ الـمـوـاتـ (ـ خـاصـةـ فـيـ مـنـطـقـةـ الـبـصـرـ)ـ ،ـ وـبـنـجـفـيـفـ الـمـسـتـنقـعـاتـ (ـ خـاصـةـ قـرـبـ الـكـوـفـةـ)ـ ،ـ وـبـاـسـتـثـمـارـ الـاـرـاضـيـ الـخـالـيـةـ (ـ ٥٢ـ)ـ .ـ وـبـالـشـرـاءـ وـخـاصـةـ فـيـ مـنـطـقـةـ الـحـيـرـةـ حـيـثـ كـانـ بـيـعـ الـاـرـاضـيـ مـبـاحـاـ (ـ ٥٣ـ)ـ .ـ وـكـانـ جـلـ الـضـيـاعـ فـيـ الـبـصـرـ مـنـ الـاـرـضـ الـمـوـاتـ الـتـيـ تـمـ اـحـيـاؤـهـ بـحـفـرـ الـقـنـوـاتـ وـبـاسـتـيرـادـ الـاـيـدـيـ الـعـالـمـلـةـ (ـ مـنـ الزـنـجـ خـاصـةـ)ـ .ـ وـشـملـ الـشـرـاءـ اـرـاضـيـ الـخـرـاجـ عـلـىـ نـطـاقـ وـاسـعـ،ـ حـتـىـ اـنـ بـيـعـ الـاـرـضـ الـخـرـاجـيـةـ مـنـ قـبـلـ عـمـرـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ وـاـخـلـافـهـ لـمـ يـوـقـعـ هـذـاـ النـشـاطـ .ـ وـسـاعـدـ الـاـحـيـاءـ عـلـىـ توـسيـعـ الـمـكـيـاتـ .

اـدـىـ هـذـاـ الـاقـبـالـ عـلـىـ الـاـرـضـ اـلـىـ ظـهـورـ مـلـكـيـاتـ كـبـيرـةـ ،ـ يـعـضـهاـ يـشـمـلـ قـرـىـ بـكـاملـهـاـ .ـ وـقـدـ اـنـتـ هـذـهـ التـنـوـرـاتـ اـلـىـ خـلـظـةـ الـجـمـعـاتـ الـقـرـوـئـةـ الـمـتـاسـكـةـ وـالـىـ فـتـحـهـاـ لـلـمـؤـثـرـاتـ الـخـارـجـيـةـ .

وـاعـتـادـ الـعـرـبـ اـنـ يـسـتـخـدـمـواـ «ـ وـكـلـاءـ»ـ لـلـاـشـرـافـ عـلـىـ ضـيـاعـهـمـ ،ـ وـكـانـ عـلـىـ الـوـكـلـاءـ اـنـ يـجـلـبـوـاـ الـفـلاـحـيـنـ اـلـىـ الـاـرـضـ ،ـ اوـ اـنـ يـشـفـلـوـاـ مـلـاحـيـنـ مـنـ القـرـىـ الـمـجاـوـرـةـ .ـ وـمـاـ يـمـرـ مـهـمـةـ الـوـكـلـاءـ ضـربـ الـاـقـطـاعـ الـقـدـيمـ

وحللة الفراغ الناشئة عن ذلك، مما دفع الفلاحين للتحرك إلى مواطن العمل الجديدة. وقد أدى هذا الوضع، افساده إلى العلاقات المتزايدة بين القرى والمراکز العربية – وهي الأسواق الرئيسية للريف – ، والصلات بين القرى والقبائل في البوادي المجاورة للكوفة والبصرة ، إلى انتشار العربية تدريجيا وبصورة متزايدة في الأزياف (٥٤) .

ويُنتَظر أن تكون العربية الدارجة في الريف ضعيفة ، كما يُتوقع أن لا تنجو عربية القرىيين من اللحن (١٢) ، وهذا لا يمنع ان تكون لغة البعض حسنة ؟ فقد اشار الجاحظ الى ان بعض اهالي سواد الكوفة يتكلمون عربة حسنة بالفاظ متميزة، ومع ذلك يُحسّن السامع بالفهم ببطء (١٣) .

وكان انتشار الاسلام ، وحركة العرب ، ونظام الولاء ، موامل في نجاح العربية وفي التعرّب .

ترجع جذور الولاء الى الجزيرة العربية قبل الاسلام . وقد يكون اثر عرب الجنوب مهمًا في تطور الولاء ، ولكن ترايهم لا يزال ينتظر الدراسة . فهناك اشارات في النقوش الجنوبية الى ان قبائل (مسيدة) كانت تربط مجموعات اضعف بها عن طريق الحلف بسبب المصلحة لا النسب . وقد تطلب استغلال الارض ربط جماعات خارجية بالقبيلة وادى الى نوع من الطبقة الاجتماعية، فهناك جماعات تستثمر الارض (العائدة لقبيلة) لقاء جزء من الحاصل ، وهناك طبقة ادنى محية تعمل لقبيلة في فلاح الارض ^(١٤) .

اما بين عرب الشمال فان الولاء بالعتق او الحلف او الحماية كان مألوفا . وكان بامكان جماعات ان ترتبط بقبائل قوية بالحلف، ويسمون موالي موالاة ^(١٥) . والحلف لا يعني بالضرورة المساواة في المنزلة، مع انه قد يعني مساواة في بعض المسؤوليات ^(١٦) .

هذه المفاهيم استمرت في مصدر الاسلام ، ففي ديوان عمر بن الخطاب جملة القبيلة ومواليها في سجل (ديوان) واحد ويعطاء واحد ^(١٧) ، وفي الكوفة والبصرة حالفت الكتائب الفارسية (حمراء ديلم والاساوية) ، اضافة الى الاندغان والسياجة ، قبيلة تميم ^(١٨) . وانتقل بنو العم من الاهاواز الى البصرة وحالفوا بني تميم ^(١٩) .

وكان الموالي ابتداء من ارقاء (اسرى حرب) اعتنقا (موالي عتاقة) ^(٢٠) ، ولكن جل الموالي كانوا من احرار اسلموا وانتقلوا الى المراكز العربية ، واكثراهم نبط ^(٢١) . وبعد ان اوقف عمر بن الخطاب سبي العرب ^(٢٢) ، صارت كلمة « مولي » تشير الى غير العرب ، بينما تشير كلمة « حليف » عادة الى العرب ^(٢٣) .

واستمر الولاء بهذه المفاهيم ايام الامويين ، فقد صنف عمر بن عبد العزيز الموالي الى : موالي عقد (اتفاق) وموالي رحم ، وموالي عتاقة .

وكان ارتباط البعض بامر او قائد سببا لظهور « مولي التباعة » ؛ وهو اتجاه ينسرك ما فعله العباسيون بعدئذ ^(٢٤) .

وكان الولاء مني « الاسلام » « والعربية » في وقت واحد (٧٥) :
فالاعاجم (من غير المسلمين) كانوا يرون أنَّ من دخل الاسلام صار
عرباً (٧٦) . وكان المولى يتطلّبون العربية ويتخذونها لغتهم ؛ وهكذا
اعتبر الحجاج القراء من المولى عرباً (٧٧) . ويلاحظ أن بعض المولى
شُوا بـ « المستعربة » (٧٨) ، وهو تعبير يطلق عادة على عرب الشمال .
 جاء في اللسان، « والعرب المستعربة هم الذين دخلوا فيما بعد فاستعربوا .
 قال الازهري : المستعربة عندي قوم من العجم دخلوا في العرب » .
 فتكلّموا بلسانيهم، وحكوا هيئاتهم، وليسوا بصرحاء فيهم » (٧٩) . وببيو
ان الماهرات ، وكانت مالوفة قبل فترة الحجاج ورائحة في الكوفة
 أيام عمر بن عبد العزيز (٨٠) ، ساعدت على توسيع التعرّب . وهكذا
 اخترق الولاء اطراف النسب القبلي، ووسع الاطار العربي، وساعد على
 انتشار العربية .

ظهر الاسلام في بيئته مدنية ، وأكَّد على طلب العلم ، ومنه
 نشأت اتجاهات الدراسة الأولى في المجتمع الاسلامي . وهذه
 الدراسات ، مع اهتمامات العرب الثقافية الموروثة ، كُوِّنت الخطوط
 الأولى للثقافة العربية الاسلامية . واستمرَّ الحال كذلك لدرجة أن
 النظر الى الثقافات التقديمة كان عرضياً خلال فترة تتجاوز القرن .
 وفي حين ان العربية اضطُرَّت لمواجهة المفاهيم القبلية المحافظة والضيقية ،
 بما فيها من عصبية، قبل ان تستطيع تحقيق قاعدة ثقافية واسعة ،
 كان الاسلام كان قوة دافعة متّوسيمة ، وكان بشكل ملحوظ عوناً
 للعربية .

ترَكَّزَت الفعاليات الثقافية في صدر الاسلام في دور الاجرة
 - البصرة والكوفة خاصة - ، واقتصرت في الأساس على الموضوعات
 الاسلامية والدراسات العربية . كان هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥ هـ)
 يرى أن أسس الثقافة هي القرآن ، والآثار ، واحاديث العرب ،
 وأشعارها، وأبياتها ، وأنساب قريش وسائر بنى نزار (٨١) .
 وبدأت الفعاليات الثقافية بين العرب ، وبدرجة متواضعة ،

بين الموالي الذين اتقنوا العربية^(٨٢) . وتأثرت هذه الفعاليات بتباينين اساسيين : الأول – الاسلامي ، ممثلا في الدراسات القرآنية والحديث والفقه والمغازي ، والثاني – العربي (القبلي) وهو استمرار لم يول سلبة ، في الشعر والایام والاخبار والانساب واللغة .

ويستوعي الانتباه أن التطورات الثقافية مسارت في خطوط متوازية ومتردجة : روایات فردية ومحدودة ابتدأ ، ثم حلقات من الطلبة يأخذون عن شيخ ويضيفون أبحاثهم الى علمه^(٨٣) ، ثم تراكم للمعرفة والدراسات يؤدي الى ظهور مدارس محلية ، واخيرا تبادل المعرفة والتأثير بين المراكز او المدارس المحلية عن طريق الرحلات“ما ادى الى ظهور علماء متذمرين رسموا خطوط التطور المتسلل . ويتبين هذا التطور في دراسة الحديث والفقه والتاريخ وفي الدراسات اللغوية .

واجهت الامة الاسلامية الناشئة مشاكل وحاجات مباشرة – منها انشاء الخلافة ومشاكلها ، ومعاملة المغلوبين والاراضي المفتوحة ، وتطبيق المبادئ الاسلامية في الامصار لمواجهة الحاجات الجديدة . وكانت هذه النواحي باللغة الامامية للتطور الثقافي .

لقد شهد القرن الاول للهجرة رسم الخطوط الاساسية لمؤسسة الخلافة ، مع ما رافقها من تباين واختلاف في الاتجاه ؛ ونشأت الاحزاب السياسية وتطورت آراؤها التي كان لها بعض الاثر في الفقه^(٨٤) . وظهرت آراء في الجبر والاختبار ومسؤولية البشر عن اعمالهم ، وبذا التنظيم الاداري والمالي من التراث المحلي بعد تعديله بضوء مفاهيم اسلامية ، وكان يختلف في واقعه بين قطْر وآخر ، ثم عُرب وتطور بالتدريج لينتهي الى إطار موحد نسي بلاد الخلافة في اواخر الفترة الاموية .

وفي حين ان الفعاليات الثقافية بدأت عربية اسلامية ولم تأخذ من الثقافات القديمة الا في فترة تالية ، نسان الموقف من التراث الاداري والمالي المحلي المتباين في الاقطار اتخذ اتجاهها معاكسا ، اذ عُرب وتطور لينسجم مع المفاهيم الاسلامية بصورة تدريجية حتى ادخل اخيرا في النطاق الاسلامي الثقافي والحضاري .

ارتبطت الفعاليات الثقافية بال حاجات الناشئة : فالدراسات الإسلامية الأولى تتصل بالقرآن ، اذ حاول القراء ان يعلّموا الناس القراءة الصحيحة، وان يبصّرونهم بالمفاهيم الإسلامية ^(٨٥) . يُعَثِّر عمر بن الخطاب بعض الصحابة إلى الأمصار (مثل ابن مسعود في الكوفة ، وأبي موسى الأشعري في البصرة) ليعلّموا الناس القرآن والسنّة ^(٨٦) . قال أهل الكوفة لابن مسعود : « جُزيت خيراً فقد علمت جاهلنا ، وثبتت عالمنا ، وأقرأتنا القرآن ، وفتحتنا في الدين » ^(٨٧) . ويرجو الكثيرون عن عدد تلاميذ ابن مسعود وعن نشاطهم في الكوفة ، اذ كانوا « سُرّج هذه القرية (الكوفة) » كما قال سعيد بن جبير ^(٨٨) . وقد نالوا منزلة اجتماعية عالية بسبب تواههم وحرصهم على رسالتهم ^(٨٩) . وشاركوا في الحياة العامة وفي الاحداث الكبرى من أيام عثمان الى ثورة ابن الائمة ^(٩٠) . وكانوا يدافعون عن المبادئ الإسلامية ، وعن العدالة الاجتماعية . وانضمّ إليهم بعض الاشراف ، وتزايد عدد الموالين بينهم ^(٩١) ؛ ولعلّ هذا يوضح سبب الارتكاب في بداية ظهورهم . وُشمِّر فعالياتهم بالصلة الوثيقة بين النشاط الثنائي وبين الحياة العامة .

وشهد جيل التابعين بين القراء تضاهاء ، واصحاب فتيما ^(٩٢) ، وعلماء ^(٩٣) ، وفتحاء ^(٩٤) . يقول ابن سعد « ثم كان التابعون بعد اصحاب رسول الله من أبناء المهاجرين ؛ والأنصار وغيرهم فيهم فتحاء وعلماء ، وعندهم رواية الحديث والأثار والنقوش والفتوى » ^(٩٥) . وشملت دراساتهم الحديث وال نحو والتشير والفقه ^(٩٦) .

وكان دور القراء والعلماء والقضاة ^{مِهْما} لنطّور الفقه . ويجب الاعتماد على القرآن رجعوا الى السنّة ؛ ويشار الى سنة الرسول في فترة مبكرة . ثم ان المشاكل الجديدة في الامصار ادت الى الاجتهاد بالرأي منذ زمن الراشدين ^(٩٧) ، وواضح ان قيام الخلافة ومعاملة البلاد المغلوبة تطلّبت الاجتهاد والرأي . وبالاضافة الى ذلك كان هناك الاتجاه الى اعتماد المذاهيم والقيسم الإسلامية في مختلف نواحي الحياة ، والى تطوير العرف المحلي لبلانم الاسلام .

وقد لجأ الصحابة إلى الاجتهاد بصورة مفردة أو بالشورى ، وصارت أقوالهم جزءاً من الآثار . كما كان للتابعين رأيهم واجتهادهم . وأدى الوضع في الحديث إلى تحديد استعماله من قبل البعض ، بينما لجأ آخرون - مع الشدد في النقد - إلى الآثار . وكان الرأي يعطى بالقياس ، أو وفق متطلبات المصلحة . ونشأ حُكْمٌ في الفقه : فقه الرأي وفقه الآخر ، وذلك بضوء التوسيع في استعمال الرأي أو تقييده . ولم يكن التقسيم يستند إلى قاعدة جغرافية (الكوفة - المدينة) بل إلى الوجهة الخاصة بالفقهاء ^(٩٨) .

وأدّى التباين في الظروف المحلية ومدى الأخذ بالرأي أو الاستناد إلى الحديث والآثار إلى أن تظهر بصورة تدريجية سنن محلية أو طرق « عمل ». وتطورت هذه البدايات المحلية بعد فترةٍ ليختلفها الأجماع بمفهومه العام ، ولذلك أصلًا آخر من أصول الفقه .

وقد أدت الجهود الجماعية والتكاملة للعلماء إلى قيام مدارس فقهية في العقود الأولى من القرن الثاني للهجرة . ويسترعى الانتباه أنه لا توجد خلافات أساسية بين هذه المدارس في المبادئ أو الطريقة . وعلى العموم فإن الرجوع للرأي كان أوسع في العراق ، بينما كان التأكيد على الحديث أقوى في المدينة . وتَمَيَّز بعض العلماء بدراساتهم الواسعة وبعلمهم في المدارس (المراكز العلمية) مثل إبراهيم النخعي (٧١٥/٩٦) وحماد بن أبي سليمان (٧٣٨/١٢٠) في الكوفة ، والزهرى (٧٤١/١٢٤) وربيعة الرأي (٧٥٣/١٣٦) في المدينة ، وكان دورهم بداية التطور الذي أدى إلى ظهور آئمة المذاهب (أبو حنيفة ، مالك ، الشافعى ، احمد بن حنبل) . وهذا التطور من الدراسات المشتركة المتكاملة (في المدارس) إلى قيام آئمة (في الفقه) - وهو اتجاه يظهر أيضاً في حقول ثقافية أخرى - يُشير بنضج المدارس الفقهية ، مما أدى إلى ظهور المذاهب بطلع القرن الثالث للهجرة ^(٩٩) .

وبعدت براسة حديث الرسول (ص) في فترة مبكرة بين الصحابة ،

نُم شملت الدراسة آثار وسنن الصحابة . وكانت التطورات وال حاجات الجديدة سبباً لذلك ، كما أدت هذه إلى الوضع في الحديث ؛ فالمصالح السياسية والحزبية والمحلية والمذهبية وجدت مجالاً في وضع الأحاديث ، وأدى الوضع بدوره إلى التدقير في نقد الحديث ؛ وهو تدقير بدأ في المتن، وتركت تدريجياً ويزور الزمن على الاسناد ، وجاء علم الجرح والتعديل مثلاً رائعاً للتدقيق والحيطة والتوثيق .

وكان الاهتمام بجمع الحديث مبكراً زمن الصحابة والتابعين في محف واجزاء، وتلا ذلك « تقدير » الأحاديث في الصحف والروايات في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني للمigration ، ثم بدأ « التصنيف » أو جمِيعُ الأحاديث حسب الموضوعات لفائدة المشتغلين بالفقه وذلك في الربع الثاني للقرن الثاني للمigration . وأدى حرص المحدثين على أحاديث الرسول (ص) إلى عمل مجموعات للحديث مرتبة حسب روايتها من الصحابة من أواخر القرن الثاني للمigration، ورافق ذلك تأكيد خاص على الإسناد . ومما يلاحظ أن كتب الطبقات الأولى جاءت من نفس الفترة . وأخيراً ، خلال القرن الثالث للمigration، وضمت الجامع الأكثر شمولاً وتدقيراً ، وهي كتاب الصحاح ، ونظمت على فصول الفقه .

وأَسْتَخَدِمَت الكتابة لحفظ الحديث جنبَ الرواية الشفوية ؛ وقد عرف الزهرى بكتابته الحديث (١٠١) . وجاءت المجموعات الأولى للحديث من الثلث الثاني للقرن الثاني للمigration ؛ وهي نفس الفترة التي جاءت منها المؤلفات الأولى في التاريخ (١٠٢) .

بدأ التقسيم مبكراً في قراءة القرآن وكان على صلة وثيقة بعلم الحديث . وكانت المحاولات الأولى في الأساس شروحًا لغوية للنصوص، وأشارات إلى ظروف نزول الآيات . وقد أتى من الشعر (الجاهلي) لتوضيح بعض الكلمات ، كما استند التقسيم إلى المأثور — حدث الرسول (ص) وأقوال الصحابة (١٠٣) .

وتتطور التفسير ببرمجة في مصر التابعين ، وأخذ بعضهم بالرأي اضافة الى الآثار والشروح اللغوية ، ورجع البعض الى اهل الكتاب لتوضيع بعض الاشارات القرآنية ، فتبررت الامراضيات» وأشارت شيئاً من الشك والتحفظ^(١٠٤) . وهكذا بدأ بوادر اتجاهين في التفسير : التأكيد على المأثور ، والرجوع الى الرأي .

وقد أهتم بالدراسات القرآنية جماعات لهم اتجاهات دراسية مختلفة ؛ اذ نرى القراء واللغويين والمحققين يستغلون بالتفسيـر . وقد اسهم بعض القراء مثل نصر بن عاصم (٨٩٥/٧٠٧ م) ويحيى بن يعمر (١٢٦/٧٤٦) وبعض اللغويين، مثل عيسى بن عمر الثقفي (١٤٦/٧٧٦) وأبي عمرو بن العلاء (١٥٢/٧٧٠) في التفسـير .

واستعملت الكتابة في التفسير زمن التابعين ، ووضفت تفاسير من اواخر القرن الاول (مجاهد ١٠٤/٧٢٢ ، قنادة ١١٨/٧٣٦ ، عطاء الخراساني ١٣٣/٧٥١) .

وانتسمت التفاسير من اواخر القرن الثاني بصورة عامة بطبع الجمع ، واحتوت على مواد تاريخية وفقية ولغوية . كما اُضفت في هذا القرن تفاسير لغوية لها أهمية خاصة مثل مجاز القرآن لابن عبيدة ومعر بن المثنى (٢١٠/٨٢٥) ومعانى القرآن للقراء (٢٠٧/٨٢٢) .

ولجا المعتزلة الى الرأي في التفسير (منذ القرن الثاني) مستقدين من المواد اللغوية . ووضع المحدثون – الذين تحوي مجموعاتهم في الحديث عادة على قسم في التفسير – تفاسير منذ النصف الاول من القرن الثالث الهجري، معتمدين على الآثار بالدرجة الاولى .

وهكذا ظهر خطان واضحان في التفسير : التفسير بالآثار ، وهذا بلغ قمته في تفسير الطبرى (٢١٠/٩٢٣) ، والتفسيـر بالرأـي، الذي بلغ درجة عالية في الكشف للزمخشري (٥٣٨/١١٤٢) (١٠٥) .

— ازدهر الشعر خلال القرن الاول المجري ، وتأثر بالاوضاع السياسية والاجتماعية الجديدة في المراكز الجديدة ، كما تأثر بالمفاهيم والقيم الاسلامية . ومع أن الكثير من الشعر ينطوي على استمرار للشعر القديم في الاسلوب والاخيلة ، فان موضوعات جديدة ظهرت بالإضافة الى النظارات والمنطلقات الجديدة (مثل الشعر الاسلامي ، شعر النقائض ، الشعر السياسي ، شعر الغزل) ؛ هذا الى وجود الشعر الحضري جنب شعر البايدية ؛ كما ان تطورات جديدة حصلت في الاسلوب . وجاءت حركة التجديد الشعرية في العصر العباسي الاول بشعر اكثر رقة واعلى ثقافة ، واكملت على موضوعات جديدة . ومع هذا بقي للشعر القديم منزلة رفيعة في عالم النظم ^(١٠١) .

خرج العرب من الجزيرة بِلْفَةٍ راقية وشعر رائع وتراث حضري جنوبى . وكانت للقبائل لهجاتها (لغاتها) ولكن سكانها مجتمعة في المراكز الجديدة ادت إلى ظهور عربية مشتركة في التخاطب . يقول الجاحظ : « وأهل الامصار انما يتكلمون على لغة النازلة منهم من العرب ، ولذلك تجد الاختلاف في الفاظ من الفاظ اهل الكوفة والبصرة والشام ومصر » ^(١٠٢) . ولكن القرآن الكريم اعطى المثال للعربية في الكتابة ، واعطاها وحدة واستمراراً عبر العصور .

وبدأت الدراسات اللغوية في فترة مبكرة ، وهي تُشير بالحرص على قراءة القرآن بصورة صحيحة، والحماس لنقاء اللغة العربية . لقد أستعملت العربية اعداد متزايدة من الموالى، وتترعررت للحن . واحتللت العرب بالاعاجم في الامصار ، كما فتحت بيوتهم للسبايا ، مما اثر في لغة الكثرين ^(١٠٣) . ويُتخذ اللحن خطورة واضحة في قراءة المصحف ؛ وهي مشكلة تعرض لها حتى البعض من الاعراب . جاء في رسالة لعثمان تخوفه من الابداع « بعد اجتماع ثلاثة فيكم ؛ تكامل النعمة » وبلغ اولادكم من السبايا وقراءة الاعراب والاعاجم القرآن ^(١٠٤) .

بـدا اللحن في اواسط القرن الاول للهجرة وانتشر في فترة التابعين ،
وادى الى رـد نقلـ تویـ في الدواـنـ العـربـيـةـ وـبـينـ بـعـضـ الـمـوـالـيـ المـتـعـرـبـيـنـ،
لـحـمـاـيـةـ الـعـربـيـةـ وـلـلـحـفـاظـ عـلـىـ مـفـانـهـ . يـبـيـنـ الزـبـيـديـ انـ ظـهـورـ اـسـلـامـ
وـخـوـلـ النـاسـ فـيـهـ وـكـثـرـةـ مـنـ وـجـدـ تـحـتـ لـوـانـهـ اـدـيـ الىـ انـ «ـ اـجـتـمـعـ
فـيـهـ اـلـسـنـةـ اـلـتـفـرـقـةـ وـالـلـغـاتـ اـلـمـخـلـفـةـ»ـ فـقـاـ الفـسـادـ مـيـ اـلـعـربـيـةـ .
نـعـطـمـ الاـشـفـاقـ مـنـ نـشـوـ نـذـكـ وـغـلـبـتـهـ ، هـنـىـ دـعـاهـمـ الحـذـرـ مـنـ ذـهـابـ
لـفـتـهـ وـفـسـادـ كـلـاـمـهـمـ اـلـىـ انـ سـبـبـواـ اـلـسـبـابـ فـيـ تـقـيـيـدـهـاـ لـمـنـ ضـاعـتـ
عـلـيـهـ وـتـقـيـيـفـهـاـ لـمـنـ زـاغـتـ عـنـهـ »ـ (١١٠)ـ . كـلـ ذـكـ اـوـجـ دـانـعـاـ قـوـيـاـ
لـلـدـرـاسـاتـ اـلـعـربـيـةـ »ـ (١١١)ـ .

وـتـرـبـيـتـ بـدـاـيـاتـ النـحـوـ اوـلـاـ بـقـرـاءـةـ الـقـرـآنـ : فـقـدـ أـحـدـثـ تـقـطـ
لـتـبـيـيـزـ حـرـكـاتـ الـأـعـجـامـ فـيـ الـقـرـآنـ مـنـ قـبـلـ اـبـيـ اـلـسـوـدـ الدـؤـلـيـ (٥٦٩ـ)
ـ٦٨٨ـ)ـ ، وـلـذـاـ بـتـبـسـبـ الـهـ وـضـعـ النـحـوـ . وـيـعـودـ اـلـىـ فـتـرـةـ ذـاتـهاـ
وـضـعـ النـقـاطـ لـتـبـيـيـزـ الـحـرـوفـ الـمـتـاـلـلـةـ، لـضـمـانـ الـقـرـاءـةـ السـلـيـمـةـ »ـ (١١٢)ـ .

وـكـانـ رـوـادـ عـلـمـ النـحـوـ مـنـ يـحـيـيـ بـنـ يـعـمـرـ (١٢٩ـ /٧٤٧ـ)ـ وـعـبـدـ اللـهـ
ـبـنـ اـبـيـ اـسـحـاقـ الـحـضـرـمـيـ (١١٧ـ /٧٣٥ـ)ـ اـلـىـ الـكـسـائـيـ (٨٠٥ـ /١٨٩ـ)
ـقـرـاءـ (١١٣)ـ ؟ـ فـنـهـمـ الـقـرـآنـ يـعـنـيـ مـعـرـفـةـ جـيـدةـ بـلـفـتـهـ وـبـأـعـرـابـ نـصـوـهـ .
يـقـولـ الـذـهـبـيـ عـنـ الـكـسـائـيـ : «ـ وـكـانـ مـنـ اـهـلـ الـقـرـاءـةـ، وـهـيـ كـانـتـ
عـلـمـهـ وـصـنـاعـتـهـ »ـ (١١٤)ـ .

وـنـظـرـ الـبـعـضـ عـلـىـ الـلـغـةـ عـلـىـ اـنـهـ فـيـ اـلـاسـاسـ تـوـاضـعـ وـاصـطـلاحـ ،
بـيـنـماـ ذـهـبـ الـبـعـضـ الـآـخـرـ اـلـىـ اـنـهـ تـوـقـيـفـ ؟ـ وـهـمـاـ وـجـهـتـانـ مـتـرـجـتـانـ،
تـعـبـرـانـ عـنـ نـظـرـتـيـنـ فـيـ النـحـوـ »ـ فـقـدـ كـانـ السـمـاعـ مـنـ اـسـسـ الـدـرـاسـاتـ
ـالـلـغـوـيـةـ ، كـمـاـ أـعـيـرـ الـقـيـاسـ مـعـ التـعـلـيلـ قـاعـدـةـ اـخـرـيـ فـيـ النـحـوـ .
وـكـانـ لـكـلـ مـنـ الـاتـجـاهـيـنـ مـؤـيـدـوـنـ فـيـ الـبـصـرـةـ (١١٥)ـ . ثـمـ سـادـ الـقـيـاسـ
ـفـيـ الـبـصـرـةـ (ـمـهـدـ الـنـحـوـ)ـ وـالـسـمـاعـ فـيـ الـكـوـفـةـ . وـبـيـدـوـ اـنـ بـيـنـةـ
ـالـكـوـفـةـ الـعـربـيـةـ السـامـيـةـ فـيـ اـلـاسـاسـ اـقـرـبـ اـلـىـ الـاتـجـاهـ اـلـىـ السـمـاعـ
ـوـالـسـلـيـةـ ، اـمـاـ بـيـنـةـ الـبـصـرـةـ الـتـجـارـيـةـ الـمـخـلـطـةـ فـانـهـاـ تـلـبـيـتـ قـوـاعـدـ
ـاـكـثـرـ تـحـدـيدـاـ لـفـهـمـ الـلـفـةـ . اـكـتـبـتـ الـبـصـرـةـ عـلـىـ الـقـيـاسـ لـوـضـعـ قـوـاعـدـ

عامة، أما الشواد فانها سُجلت وأهيلت؛ وأما الكوفة فانها رأت في ان يسار وفق السماع، وتوجزت في وضع القواعد الى حد الاستناد الى النواير عند الحاجة^(١١١). وقد ورثت بفداد المدرستين، ولكنها كانت اميل الى الاتجاه الكوفي. وآخر تفوق الاتجاه الى السماع على وجهة التقياس، وانتصرت بذلك المحافظة. وهذا يثير السؤال عن مدى تأثير القراءات المقبولة في تفوق السماع^(١١٢).

وسارت الدراسات اللغوية الى جنب دراسة النحو؛ فالحاجة الى فهم القرآن، والحديث احياناً، دعت الى الرجوع للشعر والى عربية الbadia. ذهب اللغويون الى الbadia، الى الاعراب الفصحاء، (وجاء بعض هؤلاء الاعراب الى المدن) للأخذ عنهم^(١١٣). وكانوا - وخاصة البصريون - حذرين في بحثهم عن العربية الصافية، ولذا تجنبوا في الغالب القبائل التي تأثرت بأهل الحواضر القريبة. ومع ان تأكيد الروايات على الأخذ من الاعراب البدائيين لا يخلو من مبالغة، فان هذا الأخذ في عالمه ادى الى تسجيل ما يتصل أساساً بالحياة البدوية.

كان أبو عمرو بن العلاء (٧٧٠/١٥٤) شيخ الدراسات اللغوية في عصره، يُعرف بأنه أعلم الناس بالعرب وبلغتهم وبالشعر والإيماء وبالقرآن. وكانت «عامة اخباره عن أعراب قد ادركوا الجاهلية». وكان اثره كبيراً في إعداد طلبة نابهين من الجيل التالي^(١١٩). وقامت ابحاث واسعة ومركزة على يد الجيل التالي في البصرة، وتنبئ بينهم ثلاثة من تلاميذ أبي عمرو بن العلاء: أبو عبيدة معمور بن المثنى (٨٢٦/٢١١)، وأبو زيد الانصاري (٨٣٠/٢١٥) والاصمسي (٨٢١/٢١٧)، وهؤلاء انددوا في بحوثهم من اساتذة آخرين ومن ثقات الاعراب، حتى قبل فيهم: «عنهم أخذ ما في ايدي الناس من هذا العلم، بل كلّه»^(١٢٠). وكان اعلام المدرسة اللغوية في الكوفة الكسائي (٨٠٥/١٨٩) والفراء (٨٢٢/٢٠٧) والمنفل الخبي (٧٨٦/١٧٠) وابن الاعرابي (٨٤٤/٢٣١). وهكذا نجح هذا الاتجاه في الدراسات في أوائل القرن الثالث للهجرة^(١٢١).

وكانت المجموعات الاولى للكلمات عفوية دون خطه . ثم تلتها مجموعات تدور حول موضوع او مادة . واخيرا جاء الخليل بن احمد الفراهيدي (٧٦١/١٧٥) بفكرة اول معجم (العين) ، وتحققت فكرته على يد تلميذ له، وربما بمشاركة آخرين . وسار علماء اللغة بعده على خطته الى ان وضع الجوهرى (١٠٠٧/٢٠٨) خطة اخرى (١٢٢) .

جاءت القبائل بلهجاتها (لغاتها) الى المراكز الجديدة (١٢٣) ، وهذا اكسب العربية حيوية وغنى . ثم ان استعمال العربية على نطاق واسع بين غير العرب ، والاختلاط في البيئات الجديدة، وتطور الحياة في المدن ترك آثاره وأدى بالتدريج وبين الطبقات الدنيا الى ظهور عربية للخاطب تتصرف بالبساطة، ولا تلتزم بقواعد النحو (١٢٤) ؛ وبذا ذلك يوضح في اواخر القرن الأول . ومع ذلك فان الحاجاج كان يرى ان دور المهرة (الكوفة ، البصرة) هي «موضع الفصاحة والاعراب » . واثنى بحشل على اهل واسط لفصاحتهم ، وعلّم ذلك بان الحاجاج « كان لا يدع احدا من اهل السواد يسكن واسطا » (١٢٥) .

وفي القرن الثالث الهجري ، والعربى لغة الثقافة ، كانت الفصاحة ما تزال تُعرَف بعربى الاعراب الأفخاح . ويجبن هذه اللغة يشير الجاحظ الى لغة المولدين والبلديين بتركيبها واعرابها (١٢٦) . وعلى كلٍّ، وبالاضافة الى لغة التخاطب اليومية ، التي لا تخلو من لون محلى ، صارت العربية لغة الحضارة، وفيها المرونة التي تتطلبها الحاجات الثقافية والحضارية . ومع ذلك استمرت الجمود للحفاظ على صفاء اللغة، وعلى جعل النحو اداة فعالة تُمْكِنُ الجميع من اتقانها عن طريق التعلم (١٢٧) .

وبعد دراسة التاريخ وكتابته في خطين — اسلامي وقبلى ، لمنى المدينة اتجهت الدراسات التاريخية الى المغاري والجماعات الاسلامية الاولى، ثم شملت تاريخ الامة . وفي الكوفة (ثم البصرة) اتجهت الدراسات الى نشاط الخلافة، والى معاليات القبائل وشأنون الامصار .

وكان المحدثون رؤاد المغازي، في حين نهض الأخباريون بالدراسات التاريخية في الكوفة، وشارك فيها لاحظاً ما بعض النسابيين واللغويين.

تناول الأخباريون في دراساتهم كل جوانب التاريخ الإسلامي في كتب يتعلق كل منها بموضوع أو بفترة . وبينما يلاحظ أسلوب المحدثين في التدقيق والاسناد في كتابة المغازي، فإن الأخباريين يشعرون باستمرار نواحي الاهتمام القبلية، وبأنثر أسلوب تخصص الأيام . وكان عروة بن الزبير (٧١٢/٩٤) رائد مدرسة المغازي، واستقرَّ هيكل السيرة على يد تلميذه الزهرى (٧٤٢/١٢٤) بينما كتب الأخباريون في الجيل التالي له .

وهكذا نشأت الدراسات التاريخية في الإسلام، وتطلورت في نطاق الثقافة العربية الإسلامية . أما الترجمات لرسير الملوك من الفهلوية ، والأخذ من الاسرائيليات، فإنها أدخلت مادة ضعيفة إلى الدراسات التاريخية، ولكنها لم تأت بفكرة أو بمنهج .

وشهد القرن الثالث الهجري تبادل التأثير بين درستي التاريخ في المدينة والكونة، في الأسلوب والافق والمفاهيم التاريخية ، ويلي ذلك ظهور المؤرخين الكبار بعد منتصف هذا القرن ، وهم يمثلون قمة التطور في الدراسات التاريخية في فترة التكوين (١٢٨) .

وكانت الصلات بالثقافات الأخرى شفوية ومحدودة : فهناك الاسرائيليات ، وبعض اللاهوت المسيحي ، وبعض الاتصال القانونية التي تسرّبت عن طريق الداخلين في الإسلام ، اضافة إلى ظليل من الهلنية . واثيرت استلهة عن حرية الرأي، والصنفات الالهية، وخلق القرآن . ولا يخفى أن مسألة حرية الإرادة والاختيار - كما في كثير من القضايا الأساسية - بذلت كشكلاً سياسياً في العصر الاموي ، ولكن الاتصال قد يترك بعض الآخر . ويلاحظ تسللاً بعض الآراء الدينية الفارسية في بيضة الكوفة عن طريق بعض المسلمين الجدد ؟ وهذا يلحظ عند الغلاة . ولكن هذه الصلات كانت أولية، ولا يوجد ما يدل على اقتباس متعمّد الا في الحاجات المادية .

وأدى تعریب الدواوین زمان الأميين (من ایام عبد الملك بن مروان الى ایام هشام بن عبد الملك) الى إغناء العربية ، وساعد على ان تصبّع لغة الثقافة لل المسلمين وغيرهم . وقد فتح التعریب الباب للشعوب الاخرى في المجتمع الاسلامي المساهمة في الثقافة وتأكّد ذلك بعد الثورة العباسية .

وكان للتراث المحتي ، الاداري والمالي خاصة ، اثره ؛ وكان للمسلمين ان يأخذنوا ما يرون مادام لا يتعارض والمفاهيم الاسلامية . وقد ادخل المسلمون عليه ابتداء تعديلات بضوء المبادئ الاسلامية ، ثم طوروه وعزّبوا « واخيرا تمثّلوه في مجرى الحضارة العربية الاسلامية .

وان وُجِدت اشارات الى بدايات اولية وفردية للترجمة زمن الاميين ، فان العباسيين نَظَّمُوا الترجمة وشَجَّعُوها في العلوم والطب والفلك، واخرا — من او اخر القرن الثاني — في الفلسفة . وهذه الترجمات لم تُدخل عنصراً غريباً غير مؤتلف في الثقافة، عدا الفلسفة التي تضمنَت احياناً آراءً ومفاهيم لا تنسمم والبادىء الاسلامية . وحاول العلماء المسلمين ان يفيدوا من المنطق اليوناني، وان يوفقاً بين الفلسفة والاسلام في الشكل والمضمون .

وهناك خط آخر للترجمة – عن الفهلوية بالدرجة الأولى – تبنّاه الكتاب وبعض رجال الأدب ، وشمل مؤلفاتٍ أدبيةً وتاريخيةً ودينية . وكان لهذه الترجمات بعض الاثر في الإراء وفي بعض الحركات الدينية السياسية الخارجية ، وكانت تتصل بالصراع الثقافي مع الشعوبية . وربما كان للاحتكاك والصراع الثقافي اثرٌ في تجديد الاهتمام بالتراث الأدبي العربي، وفي تأكيد جديد على العربية وصلتها بالاسلام، وفي تجديد التأكيد على العربية أساساً للعروبة .

وفي هذه الفترة لم تُعد الرسالة الدينية التي حملها العرب ابتداءً قاصرةً عليهم، بل شاركهم فيها المسلمون من مختلف الشعوب، وأصبحت رسالة العرب نتائجيةً حضاريةً.

N. Poliak - L'Arabisation de L'Orient Sémitique, R. E. I. 1938, pp. 35-63
W. Marcais - Comment L'Afrique du nord a été Arabisée, Articles et Conférences (Paris 1961) pp. 171-192;

R. Blachere - Regards sur L'acculturation des Arabo-Musulmanes, Arabica, III, pp. 247-65.

^{٢)} الشيباني - المسنون ، ج ١ ، ص ٨٨ ، من ٩٤ - ٩٥ .

(٢) الطبرى - تاريخه ، س ١ ، من ٢٨٦ . البلاذري - أنساب الأشراف ، ج ٤ ،
ف ٤ س ١١٤ . قال الاخت بن قيس اثناء الفتنة في البصرة سنة (٥٦٤) يرد
على افتراخ الفضياب القمبثري بيان ترك تعيين البصرة « امسا خروجنا من المسر غالباً
لا ندع مهاجرنا وبركتنا وفي الله طلبنا نتغترب بعده الفتنة ». وجاء في لسان
المرء : « وكان من يرجع بعد الهجرة إلى موسمه ، من غير ذذر ، يمدونه
كالمزيد » ، مادة « مرب » .

^٤) المبرد - الكامل (باعتماد أبي الفضل إبراهيم وشحاته ، القاهرة ١٩٥٦) .
١٤١ ص :

٥ يقول ابن سعد عن الزبير بن بدر ، الذي ثبت على الاسلام خلال الردة : « وكان ينزل ارض بنسي تميم ببادية البصرة ، وكان ينزل البصرة كل يوم . وبقول من الافرع ابن حميس « وكان ينزل ارض بنسي تميم ببادية البصرة » . الطبقات . ج ٧ ، ق ١ ، م ٢٤ .

٦) في ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٣٦ : « سمعت أباى يقول : نهانى رسول الله ، أو سمعت رسول الله (من) ينهى من النثامة ، لمن أقام ببلاد الخارج بعد شتا ، مانا اكره ان اقسى » .

وَجَاهَ فِي الْلُّسَانِ : « مَنْ تَنَا فِي أَرْضِ الْعِجَمِ فَمَمِلُّ نَيْرُوزِهِمْ وَمَهْرَاجَانِهِمْ حَشْرِيْمَهُ » ، مَادَة « تَنَا » . وَانتَظِرْ : حلْيَةُ الْأَوْلَيَاءِ .

^٧) البلاذري - أنساب ، (خط) ف ٢ ، ص ٧٥ ، من ١٢٢٥ .

^{١٨}) انظر : **رسائل الحافظ** (تحقيق عبد السلام هارون) ، ج ١ ، من ١٠ - ١١ :

١٠٥، ٢٥، ٣٥، الطري

^{١٠} البلاذري - انساب (خط) ف ٢، ص ٧٥.

¹¹ فـ طـرـ عـلـيـنـ وـأـسـدـ وـأـسـرـ الـعـنـ وـمـنـجـدـ وـالـعـاـ

Dillemann - Haute Mesopotamie Orientale (Paris 1962) : ١٢ انتہا
P.P. 34 - 8, 88 - 9.

الطبوري ، س ١ ، من ٨٢٧ و الأغاني ، ج ٢ ، من ١٠٠ - ١

١٥٠ الطيبي، سعيد (٢٠٠٣) مفهوم التكامل - محمد فؤاد شدّيق

ابن انتہا = ۱۵۰۰

Muss & Middle Euphrates (New York, 1927), p. 295.

- (١٦) البلاذري — فتوح ، من ٢٨٠ ، وانظر : من ٤٦٩ .
- (١٥) المدائني — صلة جزيرة العرب (باعتئاه الاكوع ، دار اليمامة) ، من ٧٠ ، من ٣٧٥ ، من ٣١٩ . البكري — معجم ، ج ١ ، من ٢٢ — ٢١ . البلاذري —
Musil, op. cit., p. 312.
- (١٧) البلاذري — فتوح ، من ١٨٢ ، من ١٧٧ .
- (١٨) البكري — معجم ، ج ١ ، من ٦٦ — ٧١ .
- (١٩) الطبرى ، من ١ ، من ٨٢١ — ٨٢٢ ، من ٢٩٦ . وانظر : من ١ من ٧٢٤
من ٧٢٧ من قدم العرب في العراق ، البكري — معجم ، ج ١ ، من ٥٢ — ٥٣ .
هذا اشارة الى جماعة من بكر بن وائل ، المبرد — الكامل ، ج ٢ ، من ٢٦ .
- (٢٠) المدائني ، من ١٦١ .
- (٢١) البكري — معجم ، ج ١ ، من ٨٥ — ٨٦ . ابن اعثم الكوفي — فتوح ، ج ١ ،
من ٨٨ — ٨٩ . وينظر المدائني أنها تندى من الابلة الى هيت ، من ١٦٩ .
وكان اماره ميسين (ميسان) عند مصب دجلة يحكمها مرب وادون من مهان
وذلك قبل تبام الحيرة . كرستننس — ابران زمين الدساتين ، من ٧٥ .
وانظر : Bakr ibn Wall Musil, op. cit., p. 285. E.I.(٤)
- (٢٢) الجاحظ — البيان والنبين (باعتئاه ، عبد السلام هارون ، القاهره ١٩٦٠ — ١٩٦١)
ج ٢ ، من ١٢٠ . البلاذري — فتوح ، من ٨٨) ، انساب ، ج ١ ، من ١٩٠ ، من ٢٠٢ .
الطبرى ، من ٢ ، من ٢٢ .
- (٢٣) الطبرى ، من ٢ ، من ٢٤ . البلاذري — انساب ، ج ٤ ، في ٢ ، من ١١٦ .
- (٢٤) الطبرى ، من ١ ، من ٢٨٠ . ياقوت — بلدان ، ج ١ ، من ٢٨٠ .
- (٢٥) البلاذري — فتوح ، من ٢٢٤ . الاذدي — تاريخ المؤمل (باعتئاه على حبيبة ،
القاهره ١٩٧٦) ج ٢ ، من ١٨٢ ، من ٢١٢ — ٢١٥ ، من ٣٢٢ ، من ٣٥٠ . ياقوت —
بلدان ، ج ١ ، من ٤١ .
- (٢٦) البلاذري — فتوح ، من ١٧٧ .
- (٢٧) ن. م. من ١٧٨ . ياقوت — بلدان ، ج ١ ، من ٢٩١ .
- (٢٨) المدائني ، من ٢٧٥ — ٢٧٦ . الاذدي — تاريخ ، ج ٢ ، من ٢٢٢ — ٢٢٣ .
من ٣١٤ — ٣١٥ .
- (٢٩) الطبرى ، من ٢ ، من ١٨٧٤ .
- (٣٠) يشير البلاذري مثلا الى مصالح او حاميات في الابلة والخربة والطيبة ومحى
التسير وعلى اطراف السرات الاوسط ، فتوح ، من ٢٢٢ — ٢ ، من ٤٢٦
من ٤٥٠ — ٤٥١ ، من ٢٥٠ ، من ٢٧٦ — ٧ ، من ٢١ . وانظر : ابن مسدة .

- ج ٧ ، ق ١ ، من ٧٧ ، من ١٢١ . أبو يوسف — الخراج (بولاق) ١٤٠٢
ص ٨٢ — . المسوudi — مروج ، ج ٢ ، من ٤٤٠ — ١ .
- ١ ٢١ السولى — ادب الكتاب ، من ٧٥ . البلاذري — متوج ، من ٤٦٥ . يحيى بن
آدم — الخراج ، من ٩ . أبو يوسف — الخراج ، من ٨٥ .
- ١ ٢٢ المسوudi — التبيه والاشراف ، من ٣٨ . أبو يوسف — الخراج ، من ٤٢ .
- (٢٢) نساج المروض ، ج ٢ ، من ٢٧٠ — ١ (نبط) ، ويسمون أيضًا الكلدانية .
باتوت — بلدان ، ج ١ ، من ٢٤٧ — ٨ ، ج ٢ ، من ١٧٥ . المسوudi — مروج ،
ج ٢ ، من ٩٥ وما بعدها .
- ١ ٢٣ انظر : يحيى بن آدم — الخراج ، من ٥٧ — ٩ .
- (٢٤) ن. م. من ٢٢ — ٢٢ . ابن وحشية — الملاحة النبطية (خط — مكتبة أحد
الثالث ، رقم ١١٨٩) ، من ١ — ٢ .
- ١ ٢٥ المسوudi — التبيه ، من ٣٩ .
- (٢٦) يحيى بن آدم — الخراج ، من ٢٢ ، من ٤٨ . بحثيل — تاريخ واسط (يامناء :
مكور كبس مساد ، بغداد ، ١٩٦٧) ، من ٣٩ — ٤٠ . الطبرى ، من ١ ، من ٤ ، من ٢٠٢٦
من ٢٨ — ٦ ، من ٢٠٢١ ، من ٢٠٢٦ .
- (٢٧) المركري — الاولى ، من ١٣٦ ، من ٥١ . البلاذري — متوج ، من ٢٦٦ وما بعدها . وانظر :
أبو عبيد — الاموال ، من ١١٢ وما بعدها . الطبرى ، من ١ ، من ٢٢٧٠ .
- (٢٨) يحيى بن آدم ، من ٤٥ ، من ٥١ . البلاذري — متوج ، من ٢٤٢ — ٢ . أبو
عبيد ، من ٨٢ — ٨٣ . قدامة بن جعفر — كتاب الخراج (يامناء : دي خورية) ،
من ١٤٥ .
- (٢٩) ذكر وكيع أن داود الطائي تكلم أيام الحاج على لسانه الحاج : « الكلام كلام
مرسي ، والوجه وجه نبطي » مما يشعر بأن تمييز من سلم من النبط لم يكن
مالوسا . أخبار العفاف ، ج ٢ ، من ١٧٦ .
- (٣٠) انظر : البرد — الكليل ، ج ٢ ، من ٣٩ — ٤٠ .
- (٣١) انظر : نساج المروض ، ج ٢ ، من ٢٢١ ، والبلاذري — متوج ، من ٢٧٦ . ومدح
سعد بن أبي وقاص بأنه « نبطي في جيابته » .
- (٣٢) كان مهيرة كاتب اثربن عبد الله أمير خراسان سنة ١١٠ هـ نبطيا . انظر :
البلاذري — أنساب (خط) ، ق ٢ ، من ٤٥٢ .
- (٣٣) انظر : رسائل الجاحظ (تحقيق عبد السلام هارون) ، ج ١ ، من ٦٦ .
- (٣٤) اعتبرت أراضي الحيرة وباقتها وليس أرض ملح ، وكان أهل هذه القرى
يقطنون جزءة مشتركة بخط . انظر : البلاذري — متوج ، من ٤٤٢ — ٤ . أبو
عبيد — الاموال ، من ٣٦ — ٣٧ ، من ١١٦ — ١١٨ . يحيى بن آدم ، من ٥ .
وابتع نفس الاجراء مع سين التر ، البلاذري — متوج ، من ٤٤٨ .

- (٤٦) كانت تغلب دفع ضعف الصدقة ، أبو مبيد ، من ٢٩ - ٢ .
- (٤٧) البرد - الكابل ، ج ٢ ، من ١٠٦٢ - ٢ . ويشير البلذري إلى نساج من يش سليم في الكوفة قال : « وان ما شهدت مسكراً قط ولا اثبت لى اسماً قط في ديوان ، وانا انا نساج » انساب (خط) ق ٢ ، من ٢ ، من ٢٠ .
- (٤٨) البلذري - انساب (خط) ق ٢ ، من ١٦ . وانظر : يحيى بن آدم - الخراج ، من ٢٠ .
- (٤٩) البلذري - انساب (خط) ق ٢ ، من ٢ ، من ٨٢٢ . الطبرى ، من ٢ ، من ١٦٨٢ - ٤ . ديدنوبوس التمحيري (الترجمة الفرنسيّة) ، من ٩٢ .
- (٥٠) يقول ابن سعد من العباس بن مرداش بن أبي هاجر : « وكان ينزل بواudi البصرة ، وكان يأتي البصرة ، وروى عنه البعضون ، وبقية ولده ببادية البصرة ، وقد نزل منهم قوم البصرة » ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، من ٢١ .
- Blachere - Histoire de la Literature, t. 3, pp. 276-7.
- (٥١) أبو مبيد - الاموال ، من ٢٧٦ . أبو يوسف ، من ١٥ . ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، من ١١٧ - ٨ . الطبرى ، من ١ ، من ٢٢٦ ، البلذري - للوح ، من ٢٦٨ - ٢٩ ، من ٢٨٢ ، من ١٩ ، من ٤٨ .
- (٥٢) البلذري - للوح ، من ٤٤٢ - ٤ . أبو مبيد - الاموال ١٦ . يحيى بن آدم ، من ٥١ . وأكثر من مد العزيز على أن أهل الخبرة من يهود ونصارى ومجوس لا يدلون الا المدقحة بمد اسلامهم ، « فمن أسلم ... نطيه في مسألة المدقحة » . الصولي - أدب الكتاب ، من ٧٥ .
- (٥٣) انظر : البرد - الكابل ، ج ١ ، من ٢٩ - ٤ .
- (٥٤) الطبرى ، من ٢ ، من ١٦٨ .
- (٥٥) ن. م. ، من ٢ ، من ٧٧ .
- (٥٦) ن. م. ، من ٢ ، من ١٠١٨ .
- (٥٧) الأزدي - تاريخ المؤمل ، ج ٢ ، من ١٢٦ ، من ٢٨٢ .
- (٥٨) ديدنوبوس التمحيري - تاريخ ، من ٤٧ ، من ٨١ ، من ١١٤ ، من ١٢٦ .
- (٥٩) ن. م. ، من ٧ .
- (٦٠) ن. م. ، من ٩٦ .
- (٦١) ن. م. ، من ٩٦ .
- (٦٢) انظر : الجاحظ - بيان ، ج ٢ ، من ٧١ . يقول الجاحظ : « وزعم أبو العاص انه لم يسر عروبا قسط لا يلدن في حدته ، ونها يجري بينه وبين الناس » بيان ، ج ٢ ، من ١٠٦ .
- (٦٣) يقول الجاحظ : « وقد ينكم الملاقي الذي نشا في سواد الكوفة بالمرية المعرونة ويكون لفظة متخيراً ماخراً، وعناء شربها كريماً، ويلمع مع ذلك السابع

لكلمة في مخارج حروفيه انه نبطي « رسائل الجاحظ (هارون) ج ١ من ٦٦ .
Ryckmans - Arabe Meridionale, p. 67, pp. 71-2

٦٦) انظر :
٦٥) ابو هبيدة — التفافن (تحقيق بيلان) من ٢٤٠ . تاج المروس ، مادة (ولام)
وانظر : البلذري — انساب ، ج ١ ، من ١٥٧ ، من ١٨٩ ، من ١٩٢ .

٦٦) انظر : ابن هشام — المسيرة ، ج ٢ ، من ١٤٩ .

٦٧) البلذري — انساب ، ج ١ ، من ١٩٢ — ٢ من مطاء خشم والاخابش .

٦٨) الطبرى ، من ١ ، من ٤٥٢٨ . البلذري — نتوح ، من ٤٨٠ .
الأنساب ، ج ٢ ، ت ٢ ، من ١٠٧ ، من ١١٢ . انساب (خط) ق ١ ،
من ٨٨٢ — ٤ .

٦٩) الطبرى ، من ١ ، من ٤٥٣٨ . انظر : السرخسى — البسيط (القاهرة ١٩٣٢)
ج ٨ ، من ٨١٥ .

٧٠) الطبرى ، من ١ ، من ٤٥٢٨ — ٩ ، من ٢٠٢٨ ، من ٢١٢٢ ، من ٢١٦٧ ،
من ٢١٧ .

٧١) انظر : الطبرى ، من ٢ ، من ٧٦٨ ، من ٧٥٠ .

٧٢) اليعقوبي ، ج ٢ (ط . موتسما) من ١٠٥٨ . صالح العلي — التنظبات الاجتماعية
في البصرة ، من ٦٥ .

٧٣) البلذري — انساب ، ج ٤ ، ق ٢ ، من ١٨٠ . ابن سعد ،
ج ٢ ، ق ١ ، من ٢٦٠ . يسحول الشعرازي من عبد الله بن أبي اسحق انه
« مولى آل الحضرى وهم خلقاء بني عبد شمس بن عبد مناف » ، والطريق عند
العرب مولى . طبقات النساء ، من ٣٧ .

٧٤) الطبرى ، من ٢ ، من ٨٤٥ — ٥ . كون البعض مثل مياد بن زياد ، والمخسار
وسلبيان بن هشام بن عبد الملك كتاب من الموالى . انظر الطبرى من ٢ ،
من ٥٢٢ — ٤ . البلذري — انساب ، ج ٥ ، من ١٣٦ ، نتوح ، من ٤٣٦ .
انساب (خط) ق ٢ ، من ٤٢ . ابن سعد ، ج ٥ ، من ٢٨٥ .

٧٥) انظر : البلذري — انساب (خط) ق ١ ، من ٥٩٩ .

٧٦) حينما وسد اثربس أمير خراسان (١١٠ . . .) اعلمه من يسلم من الجزيرة
وابدى الناس على دخول الاسلام « نجاه دعائين بخارى الى اثربس لقالوا :
بن نأخذ الخارج وقد سار الناس كلهم عربا ١ » الطبرى من ٢ ، من ١٥٥ .

٧٧) البلذري — انساب (خط) ق ٢ ، من ٧٥٠ .

ولما تنبى العريان صاحب شرفة خالد القصري عليه بنع الموالى من استعمال
المربي ، اجاب مولى بلغة ساخرة « أما الكلام فليس يتكلما الا بالزنجبية ١ »
البلذري — انساب (خط) ق ٢ ، من ٢٨٤ .

- ٧٨١) الخصالص لابن جن ، ج ١ ، من ٢٣٩ - ٢٤٠ ، ابو الطيب - مران ، من ٥ (المعتبرين) . انتظر : الانقى ادار الكتب ، ج ١٤ ، من ٢٨٨ .
- ٧٦) لسان العرب ، مادة « مرب » .
- ٨٠) البلاذري - أنساب (خط) ق ٢ ، من ١٢٥٨ ، من ١٧٧ .
- وسمع أن الولاء لا يساوي النسب تماماً ، فإنه قد يؤدي إلى الاتدماج في الجماعة العربية « الإسلامية » . انتظر الخلاف حول نسب أبراهيم التخمي في المبرد ، ج ٢ ، من ١١٨ . وجاء في ابن سعد على لسان سعيد بن جبير - « قال لي ابن مباس : من أنت ؟ قلت : بنى آسد ، قال : أبا مريم أو مواليم ؟ قلت : لا ، بل من مواليم ، قال : فقال أنا من أئم الله عليه من بنى آسد » . أنساب (الطبقات) ، ج ٦ ، من ١٦٨ .
- ٨١) جاء في البلاذري ، أن هشام بن عبد الملك سال رجلاً من بني مخزوم (أخواه) : « يا خال ! أهلاً كتاب الله ! قال : أهلاً منه ما أهلاً به صلاتي ، قال : أتغزو من الآثار شيئاً ؟ قال : لا ، قال : أتغزو أحاديث الصرب وأصحابها وأيامها ما يعرّفه مثلك ! قال : لا ، قال : أنت شبّه شيئاً وسأله بنى نزار ؟ قال : لا أحسن من النسب شيئاً ، قال : يا غلام ... وليس من خالتنا حشمة » . أنساب (خط) ق ٢ ، من ٢٤٠ . وانتظر : الجاحظ - البيان ، ج ٢ ، من ١٨٠ .
- ٨٢) إن استعراض أسماء من درجم لهم (من ليرة صدر الإسلام) في مؤلفات مثل طبقات ابن سعد ، وأخبار القضاة لوكيع ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ، وذكرة الحافظ للذهبين ، ونزهة الابباء في طبقات الابباء للنباري ، وبين أن الولاس كانوا أطلياً - حوالي ٢٥ - ٢٠ .
- ٨٣) يروي الاميش من هلال بن يسار « قال : قدمت البصرة فدخلت المسجد فإذا أنا بشيخ أبيض الرأس واللحية ، مستند إلى سطوانة في حلقة يحدّهم ، فسألت من هذا ؟ فقالوا مير بن الحسين (ت سنة ٥٣ هـ) ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، من ٥ .
- ٨٤) انتظر : ابن سعد ، ج ٦ ، من ٥١ - ٥٢ ، من ٥٤ ، من ٥٥ ، من ١٧٢ ، من ١٦٢ ، من ٢١٦ ، من ٢٢٦ . الطبرى من ٤ ، من ١٩٦٦ .
- ٨٥) في الذهبين - معرفة القراء الكبير (القاهرة ١٩٦٧) ج ١ ، من ٦) « لكتاب نعلم القرآن والعمل به » . وانتظر : من ٨ ، من ٧٢ - ٧٤ . وانتظر الشيرازي - طبقات الفقهاء (باختصار احسان عباس ، بيروت ١٩٧٠) ، من ٤٢ ، من ٤٤ ، من ٤٦ ، من ٥١ .
- ٨٦) البلاذري - أنساب (خط) ق ٢ ، من ٧٥٥ ، من ٧٦١ . وانتظر : ابن سعد ، ج ٤ ، ق ٢ ، من ٢٧ . الذهبين - القراء الكبير ، من ٢٤ ، من ٣٧ - ٣٩ .
- ٨٧) البلاذري - أنساب ، ج ٥ ، من ٣٦ .
- ٨٨) الشيرازي - طبقات الفقهاء ، من ٨١ ، وانتظر : البلاذري - أنساب (خط) ق ٢ ، من ٧٥٥ ، ج ٥ ، من ٣٦ . ابن سعد ، ج ٦ ، من ٣٤ ، من ٣٥ ، من ٣٧ ، من ٨ ، من ٦٢ ، ج ٧ ، ق ١١ من ١٦٢ . المسجستانى - المباحث (تحقيق

جلوسي ١ ، من ١٢ - ١٥ . الاصبهاني - حلبة ، ج ١١ ، من ٦٤ . الذهبي -
القراء الكبار ، ج ١ ، من ٢٤ ، من ٣٨ - ٩ .

٨٩) وقد رشحهم أبو موسى لشرف العطاء ، ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، من ٨٩ .
وانتزح سعد بن أبي ونام جطعم في الدين ، البلاذري - متون ، من ٥٦ .
جاء رسول مصعب بن الزير إلى عمرو بن النعمان بن مقرن (في البصرة)
بسأل فقال له : الامير يقرئك السلام ويقول : انا لم ندع بالكونية قارنا الا وقد
نهى عمرو لناستمن على نفقته شهر رمضان بهذا . فقال : وعلى الامير السلام ،
هل له انا والله ما قرأت القرآن لطلب به النبأ ، ورده عليه . البلاذري -
أنساب ، ج ٥ ، من ٢٨٦ .

٩٠) انظر مثلًا : الطبرى ، س ١ ، من ٢٢٧٢ ، س ٢ ، من ٢٢٨٢ ، س ٤ ، من ١٠٠٦ ،
من ١٠٧٢ ، من ١٠٧٦ - ٧ . ابن سعد ، ج ٦ ، من ٤٦ ، من ١٢٧ ، من ٢٠٤ .
من ٢١٦ ، من ٥٣ ، ج ٧ ، ق ١ ، من ٦٥ . البلاذري - أنساب (خط) ،
ق ٢ ، من ٢٠ ، ٢١ - ٢٠ ، من ٤٥ . المبرد - الكامل ، ج ٢ ، من ١١٢٧ ، من ١١٢٧ ، الذهبي -
القراء الكبار ، ج ١ ، من ٦٢ - ٦٢ ، من ٧٦ .

٩١) الطبرى ، س ١ ، من ٢٠٩٢ . البلاذري - أنساب (خط) ، ق ٢ ، من ٥٣ .
ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، من ١١٤ ، ج ٧ ، ق ٢ ، من ٢١ ، من ١٧١ .
وانظر : الذهبي - القراء الكبار ، س ٦٨ .

٩٢) ابن سعد ، ج ٦ ، من ٢٢٢ - ٢٢٤ . الذهبي - القراء الكبار ، ج ١ ،
من ٤٤ - ٥ .

٩٣) ابن سعد ، ج ٦ ، من ٧٤ ، ج ٧ ، ق ١ ، من ١١ . الاصبهاني -
حلبة ، ج ٢ ، من ٦٨ - ٩١ . الذهبي - القراء الكبار ، ج ١ ، من ٥٦ .
من ٦٢ - ٢ ، من ٧٥ .

٩٤) ابن سعد ، ج ٦ ، من ٥ ، من ٦٣ . الذهبي - ذكره الحفاظ (دار المعارف
المغربية ١٢٢٢ - ١٢٢٣) ، ج ٨ ، من ١٠٦ . وانظر : الشوازي - طبقات
القراء ، س ٨٠ ، من ٨١ ، من ٨٢ - ٨٣ ، من ٧٩ . الذهبي - القراء الكبار ،
من ٥٩ .

٩٥) ابن سعد ، ج ٦ ، ق ٢ ، من ١٢٨ ، من ١٢٩ .
٩٦) انظر : الذهبي - القراء الكبار ، ج ١ ، من ٥٣ ، من ٥٦ ، من ٦٢ -
٦٢ ، من ٩٢ .

٩٧) انظر : الطبرى ، س ١ ، من ٢٢١٢ .

Bravamann - Spiritual Background of Early Islam, pp.169 off, pp. 176off.

٩٨) أبو زهرة - المذاهب للتهبة ، من ٢٧ وما بعدها ، من ٢٩ وما بعدها . وانظر :
Schacht - Origins of Muhammadan Jurisprudence (Oxford 1959),
pp. 25 off., pp. 82 off.

Schacht - Introduction to Law, pp. 16 off. P. 233 , P. 237 , P. 247 . (٩٩)

١٠٠) انظر : سواد سزيكن - تاريخ التراث العربي ، ج ١ ، من ٢٢٦ وما بعدها ، من ٢٥٤ ، من ٢٦٠ ، من ٢٧١ وما بعدها .

١٠١) انظر : ابن حجر - تهذيب ، ج ١٢ ، من ٩٩ ، طلب مير بن عبد العزيز من أبي بكر بن حزم كتابة « ما كان من حديث رسول الله أو سنة ماضية أو حديث مرة » . البالامي - مرأة الجنان ، ج ١ ، من ٢٦١ . الدوري - ملمس التاريخ منذ العرب ، من ١٠٠ - ١٠١ . الرايهمري - الحديث الفاضل (بعنوانة محمد عجاج الخطيب) من ٤٤٢ ، من ٤٣٠ .

١٠٢) سزيكن ، ج ١ من ٢٢٩ - ٢٣٠ .

١٠٣) انظر : ابن سعد ، ج ٢ ، ق ٢ ، من ١٢٦ . الطبرى - تفسير ، ج ٧ ، من ١٢٩ . ابن حجر - الاصابة (القاهرة ١٩٣٩) ، ج ٢ ، من ١٤٠ . الد ابسن - عباس كتاب لغات القرآن (نشر باعتماد التجدد ، القاهرة ١٩٤٦) .

١٠٤) انظر : الجاحظ - الحيوان ، ج ١ ، من ٤٤٢ . وعرف مجاهد (ت ٧٢٢/١٠) بالشمال الرأى . سزيكن ، ج ١ ، من ١٧٦ وما بعدها . جولد تسيير - المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن ، من ٧٥ وما بعدها ، من ٦٨ - ٨٨ .

١٠٥) سزيكن ، ج ١ ، من ١٩٧ وما بعدها ، بروكلمان - تاريخ الادب العربي ، ج ١ ، من ١٧٣ وما بعدها .

١٠٦) انظر : بلاشير - تاريخ الادب العربي . شوقي ضيف - النطور والتجدد في الشعر الاسوي (ط ٥ ، ١٩٧٢) .

١٠٧) الجاحظ - البيان ، ج ١ ، من ١٩ . انظر : السيوطي - المزهر ، ج ٢ ، من ٢٧٦ . الزبيدي - طبقات التحويين (باعتماد أبي القفل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٤) ، من ١٤ . الانساب ، ج ١ ، من ١٨١ . ابو الطيب - مرائب ، من ٥ .

١٠٨) يقول ابو الطيب : « ان اول ما اختل من كلام العرب ناجح الى التعليم الامراب ، لأن اللحن ظهر في كلام المؤذن والمتعربين بعد مهد النبي ». مرائب التحويين (أبو القفل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٧) ، من ٥ . وانظر : السيوطي - المزهر ، ج ٢ ، من ٢٧٦ . والزبيدي - طبقات التحويين (باعتماد أبي القفل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٤) ، من ١٤ .

ويروي المسرياني ان ابا الاسود قال لزياد : « اني رأيت العرب قد خالطت الاعجم وتغيرت السنتهم .. » انظر : اخبار التحويين البصريين (باعتماد كرنوك) من ١٧ - ١٨ . وانظر : البلاذري - انساب ، ج ١ ، ق ١ ، من ١٨٩ من اللحن ابیام زیاد . ويشیر بخشش ، تاريخ واسط ، من ٤٦ الى الاختلاط في الكوة والبصرة . ويحدث البرد من عدد من العرب البارزين ممن هربوا بلكتهم الامامية مثل عبد الله بن زیاد ، وزياد الامجم ، الكامل ، ج ٢ ، من ٥٨٥ - ٦ . وانظر : الزبيدي - طبقات ، من ١٤ . وكان زیاد يسأل : « اذا لم بعد احکم سمة لنزوج من يرغب به لوضمة ملبيتزوج سبیة ». البلاذري - انساب ، ج ١ ، ق ١ ، من ١٨١ .

١٠٩) الطبرى ، من ١ ، من ٢٨٠٢ - ٤ .

- ١١١) الزبيدي - طبقات النحوين ، من ١ - ٤ .

١١٢) انظر : فوك - العربية ، من ٢٩ - ٣٠ .

١١٣) انظر : ميد العال سالم مكم - القرآن الكريم وآثره في الدراسات النحوية ، من ٨) وما بعدها . ابن النديم - المهرست ، من ٥ .

Haywood - Arab Lexicography, p. 25 off.

الزبيدي - طبقات ، من ١٢ - ١٤ ، السيوطي - المزهر ، ج ٢ ، من ٢٩٨ .

الداني : نقط المصاحف (دمشق ١٩٦٠) من ١٢٢ - ٢ ، وبنسب البعض نقط الأعيان إلى نصر بن ماسم (٧٧/٨٩) ، انظر : المصاحف للجستانى ، من ١٦٨ .

الذهبي - معرن القراء الكبار ، ج ١ ، من ٩٦ ، من ٥٨ . وجاء في الذهبى قال خلق بن هشام كتب أخضر بين يدي الكسانى وهو يقرأ على الناس ويقطنون مصاحفهم بقراته عليهما . معرن القراء الكبار ، ج ١ ، من ١٠١ ، وانتظر من ١٠٢ .

أبو الطيب - مرائب ، من ٨ .

١١٤) السريانى - أخبار ، من ٢١ وما بعدها ، السيوطي - المزهر ، ج ٢ ، من ١٠٠ . الذهبي - القراء الكبار ، ج ١ ، من ٧٢ - ٩ ، من ٨٤ ، من ١٠١ . شوقي شيف المدارس النحوية ، من ١٨ .

١١٥) معرن القراء الكبار ، من ١٠١ . وانتظر : الزبيدي - طبقات ، من ٤ .

أبو الطيب - مرائب ، من ٢٤ ، من ٢٥ ، من ٢٦ ، من ١٢٧ ، من ١٦٥ .

السيوطى - المزهر ، ج ٢ ، من ٣٢ .

١١٦) وهكذا وقت أبو عمرو بن الصلاة وظبيطه يونس بن حبيب إلى جانب السماع . وانتظر : السريانى - أخبار ، من ٢٥ ، من ٢٢ - ٤ . شوقي شيف - المدارس النحوية ، من ١٩ - ٢٠ .

١١٧) تنتهي نظرية الكوتة في اللول : « كل ما كان لعيبة تيس عليه » ، السيوطى - المزهر ، ج ١ ، من ٧٥٨ . انظر : احمد ابن - فحى الاسلام (ط ٧ ، القاهرة ١٩٩٥) ، ج ٢ ، من ٢٨٢ وما بعدها . شوقي شيف ، من ١٥٧ - ١٦١ .

١١٨) ماسم بن أبي النجود الاسدي (التارى) : « من لم يحسن من العربية الا وجها واحدا لم يحسن شيئاً » . الذهبي - معرن القراء الكبار ، من ٧٥ .

انتظر : شوقي شيف - المدارس النحوية ، من ١٩ ، من ١٥٧ - ١٥٨ .

١١٩) انظر البلاذري - أنساب (خط) ق ٢ ، من ٢٧ - ٢٨ .

١٢٠) أبو الطيب - مرائب (خط) ق ٢ ، من ٣٩ - ٤٠ . الذهبي - القراء الكبار ، ج ١ ، من ٨٢ وما بعدها . السيوطي - المزهر ، ج ٢ ، من ٤٠ . يقول السريانى عن يونس ، من حسب : « وقد سمع من العرب كما سمع من قتله ... وكانت

حلته بالبصرة بنيتها أهل العلم وطلاب الادب ومحفظو الامصار والبادية .
أخبار النحوين البصريين ، من ٢٢ - ٤٤ .

(١٢١) انظر : المخزومي - مدرسة الكوتة ، من ٧٩ وما بعدها . شوقي
شبك المدارس النحوية ، من ١٥٥ وما بعدها . بروكلمان - تاريخ الادب ،
ج ٢ ، من ١٧٨ ، من ١٧٩ وما بعدها .

(١٢٢) ابو الطيب - مراته ، من ٢٠ - ١ .

Haywood, op.cit. p. 24 off., p. 68 off.

(١٢٣) ذكر المبرد : « قلل معاوية يوماً : من انصح الناس ؟ فقام رجل فقال :
قوم تباعدوا عن نراثية العراق وتباهوا من كشكشة ثييم وتباهوا عن كشكشة بكر ،
لهن لهم خمسة فضامة ولا طقطانية حمير » ، الكابل ، ج ٢ ، من ٥٨١ .

(١٢٤) الجاحظ - البيان ، ج ٢ ، من ٢٠٦ . وانظر : ج ١ ، من ٣٦٨ .

(١٢٥) بختل - تاريخ واسط ، من ٢٦ .

(١٢٦) يقول الجاحظ : « ولم اجد في خطب السلف الطيب والاعراب الاتجاج الناظما
مسخوطة ولا معانٍ مدخلولة ولا قولاً مستكراً ، واكثر ما تجد ذلك في خطب
المولدين وفي خطب البلدين المتلذتين ، ومن اهل الصنمة المتابعين » .
البيان والتبيين ، ج ٢ ، من ٨ - ٦ .

Fuck - Arabiya (Paris 1955), p. 9 off. (١٢٧)

(١٢٨) انظر : الدوري - بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب . روز نبال - ملسم
التاريخ عند المسلمين . جب - دراسات في حضارة الاسلام ، مقال : التاريخ .

الأندلس في المغرب

عيسى الناعورى
الأربعين العام لابن سبع

في عام ١٩٦٧ ، وفي مؤتمر الدراسات الإسبانية / الإسلامية في
هرقلة ، التقى ب والاستاذ المؤرخ والاديب المغربي عبد الله كثون ،
وكان بيننا حديث على الاندلس ، وعلى روائع الفنون المعمارية
والزخرفية فيه . وكانت اظن ان هذه الفنون قد جمدت على ما ظلّه عرب
الأندلس في اسبانيا . غير ان الاستاذ كثون اكّد لي ان هذه الفنون لم
تجُمِدْ ، بل هي تعيش الان وتتطور في المغرب بازهى وأحدث مما هي
في الاندلس . ودهشت لذلك ، وحيبّت انه من قبيل الماخورة الوطنية .

ثم اتيتني لي ان ازور المغرب عام ١٩٧٤ بحثاً عن اثر الفنون
الأندلسية هناك : من طراز معماري ، ومن زخرفة ونقش ، ومن
فناء وموسيقى ورقص . وقد قضيت في تلك الزيارة واحداً وعشرين
يوماً ، وتجولت في المدن الرئيسية : من طنجة غرباً ، الى وجدة شرقاً ،
والى مراكش جنوباً ، وبينها زرت كذلك الرباط ، ومكناس ، وفاس ،
وطنوان . وفي كل مدينة قضيت يومين او اكثر ، ازور التصور ،
والمساجد ، والزوايا ، والمقابر ، والمدارس القديمة ، والامواجر
والقصبات . وذهلت فعلاً وانا اعيش جوًّا الاندلس من جديد ، ولكن
بشكل احدث واكثر تطوراً واشد روعة .

كنت قبل زيارة المغرب أحسب أن فنون الزخرفة الأندلسية قد
دخلت الى الاندلس من المغرب ، مع الفتح الإسلامي الذي دخل من
المغرب ، ولكنني تيقّنت بعد زيارة المغرب من ان هذه الفنون المدهشة
انما دخلت الى الاندلس مع الأئبيين ، الذين حملوها معاهم من دمشق ،
بعد ان كانت دمشق قد اخذتها عن القاشاني الفارسي ، وعن

البيزنطيين ، وطبعتها بطبائع دمشقي خاص . ثم تطورت في إسبانيا مع الأيام ، ولم تدخل إلى المغرب إلا في عهد المرابطين ، في القرن الحادي عشر الميلادي ، الخامس المجري ، بعد أن ضمَّ يوسف بن تاشفين الاندلس إلى المغرب ، فاصبَّعَ البلدان بلداً واحداً . وبذلك احتضن المغرب الفنون الاندلسية منذ ذلك الحين . وحين خرج العرب من الاندلس في القرن الخامس عشر الميلادي هاربين إلى بلدان المغرب ، حملوا معهم فنونهم ، وظللوا يمارسونها هناك . ومذ ذاك راحت تتطور مع الزمن إلى يومنا هذا .

والواقع أن الذي يريد دراسة الفنون الاندلسية كلها ، ومنها الغناء ، والرقص ، والموسيقى ، لا بد له من زيارة المغرب ، والتجول في مختلف مدنه ؛ فالأندلس تعيش هناك بأجمل ما في مدنها الريمة الخلدة .

وفي ما يلي أدوين ما شاهدته وأعجبت به في عدد من أهم المدن المغربية، مع شيء مما لا بد منه من الرابط التاريخي :

- ١ -

سَبْتَة وَطَنْجَة

في الزاوية الشمالية الغربية من المملكة المغربية ومن القارة الأوروبية ، وعلى شاطئ البحر المتوسط مما ، تقوم مدينة طنجة ، وعلى مسافة قريبة منها إلى الشرق تقع مدينة سبتة أيضاً . وبين المدينتين العريقتين ينتصب شامخاً جبل موسى – نسبة إلى موسى بن نصیر – وبقابله على العُدُوّة الإسبانية ، شاهقاً متغطضاً ، جبل طارق . وكان هذان الجبلان والجبال العالية المقابلة بينهما ، وَمِنْ حولهما ، تُدعى باسم (اعمدة هرقل) . وهي تقابل تميّداً على جانبي ما كان يُدعى من قبل (بحر الزقاق) او (بحر المجاز) ويدعى اليوم (مضيق جبل طارق) . وانما كانت تسميته بالزنقة او المجاز لضيقه ، فهو ضيق مفبرك ، لا تزيد بعد مسافة فيه بين المعدوتين من ثلاثة عشر كيلو متراً .

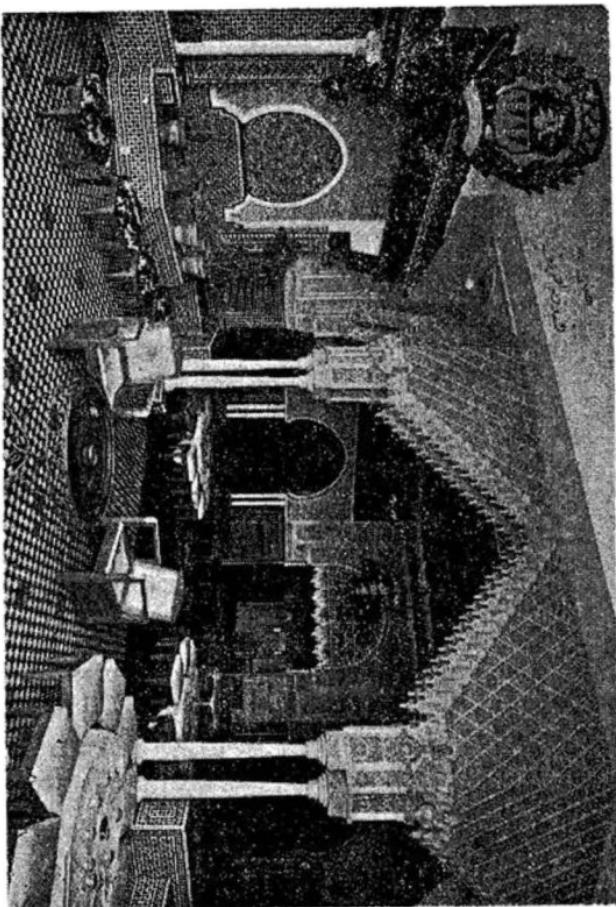
اما تسمية الجبال المقابلة الجبارتان باسم (اعمدة هرقل) فلها اسطورة قديمة، تقول إن الأرض كانت متعلقة بين المقرب والبعيدة ، وكانت تفصل بين مياه الاطلنطي والمتوسط . ثم تزوج هرقل ، وجاء بزوجته إلى طنجة . ولنلا يمكن أحد من الوصول إليها وسلبه إياها ، شق الأرض بين القارتين ، واثناها بينهما الزقاق المائي ، وأصلًا الماء بالمساء ، واقام الجبال الشاهقة حارسة على طرفي الماء ؛ فدعى بعدها هذه الجبال المارة باسم (اعمدة هرقل) .

وفي طنجة مغاره هائلة على البحر تُدعى (مغاره هرقل) حفرتها امواج البحر التويسة التي ظلت تضرب اطراف الجبال قرونًا لا حصر لها .

ويقف المرء على شاطئ طنجة وسبتا ، فيري البوادر والتوارب تُمخر البحر غاديَّة رائحة بين هاتين المدينتين ومُدُن (قادس ، وطريف ، والجزيرة الخضراء ، وجبل طارق ، وملقة) على العُدُوّة الإسبانية . وحين يقف على سفح جبل موسى ، بين سبتة وطنجة ، وينظر إلى

الشمال عبر بحر الرقاق ، يُروِّعُه شموخ صخرة جبل طارق ، كانما
أنشقَ عنها البحر ، فتَهَرَّبَ شامخةً مُوقِّعًا تيجان الفيوم المتصاعدة
من البحر .

دُجَاجِيَّةُ الْكَوْكَبِيَّاتِ



من هذه البقعة انطلقت جيوش الفتح العربي الإسلامي للفتح
ببلاد إسبانيا ، مبتدئاً عام ٩١ هـ ، ٧٠٩ م . وكانت هذه البقعة قبل
الفتح الإسلامي للمغرب وخلال مُذَكَّرٍ من بدايته ، ذات صلة متنية
باسپانيا ؟ فقد كانت سبتة في عهد عقبة بن نافع ، ثم موسى بن

نصر من بعده ، في إيدى الإسبان ، وكان يحكمها يوليان ، الذى
تعاون مع العرب على فزو إسبانيا لانتقادها من حكم عدوه لذريق ؛
ومؤدى لهم السبيل لفتحها ؛ وبسبتة اليوم يحكمها الإسبان ، وكانوا
إلى عام ١٩٥٦ يحكمون الشمال المغربي كلّه ، وجزءاً من الشاطئ
الغربي ، في حين كان الفرنسيون يحكمون بقية المغرب .

وظهرت سبعة وطنجة مُعتبراً طبيعياً بين المغرب والأندلس ، مثلما
هذا اليوم المُعتبر بين البلدين : منها عبرت سرايسا طريف بن مالك ،
للاستكشاف أولاً ، عام ٩١ هـ . وعادت بالغنائم الوفيرة ، وب بشائر
سهولة الفتح . ثم عبرت بعدها جيوش طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ ،
وتوجهت في الجنوب الإسباني والغرب ؛ ثم ثلتها جيوش موسى بن
نصرى سنة ٩٣ هـ . لاستكمال فتح إسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا .

ومن هذه البقعة أيضاً كان الأمويون يدخلون أحيايا من الأنجلترا
إلى المغرب ، لمنع المغاربة من التدخل في شؤون الأنجلترا . ثم من
هذه البقعة عندها دخلت فيما بعد جيوش المرابطين ، بقيادة يوسف
بن تاشفين ، مؤتمن : مرأة لانتقاد إمارات الطوائف من غارات الجيوش
الإسبانية ، والمرأة الثانية لاحتلال الأنجلترا برمتها وضمّها إلى المغرب . ومن
هناك عادتصلة النامية بين المغرب والأندلس ، وأصبحت هذه
جزءاً من المغرب ، ودخلت نتون الأنجلترا إلى المغرب ، واتصلت
الحضارة بين البلدين فصارت واحدة . واستناد المغرب من ذلك
فائدة عظيمة ، فقد كانت الأنجلترا متقدمةً عليه من حيث العلم والثقافة ،
وكان هو متقدماً عليها في القوة والسلاح ، « فكان هو ينزل للأنجلترا
حبيته — كما يقول الاستاذ عبد الله كنون في الجزء الأول من كتابه
(النوع المغربي) — والأنجلترا تبذل له ثقافتها ومعارفها »^(١) . وحين
استولى يوسف بن تاشفين على الأنجلترا ، حملَ ملك إشبيلية ،
المعتمد بن عبّاد ، أسرى مكبلاً بالقيود إلى طنجة ، ومنها إلى ماس ،
ثم إلى أغوات — في الجنوب المغربي ، قرب مراكش — حيث مسلت
مجينا ذيلاً .

(١) النوع المغربي ، لميد الله كنون ، من ٧١ ، الجزء الأول — الطبعة الثانية .

لقد تأثرت طنجة ، مثلما تأثر المغرب كله ، بحضور الاندلس ، وظلّ هذا الاثر الى يومنا هذا بارزا في العناية البالغة بالهندسة المعمارية ، والزخارف والنقوش الاندلسية ، والقرىبات الرائعة البارزة في الجبس وفي الخشب – وال QUIVRES تعني (النقوش المجنحة النافرة) وهي ماخوذة من الكلمة اللاتينية (CORPUS) التي تعني (الجسم) ؛ ويُخطئ من يدعوها (المقرنصات) او (المقرنصات) فهي كلها مجسمات نافرة .

وتعتمد الزخارف الاندلسية على قطع الزليج الخزفية الصغيرة ، ذات الالوان الجميلة الزاهية ، ولا سيما اللون الازرق واللون الاخضر ، وذات الاشكال البارعة الصناعية ، كاوراق الشجر حيناً ، او باشكال مرئية او مثلاً احياناً اخرى . وهي تلتصق إصانقاً على الجدران ، وتتشعّب منها صوراً واشكالاً فنية غالية في الجمال والرهافة والدقة . وقد تُفطّي بها الجدران باكملها ، او قد يُعطي جزءاً من الجدران الى ملسو معين .

وحين تجتمع هذه الزخارف الخزفية الى المقربات البارزة في السقوف الجمبية ، او مني الخشب ، ورفوف الابواب الدقيقة الصناعية ، تبدو فنتساً للنظر وبهجة للقلب .

هذا الطراز من الزخارف الزليجية والمقربات الجميلة ما يزال الاسبان الى اليوم يحافظون عليه في متاحفهم ، وتصورهم ، وبيوتهم ؛ غير ان الحفاظ عليه في المغرب اشدّ واعظم ، واكثر اتساعاً : فقصور المغرب كلها ، ومساجده ، وفنادقه ، والكثير من بيوته ، هي قطع روانة من الفن الاندلسي الساحر .

في طنجة ذهبْت لزيارة الصديق عبد الله كنون في منزله في القصبة – وهي مدينة طنجة التاريخية القديمة – فرأعني ما شاهدت في المنزل من جمال النقوش والزخارف الاندلسية : من مدخل الدار ، الى بعوها السفلي ، الى السلم الصاعد الى الطابق الثاني ، الى ما رأيته من غرف المنزل ، وطراز اثاثها . كل شيء فيه اندلسي ،

حتى طراز التراش ، والستائر ، والمقاعد المدودة على الأرض ، أو المرتبعة على مساطب مفروشة .

ومثل منزل عبد الله كنون ، بل اكثر زخرفة ، كان كذلك الفندق المعروف باسم (فندق الريف) ، ففي قاعاته آيات باهرات من هذه النقوش والزخارف الانطليبية .

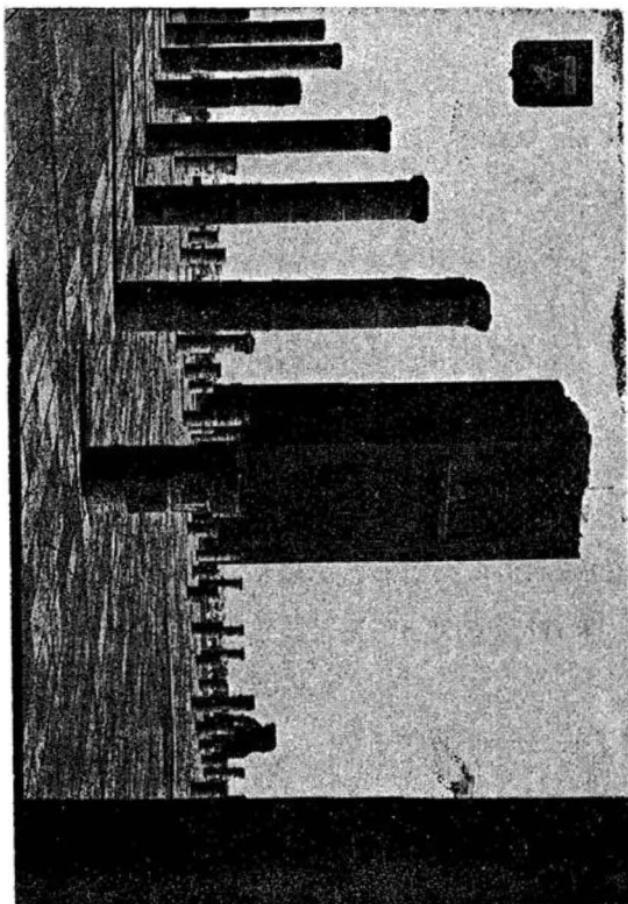
وتنقل من هناك لتجول في (القصبة) المطلة على البحر والمحاطة بالأسوار العالية ، فتختلئ انك في احدى قصبات الاندلس ؟ والقصبة كانت من قبل مقرّ الحاكم ، وفيها دوائر الدولة ، وتكلات الجيش . وفي طنجة ما تزال القصبة يبدو عليها القدم ، في البيوت ، والشوارع ، الا من بعض الأبنية الحديثة التي تكاد لا تبدو فيها . وأسوارها شبيهة بأسوار كثيرة ما تزال قائمة في العديد من المدن الاندلسية . الطراز واحد ، والنوافذ المدببة في أعلى الأسوار والإبراج واحدة . ولا عجب في ذلك ، فقد تعاتب على حكم الاندلس من المغاربة — من القرن الحادي عشر الميلادي إلى أواخر القرن الخامس عشر — المرابطون ، والموحدون ، والمرinيون ، الذين في أواخر عهدهم خرج العرب نهائياً من الاندلس . وكل هؤلاء تركوا آثاراً متشابهة في الأندلس والمغرب بما ، وكلهم شيدوا القلاع وال حصون والقصبات والقصور ، وبنوا المساجد والأسوار ، واستیوا المدارس في عنوان بحر الرزاق . وكثير من هذه الآثار ما يزال قائماً إلى اليوم على الأرض المغربية والأرض الإسبانية .

واما القناء الاندلسي والمسيقي لها يزا لان يعيشان كذلك في طنجة ، وفي المغرب برمتها. والمفارقة يدمونه باسمه الحقيقى : (الفنان الاندلسي) ، في حين يدعوه التونسيون والليبيون باسم آخر ، هو (المالوف) . والمفارقة يتيمون حلقات الفنان الاندلسي باستمرار في كل مكان من الارض المغربية ، باعتباره فنانا لهم فيه جصّة ، ولهم في بقائه نصيب ؛ فهو لذلك يعيشُ من التراث الشعبي المغربي .

الرباط

من طنجة تنحدر - مع الخريطة الجغرافية ، لا مع التاريخ -
جنوبا ، لنصل الى مدينة الرباط ، عاصمة المملكة المغربية اليوم ،
وjarة مدينة (سلا) على شاطئ الأطلنطي ، لا يفصل بينهما غير نهر

بنيت عاصمة الرباط



ضحل المياه ، قليل العرض ، هو نهر (بورقراق) . وفي (سلا)
تُوقن الملك عبد المؤمن ، أول ملوك الموحدين .

وُقْتَلَ أَنْدَلُسِيًّا بِالْمَهْبَطِ عَلَى الْرِّبَاطِ ، أَرَى أَنْ اذْكُرَ إِنْ جَارَتْهَا
(سَلا) مَدِينَةً اِنْدَلُسِيَّةً ، بِمَعْنَى أَنْ سُكَّانَهَا مِنْ أَصْلِ اِنْدَلُسِيٍّ ، نَزَحُوا
مِنْ اِنْدَلُسِ فَعَمِرُوهَا ، وَأَقَامُوا يَمَارِسُونَ فِيهَا أَسَالِيبَ حَيَاتِهِمْ ،
وَعَادُوهُمْ وَتَقَلِّيدُهُمْ ، وَصَنَاعَاتُهُمُ الْاِنْدَلُسِيَّةُ ، مِثْلًا فَعَلَ إِخْوَانَ لَهُ
خَرَجُوا مِنْ اِنْدَلُسِ ، وَأَنْشَأُوا مَدِينَةً طَوَانَ ، وَبَعْضُ الْمَدَنِ الْمَغْرِبِيَّةِ
الْآخَرِيَّةِ ؟ وَكَانَ سَلا مِنْ قَبْلِ مَدِينَةِ رُومَانِيَّةِ عَرِيقَةٍ . فَهِيَ مِنَ الْمَدَنِ
الْمَغْرِبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ .

وَلَكَنِّي لَنْ أَنْتَ طَوِيلًا عَنْدَ مَدِينَةِ سَلا ، وَقَدْ زُرْتُهَا وَتَجَوَّلْتُ
فِيهَا ، فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا مِنْ مَظَاهِرِ الْفَنُونِ الْاِنْدَلُسِيَّةِ إِلَّا الْقَلِيلِ الَّذِي
لَا يَسْتَحِقُ الْوَقْوفُ عَنْهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا شَاهَدْتُهُ فِي الْمَدَنِ الْآخَرِيَّةِ الْكَبِيرَةِ .

وَأَمَّا مَدِينَةِ الْرِّبَاطِ ، أَوْ « رِبَاطِ النَّفْتُحِ » ، كَمَا كَانَ اسْمَاهَا ،
لَتَرْخُرُ بِالثُّكُرِ جَدًّا مِنْ مَظَاهِرِ الْفَنُونِ الْاِنْدَلُسِيَّةِ بِشَكْلٍ يَسْتَرْهِي
النَّظَرُ ، وَيَسْتَوْقِنُ الزَّائِرُ لِلتَّأْمِلِ وَالْأَعْجَابِ .

هَذِهِ الْمَدِينَةُ بَنَاهَا سُلْطَانُ الْمُوْحَدِّينَ الْأَشْمَرُ بِعِقْوبِ الْمَصْوُرِ ،
سَنَةَ ١١٩٨ م. ٥٩٣ هـ . وَأَنْشَأَهَا مَسْجِدُ حَسَانٍ وَصَوْمَعَتْهُ - مِنْذُنَتْهُ -
أَخْتَ مِنْذَنَةِ (الْكُتُبَيَّةِ) فِي مَرَاكِشَ ، وَمِنْذَنَةِ (الْخِيرِ السَّادَا) فِي اِشْبِيلِيَّةِ ،
بِالْاِنْدَلُسِ ، وَكُلُّهُ مِنْ اَعْمَالِهِ الْخَلَدةِ . وَأَمَّا مَسْجِدُ حَسَانٍ فَقَدْ دَرَسَ ،
وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ يَسُومُ غَيْرُ اِنْصَافِ اَعْدَاءِ مَزْرُوعَةٍ فِي الْأَرْضِ ، يَقْوِمُ بَيْنَهَا
جُزْءٌ مِنْ الْمِنْذَنَةِ يَسْتَدْعِي الاِشْفَاقَ حِينَ يَتَذَكَّرُ الْمَرْءُ أَنْ شَقِيقَتِيَّهَا فِي
مَرَاكِشَ وَإِشْبِيلِيَّةِ لَا تَرِزَّالَنَ قَائِمَتِينَ تَتَحَبَّبَانِ الزَّمَانَ . وَيُقَالُ أَنَّ الْمِنْذَنَةَ
لَمْ تَكُمْ ، مِثْلًا كَمْلَتْ فَتَقِيَّتِهَا .

وَفِي الْطَّرْفِ الْفَرِيِّ مِنَ الْمَدِينَةِ تَقُومُ (تَصْبَةُ الْاوَدِيَّةِ) ؟ وَهِيَ
أَخْتَ لِقَبِيبَاتِ مَدِيدَةٍ مِنْهَا فِي الطَّرَازِ ، بَاقِيَّةٌ إِلَى الْيَوْمِ فِي الْاِنْدَلُسِ ،
تَشَابَهُهَا فِي الْبَنَاءِ الدَّاخِلِيِّ ، وَفِي الْأَسْوَارِ ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ . وَكَانَ
قَدْ أَنْشَأَهَا مَلِكُ الْمُوْحَدِّينَ الْأَوَّلُ عَبْدُ الْمُؤْمِنُ بْنُ عَلِيٍّ سَنَةَ ١١٥٠ م.
وَهِيَ أَصْلُ مَدِينَةِ الْرِّبَاطِ .

وفي جهة اخرى من المدينة تقوم بقابها مدينة رومانية تُدعى (شيلا) ، وقد اتخذها ملوك المرينين مقبرة لهم ، واحاطوها بأسوار مالية ، واقاموا فيها مسجداً ومنذنة . وكلما ما تزال قائمة هناك الى اليوم .

ولم تصبِّي الرباط عاصمة للمغرب الا في عهد الاسرة العلوية التي تحكم المغرب منذ زمن مولاي رشيد ، في القرن السابع عشر الميلادي – وكانت في اول مهدهم مقرّاً مؤقتاً لملوكهم ، ثم تحولت الى عاصمة رسمية لهم في زمان الملك يوسف ، والد الملك محمد الخامس ، وجاء الملك الحسن الثاني . وكانت عاصمتهم من قبل هي مدينة فاس ، او مدينة مراكش . وقبل ذلك كانت مدن اخرى عواصم للمغرب ، فالعاصمة هي (وليلي) مَرْزَة ، وحينما مراكش ، وحينما آخر مكناس ، او فاس . وأحياناً كانت المدينة الواحدة تتحول مراراً الى عاصمة ، مثل مدينة فاس ، ومدينة مراكش .

ولقد تَقلَّبَتْ على المغرب كلّ حُكُومَاتٍ متعددة : من عهد ادريس الأول ، حلبي الرسول ، الذي لجا الى المغرب في القرن الثامن للبيلادي ، هرباً من بطش هرون الرشيد ووزيره جعفر البرمكي ، وأسس هناك الدولة الادريسيّة ، اول مملكة مغربية اسلامية ، وقد استمر حكمها نحو قرنين من الزمن . ثم قامت الدولة الفاطمية ، دولة المرابطين ، والموحدين ، والمرinيين ، فالوطاسيين ، فالسعديين ، واخيراً الدولة العلوية الحاكمة الى اليوم . وعرف المغرب الحكم الاجنبي فترة من تاريخه الحديث ، وكان حُكُمًا استعماريًّا مزدوجاً : فهو اسباني في الشمال والغرب ، وفرنسي في الوسط كلّه ، الى ان جلا الاستعمار المزدوج في عهد الملك محمد الخامس ، ثم في عهد ابنه الحسن الثاني ، ملك المغرب اليوم . ولم يسبق من المغرب في ايدي الاسبان غير مدینتي سبتة ومليليا ، في الشمال المغربي ، على ساحل البحر المتوسط ، وذلك بعد ان خرج الاسبان اخراً من الصحراء المغربية ، على الساحل الجنوبي الغربي .

وكان المرابطون ، وَمِنْ بَعْدِهِمُ الْمُوحَّدُونَ ، ثُمَّ الْمُرْبَطُونَ قَدْ حَكَمُوا
الْأَنْدَلُسَ ، وَجَعَلُوا مِنْهَا جَزْءًا مِنْ دُولَةِ الْمَغْرِبِ . وَفِي أَوَّلِهِ المَعْدَى
الْمُرْبَطِيِّ وَبِدَائِيَّةِ الْمَهْدِيِّ الْوَطَّاسِيِّ خَرَجَ الْعَرَبُ مِنَ الْأَنْدَلُسَ ، فَكَانَ مِنَ
الْطَّبَاعَيِّ جَدًّا أَنْ يَلْجَأُوا إِلَى الشَّمَالِ الْأَفْرِيْقِيِّ ، وَيُنْشَأُوا فِيهِ مُدُنًا
وَقُرَى ، كَانَ مِنْهَا فَيَّ الشَّمَالِ تِلْمِسَانَ وَتَطْوَانَ ، وَفِي الْوَسْطِ سَلاً -
وَتِلْمِسَانَ الْيَوْمِ مِنَ الْجَزَائِرِ - .

هَذَا مِنَ الْجَانِبِ التَّارِيْخِيِّ الَّذِي يَرْبِطُ بَيْنَ الْمَفْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ ،
وَمِنْ حِيثِ الْأَثَارِ الْعَدِيدَةِ الْبَاقِيَّةِ الْيَوْمِ فِي مَدِينَةِ الرِّبَاطِ ، مِمَّا لَهُ أَثْيَابٌ
كَثِيرَةٌ فِي الْأَنْدَلُسِ .

إِنَّ الْطَّرَازَ الْأَنْدَلُسِيِّ فِي الْبَنَاءِ وَالزَّرْفَةِ ، نَافَّ فِي الرِّبَاطِ مِنْهُ
الكَثِيرُ مِمَّا يُدْهِشُ النَّظَرَ وَيُبَهِّجُ النَّفْسَ . وَأَنْتَ حِينَ تَصْلُّ إِلَى مَنْذُونَةِ
حَسَانٍ ، تَجِدُ إِلَى جَانِبِهَا ، وَعِنْدَ طَرْفِ الْأَعْمَدَةِ الْبَاقِيَّةِ مِنْ جَامِعِ
حَسَانٍ ، بَنَاءً مِنْ أَنْخَمِ الْأَبْنِيَّةِ وَابْنِهَا ، هُوَ ضَرِيعُ الْمَلِكِ مُحَمَّدِ
الْخَلِيلِ ، وَالَّذِي جَانِبَهُ مَسْجِدُ مُحَمَّدِ الْخَامِسِ كُنْكَلِ . وَالْبَنَانَ آتَيَاهُ
مِنْ آيَاتِ الصَّنَاعَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ الْحَيَّةِ الْمَتَطَوَّرَةِ فِي الْمَفْرِبِ ؛ وَادْعَاهُمَا
إِلَى الدَّهْشَةِ وَالْأَنْبَهَارِ بِجَمَالِ مَنْعَاتِهِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ هُوَ الضَّرِيعُ ذُو
الْطَّابِقَيْنِ ، يَقْبَلُهُ الْعَالِيَّةُ الْمَذْهَبِيَّةُ ، وَجَدَرَانِهِ الَّتِي تَقْنَنَّ فِيهَا الصُّنْعَانُ حَتَّى لَمْ
يُبَقِّ بَعْدَ فَنَّهُمْ مِنَّهُ فِي زَخَارِفِ الزِّلْبَعِ وَالْمَقْرِبَاتِ الرَّائِعَةِ . وَأَنْتَ تَتَفَكَّرُ
عَنْ قُبَّتِهِ ، وَتَحْتَارُ فِي تَلَكَ الصَّنَاعَةِ الْمُجْبِيَّةِ الَّتِي لَمْ تُعْرَفْ عَصُورُ
الْأَنْدَلُسِ لَهَا مَثِيلًا ، حَتَّى فِي قَصْرِ الْحِمَراءِ ، وَقَصْرِ جَنَّةِ الْعَرِيفِ ،
وَجَامِعِ قَرْطَبَةِ ، وَقَصْرِ اشْبِيلِيَّةِ - وَكُلُّهُ مِنْ عَجَابِ الدُّنْيَا فِي جَمَالِ
الصَّنَاعَةِ الْزَّرْفَيَّةِ وَالْهَنْدِسَيَّةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ - .

وَالْجَدِيدُ فِي ضَرِيعِ مُحَمَّدِ الْخَامِسِ هُوَ إِدْخَالُ الْذَّهَبِ إِلَى الْطَّرَازِ
الْأَنْدَلُسِيِّ بِأَشْكَالٍ لَمْ تَعْرِفَهَا زَخَارَفُ الْأَنْدَلُسِ مِنْ قَبْلِ ، وَبِكَثِيرَةِ تَخْلِبَةِ
النَّظَرِ ؛ وَكُنْكَلِ التَّقْنَنِ فِي الْأَشْكَالِ الْزَّرْفَيَّةِ الْأُخْرَى غَيْرِ الْمَالُوْنَةِ
كُنْكَلِ . وَتُؤْخِسُ وَأَنْتَ فِي دَاخِلِ الضَّرِيعِ ، تُؤْمَّ فيَ الْمَسْجِدِ مِنْ بَعْدِهِ ،
بِأَنْكَلِ تَوَدُّ لَوْ تُطْلِيلُ الْبَقَاءِ ، مُسْتَمْتَعًا بِرُوعَةِ الصَّنَاعَةِ وَجَمَالِ الْفَنِّ .

وستعيد في خيالك كلّ قصور الاندلس ومساجدها ومانها ، فتحصي بعظمة الأندلسين الذين خلقوا هذه الفنون المدهشة : من نقاء القطع الزليجية الصغيرة ، ورهافة الن في تصديعها ، وجمال التقوش المصنوعة منها ، ومن رهافة المقربات الجبصية والخشبية التي خلقتها عبقرية الفنان الاندلسي . ثم يأخذك العجب من بقاء هذه الصناعة العجيبة مزدهرة ، ومن تطورها وتحديثها في مدن المغرب كلها الى اليوم ، وحفظ المغرب على ان تظلّ الاندلس حيةٌ فيه ، لا يمحو جمالها الزمان ، بهندستها المعاشرة ، وزخارفها ونقوشها ومقرباتها ، وكذلك بموسيقاهَا ، وغنائهما ورقصها .

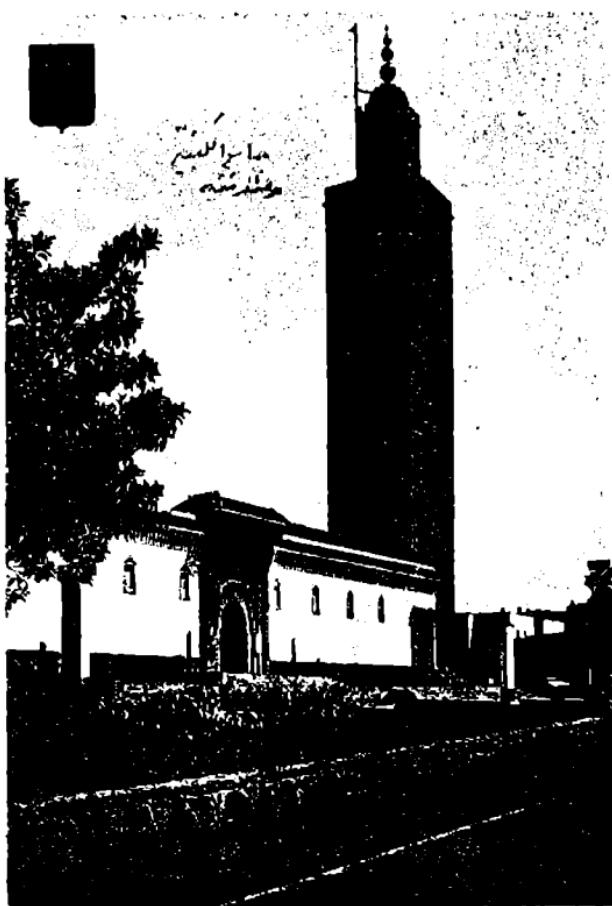
وتخرج من الضريح والجامع لتتجول في احياء مدينة الرباط ، فتدبر هنـقـورـ المـلكـيـةـ ، بـزـلـيجـهاـ الـأـخـضـرـ الـجمـيلـ فـيـ السـطـوحـ ، وـفيـ الجـدـرانـ الـخـارـجـيـةـ ، وـفـيـ ظـلـلـ الـحـادـثـ الـنسـيـحةـ : قـصـرـ المـشـوـرـ ، وـقصـرـ السـلـامـ ، وـقصـرـ الـقـدـيمـ الـذـيـ بـنـاهـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ الـعـلـوـيـ . وهذه القصور الملكية تحف روانع من الصناعة الاندلسية الطراز ، تفتن فيها الصناع المغاربة نابدوا غاية الابداع .

ثم تمضي الى جامـعـ السـنـنـةـ ، وجـامـعـ مـولـايـ يـوسـفـ ، وهـماـ متقاربان في المـكانـ ، فتفتـقـيـ مـنـاـمـاـلـ جـمـالـ الـزـلـيجـ الـأـخـضـرـ الـذـيـ يـعـطـيـ سـطـوحـهـماـ . وـتـمـضـيـ إـلـىـ الدـاخـلـ ، فـتـدـبـرـ هـنـقـورـ الـبـسـاطـةـ الـأـبـيـقـةـ فيـ رـهـافـةـ الصـنـاعـةـ الـانـدـلـسـيـةـ - ولـبـسـاطـةـ جـمـالـهاـ إـيـضاـ مـتـىـ كـانـتـ مـنـ مـنـعـ يـدـ نـثـانـةـ بـارـعةـ - .

ولا يقتصر الطراز الاندلسي على الجـامـعـ والـقـصـورـ ، بل تـجـدـهـ كذلكـ فيـ بـعـضـ الـفـنـادـقـ ، وأـخـصـ بالـذـكـرـ (فـنـقـ حـتـانـ) ، فيـ وـسـطـ المـدـنـ ؛ وـهـوـ تـحـفـةـ فـنـيـةـ رـائـعـةـ مـنـ الدـاخـلـ ، بـجـمـالـ الصـنـاعـةـ الـزـخـرـفـيـةـ الـانـدـلـسـيـةـ ، الـتـيـ تـسـتـرـيـعـ إـلـيـهاـ النـفـسـ ، وـيـسـتـرـيـعـ النـظـرـ .

مراكش

ونمضي مع خريطة المغرب انحدارا الى الجنوب ، حتى نصل الى مراكش ، مدينة الخيال ، او المدينة الحمراء ، كما تُدعى احيانا .



منزلة الكتبة في مراكش

وهي تُدعى كذلك لأن لون بيوتها الخارجي احمر ، يعكس مدن المغرب الأخرى وقراه ، وكلها تقريباً مطليةً من الخارج باللون الابيض -

ومثلها كذلك الجزائر وتونس ولبيبا - وتنكر في المدينة ومن حولها
أشجار النخيل الجميلة . وبيوتها صغيرة وتلية الطوابق .

هذه المدينة بناتها أمير المرابطين يوسف بن تاشفين سنة ٤٥٤ هـ .
١٠٦٢ مـ . واتخذها عاصمةً لدولته بدلاً من العاصمة فاس . ومن بعد
ظلت مراكش عاصمةً للموَحَّدين ، ثم كانت عاصمةً كذلك للسعديين في
القرن السادس عشر للميلاد ، العاشر للهجرة . واتخذها ملوك
العلويين الأولون كذلك عاصمةً لهم ، إلى أن انتقلت العاصمة إلى
الرباط في عهد مولاي يوسف ، والد محمد الخامس ، وجَّدَ الحسن
الثاني . وقد تركت كلُّ واحدة من هذه الدول المغربية آثاراً من آثارها
في هذه المدينة العربية .

وجدير بالذكر أنَّ معظم أعلام الفلسفة والطبّ من الاندلسيين ،
من عهد المرابطين إلى أواخر عهد المربيين خاصة ، قد انتقلوا من
الأندلس ليقيموا في مراكش أو فاس ، في رعاية ملوك هذه الدول
الثلاث وأمرائها . وفي ذلك يقول عبد الله كنون في كتابه (النبيغ
المغربي) : «فأبسو بكر بن باجة ، المعروف بابن الصايغ ، والفيلسوف
والطبيب والموسيقي ، هو من أظلّتهم دولة المرابطين ، وخُلِّمَ رجالها
بعلمه وفنه ، وأبو الوليد ابن رشد ، وأبو بكر ابن طفيل ، وابناء
زهر ، هُم مئن نبغوا في اعقاب عصر المرابطين ، وانتشرت معارفهم
في العصر الموحدي الذي يليه . وأعلامُ الفقه والتصوف ، مثل ابن رشد
الكبير ، وأبي بكر ابن العربي ، وأبن عربي الحاتمي ، وأبن سبعين ،
هم من رجال عصر المرابطين أو عصر الموحدين » (١) .

وفي مراكش ضريح بسيط متواضع ليوسف بن تاشفين ، على
مقربة من جامع الكتبية ، أقيم في عهد الملك محمد الخامس نقط ، في
حين يقوم ضريح خصمه وأسيره الشاعر الاشبيلي المعتمد بن عباد
غير بعيد عنه ، في أغصان ، في فخامة لا يعرفها ضريح ابن تاشفين .

(١) (النبيغ العربي ، عبد الله كنون ، الجزء الأول ، ص ٦٦/٦٧ .

وكانَتْ أغْيَاتُ عَامِمَةَ الْمَرَابطِينَ قَبْلَ أَنْ يَبْنِي يُوسُفُ بْنُ نَافِعٍ
مَدِينَةَ مَرَاكِشَ .

وتجير بنا ان نشير هنا الى ان ابن تاشفين كان قد دخل الى الاندلس بجيشه مرّتين في القرن الحادي عشر الميلادي ، الخامس الهجري ، الاولى لصد غارات الجيوش الاسبانية عن مملوك الاندلس ، ولا سيما عن مملكة اشبيلية التي كان يحكمها المعتمد بن عباد ، والثانية بعدها بقليل ، لكنه يُضمم الاندلس الى المغرب ، ويبسط سلطانه على المذوقين . وفي هذه المرة الثانية ساق المعتمد مكلاً بالقيود الى طنجة ، ومنها الى فاس ، ثم الى أغوات ، حيث مات المعتمد في ثلاثة الاسر ، وخلف لزوجته وبيناته مذلة التشرد والفاقة . ثم ماتت زوجته ونالت الى جانبها .

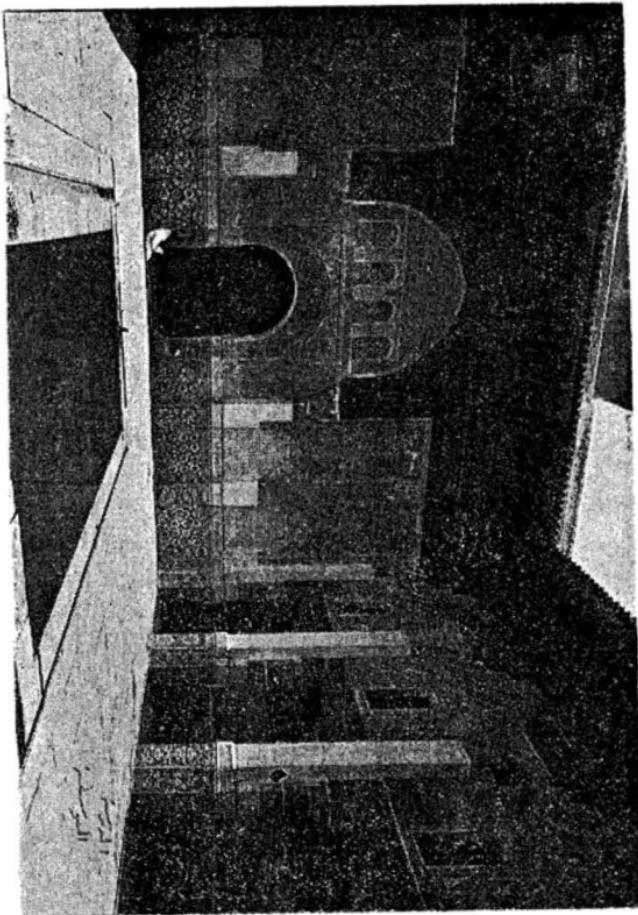
ويتألف مبني ضريح ابن عباد من مدخل ، تقام الى يساره غرفة فيها سجدة للزائرين . وينفتح المدخل الى باحة مكشوفة ، ثم الى غرفة فيها قبر ابن عباد وقبة زوجته الى جانبه . وعلى الجدار اليمين والجدار الايسر ابيات نظمها الشاعر الوزير لسان الدين ابن الخطيب حين زار قبر المعتمد . وهذه ابيات منها :

قبر الغريب ، سقاك الراوح الغادي حقاً ظفرت باشلاء ابن عباد
كفاك ، فارفق بها استودعنت مِنْ كَرَمِ رَوَّاكَ كُلَّ قَطْوَبِ الْبَرْقِ رَعَادِ
ولا يَزَلُّ ملوات اللَّهِ دَائِمَةً على نفيناك ، لا تُحصي بِسْعَادِ

وكان ابنُ الخطيب قد رثى ابن عبّاد بابياتٍ أخرى حينما وقف على قبره ، فقال :

مما ، مخلد بالشعر ، وظلّ اندودة في قمّ "الزمان" ، وظلّ تبره حجّة للزوار ممّن يعشقون الفنّ والشعر . وبِجمْع الضريحين المتقاربين ، اجتمع المغرب والأندلس اجتماعاً أبدياً ، كان الضريحان رمزاً خالداً له وعنواناً .

الطريقة الميسورة في مراكش



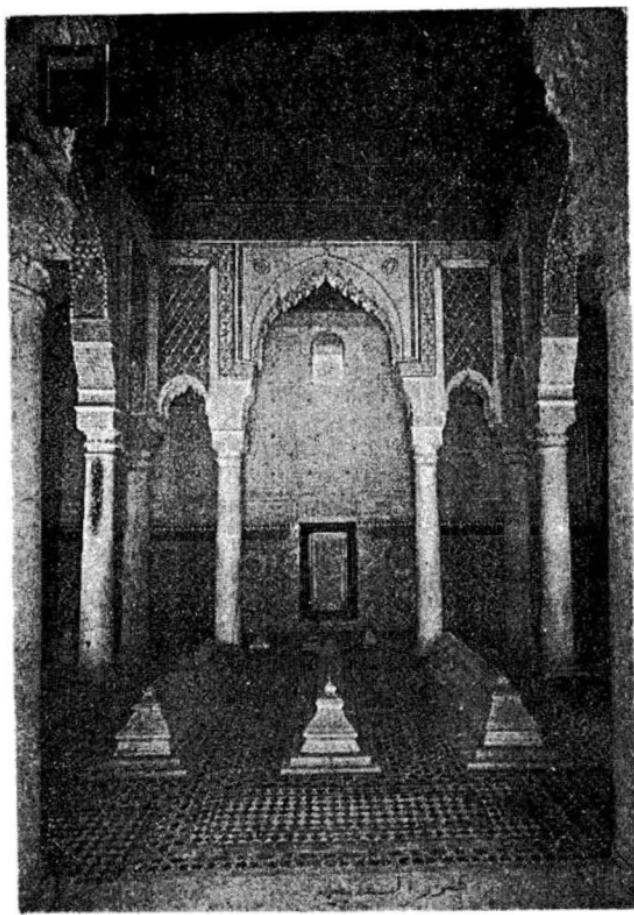
والى جانب ذلك يجتمع المغرب والأندلس في آثار أخرى باقية في مراكش ، لعلّ أهمّها جامع الكتبية ومنذنته — او صومعته — اخت منذنة اشبيلية الشهيرة باسم (الخير الدا) ، ومنذنة حسان في الرباط .

تمتاز مئذنة الكتبية وِمئذنة الخير الدا وحسان ، بـأَنَّ الصعمود
اليها ليس على سلام ، بل في طريق عريضة مُتَلَوَّة ، تنتهي كل دورة
منها بشرفات من جميع الجوانب ، تطلُّ على المدينة ؟ حتى اذا بلغ
الصاعد أعلى المئذنة ، واصلَ من شرفاتها ، انبسطت تحت عينيه
المدينة كلهَا كما تبسّط راحة اليد . ويقال إن المنصور قد أراد من
بنائهما بهذا الشكل ان يكون في وسعة الصعمود الى أعلى المئذنة على
مسمة جواده . هذه الميزة هي اهم ما يجمع بين المآذن الثلاث . واما
احجامها فمختلفات : فالخير الدا يبلغ علوها اكثَرَ من خمسة وسبعين
مترا ، وعلو الكتبية اثنتان وستون مترا ، ولا ادري كم كان ارتفاع
مئذنة حسان ، في الرباط ، فهي الان بقيّة مئذنة فقط ؛ اما من حيث
الشكل الخارجي فسان الخير الدا ، في اشبيلية ، تحفة رائعة من آيات
الفن المعماري ، لا تضاهيها في ذلك مئذنة الكتبية . وقد اقيمت هذه
المآذن الثلاث في القرن الثاني عشر الميلادي ، السادس الهجري .

وليس في وسمى ان أطيل الحديث على سائر الآثار المراكشية ،
 فهي كثيرة جدًا ، وكلها جدير بوقتنا طوال مُثْبِمات . غير اتنى
اكتفى بذكرها فقط ، ومنها : مقلبُ السعديين ، وفي وسطها قبرُ احمد
المنصور الذهبي ، اعظم ملوك السعديين وبعدهم شهرة ، وهي من
القرن السادس عشر ، وفيها الكثير من اثر الصناعة الاندلسية .
وهناك قصر (دار الهناء) وحدائقُ الاوکداد الفسيحة الواسعة الارجاء ، وقد
انشأها الملك محمد بن عبد الله العلوي . وفي هذه الحدائق غابات من
شجر الزيتون ، وبركان كبيرتان هائلتا الاتساع ، في وسط إحداهما
مكان لجلوس جوقة موسيقية وغنائية ؟ فهس بذلك شبّهة ببركة
القيروان في تونس . وهنالك ايضا قصرُ الدبيع ، الذي بناه احمد
المنصور الذهبي ، من ملوك السعديين ، في القرن السادس عشر .

اما اقدم اثر مغربي يبدو فيه الطابع الاندلسي ، في المغرب
كله ، فهو المدرسة اليوسفية ، في مراكش ؟ وكان قد بناها الامير
ملت بن يوسف بن تاشفين ، ودعاهما باسم أبيه . وكل ما في هذه

المدرسة اندلسية الطراز ، سواءً في هندسة البناء ، او في المُقرنصات الخشبية السوداء ؛ وهذه أول مدرسة اندلسية الطراز شاهدناها في حياتي ، ولم أرَ من قبل مثلها في الاندلس . أما المغرب فمتأخر فيه



مقبرة السعديين في مراكش

هذه المدارس ، وكثير منها مما انشأه الملك أبو عنان المريني ، وتدعى مدارسه كلها باسمه : (المدرسة البوعلانية) . وقد شاهدت من المدارس البوعلانية ثلاثة : في سلا ، وفاس ، ومكتناس ؛ وهي وسواها من المدارس القديمة متشابهة في طرازها ، وغُرفُ الطلاب فيها أشبه

بالرترنات ، وكلها تُطلُّ على بهو او سط منتوح ، وتقوم في الطابق الثاني من المدرسة .

واما الزخارف الاندلسيَّة المدهشة فيجدها الزائر في قصر « الجلاوي باشا »، المهجور الآن، بكل ما كان فيه من اثاث ورياش ملائكة ، كل اقامتها من الديمَقْس الحَرْ . وكذلك قصر الباهية ذي الحداقة الأبيقة، بطرازها الاندلسيِّ الجميل المنبع . في هذين القصرين يعود المرء بخياله الى الاندلس ، ويعيش في جوِّ اندلسية صرف ، ولكنه جوًّا اندلسيًّا حديث متجدد .

- ٤ -

مدينة فاس

بـَا فَانَّ، بـَا جَعَّةَ الْأَمَال بـَا سَمَّةَ وـِجْنَةَ الْمَرْغِب الْأَقْصَى لـَا رَجْبَا
مـَا زـَال جـَامِعـُكِ الـَّمـُور مـَلـَخـَرـَةَ لـِلـَّضـَادَ ، طـَوْقـُ طـَوْقـُ الـَّمـَنـَةِ الـَّحـَبـَا

(محمد العجوري)

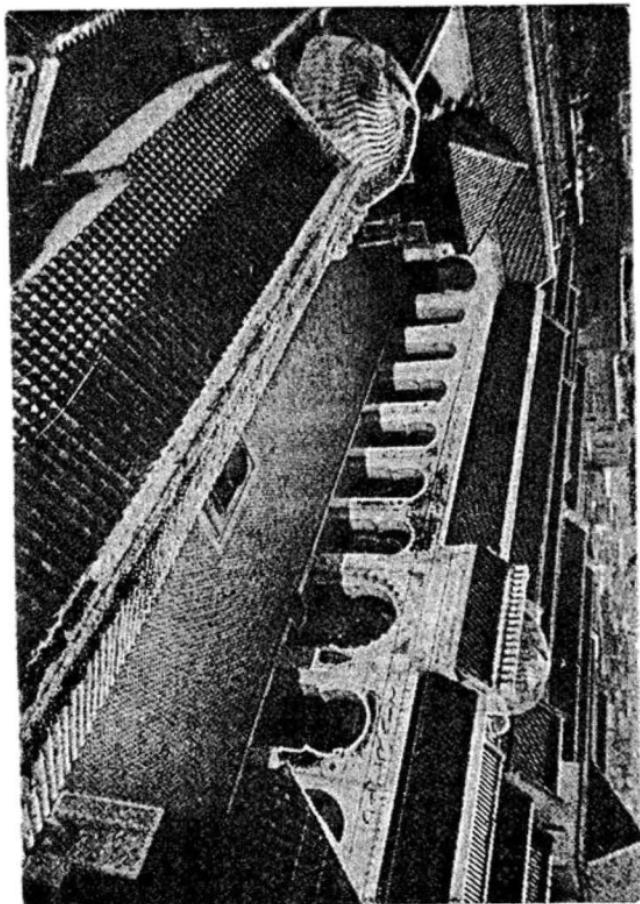
وتنطلق من مراكش مصعدًا في الأطلس الأوسط نحو الشمال ، حتى تصل الى مدينتين عريقتين ، هما مكناس وفاس . ولكلتاها تاريخ طويل مجيد من تاريخ المغرب السياسي والنكري ، ووصلات متينة بالأندلس وعرب الأندلس في القديم ، ويندون الأندلس في العصر الحاضر .

ولست اتف طويلاً منذ مدينة مكناس ، بل اكتفى منها بذكر التليل من آثارها الباشية ، واهمها : قصر اسماعيل بن علي بن الشريف ، رأس الأسرة العلوية ، ومسجدُه الاندلسيُّ الطراز ، ذو الألوان الجميلة الشبيهة بالسوان قصر إشبيلية ؛ وكذلك المدرسة البوعلانية ؛ وهي احدي المدارس التي انشاءها ابو عنان ابن ابي الحسن المريني . ويبضاف اليها قصر الجامعي ، الاندلسيُّ الجميل .

وأما مدينة فاس لم يرجع تاريخ بنايتها الى الملك ادريس الثاني ، ابن الام ادريس الاول ؟ فهو الذي وضع حجر الاساس للمدينة في غرة

ربيع الاول عام ١٩٦ هـ ، الرابع من يناير ٨٠٨ مـ . ثم نُقل اليها
حاصرة ملكه من مدينة (وليل) او (فولوبوليس) التي كانت عاصمة
ابيه . وسرعان ما توافق عليه العرب من إفريقية (تونس) ومن
الأندلس : فجاءه خمسة فارس من افريقية ، ومنات من الاسر

مِنْ جَامِعِ الْقَرْوَيْنِ لِمَنْ يَعْلَمُ بِهِ الْأَيْمَانُ



الأندلسية . فجعل المدينة قسمين ، دعا أحدهما (عدوة الأندلس)
— وهي القسم الشرقي من المدينة — وأنزل فيه الأسر القادمة من
الأندلس ، ودعا القسم الثاني (عدوة القرويين) — وهي القسم
الغربي — وقد أتَخَذَ منه الملك ادريس مَقْرًا له .

وظلت ناس عاصمة الدولة الادريسيّة ، التي قامت في المغرب على يد الامام ادريس الاول ، بعد هربه من المشرق خوفاً من بطش الرشيد به . غير أنّ البطش لحق به الى المغرب ، نمات مسموماً في حاصمته (وليلي) على يد الشماخ ، بتبيير من هرون الرشيد ووزيره جعفر البرمكي . ولما قامت دولة المرابطين في القرن الحادي عشر الميلادي ، الخامس الهجري ، انتقلت العاصمة من ناس الى مراكش التي بناها يوسف بن تاشفين . ولما جاء المربيّون في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، نقلوا العاصمة من مراكش الى ناس من جديد ، واضافوا الى المدينة قسماً دعوه (ناس الجديدة) لاحاطوه بالأسوار ، كما كانت المدينة القديمة محاطة بالأسوار ايضاً . وظلت ناس عاصمةً للمغرب بعد ذلك في عهد الوطاسيّين ودولتهم القمرية العمر .

وكثر نزوح الاندلسيّين الى ناس ، وقد حملوا معهم مظاهر حضارتهم وفنونهم ، وكان لذلك اثره الكبير جداً في التقدّم الفكري والحضاري الذي عرفته ناس . ومؤمن وُلدووا عليها ومارسوا علومهم وفنونهم فيها : الطبيب والعالم عبد الملك بن زهر ، والنيلسوف ابن رشد ، والوزير الشاعر لسان الدين بن الخطيب ، والكاتب جُرْيَي بن عبد الله الغرناطي ، والوزير الشاعر ابن زمرك ، وغيرهم ، وكلّهم عملوا في المغرب في عهد المرابطين او الموحدين او المربيّين . والمؤلم حتّى ان كلّ واحد من هؤلاء الأعلام قد رُميَ بنهمة الاٌحاد والزنقة ، وببعضهم مات حرقاً ، او مات مسموماً . ولا يزال قبر لسان الدين بن الخطيب بارزاً اثراً خارج اسوار مدينة ناس .

وما تذكّر مدينة ناس الا ذكر معها جامع القرويين ، وكان دائماً في المغرب صنو الأزهر في مصر ، وفيه تخرّج كبار علماء البلاد المغربية على توالي العصور الى يومنا هذا . وقد تحول اليوم الى جامعة عصرية . وهذا الجامع انشأته في القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، السيدة ناظمة أم البنين الفهريّة ، من مهاجرات التیروان .

ولم يلبث الجامع ان اصبح جامعة ، هي اقدم جامعات العالم على الاطلاق ، واصبح مصدر إشاعر مكري إسلامي غير بلدان المغرب والأندلس ، وتوائد عليه العلماء وطلاب العلم من كل صوب . وبجامع القرويين صارت فاس عاصمة المغرب العلمية الى اليوم . وهو اول



مضاة جامع القرويين في فاس

جامع تقيمه سيدة مسلمة في العالم الاسلامي كله ؛ وكل الدول التي تعاقبت على حكم المغرب منذ ذلك الحين كانت تتبارى في دعم القرويين ، وإغراق المال عليه ، وإجراء التوسيعات التي يتطلبها ، وتوفير العلماء له ، (والمدارس) العديدة لابواء طلابه وتدريسيهم .

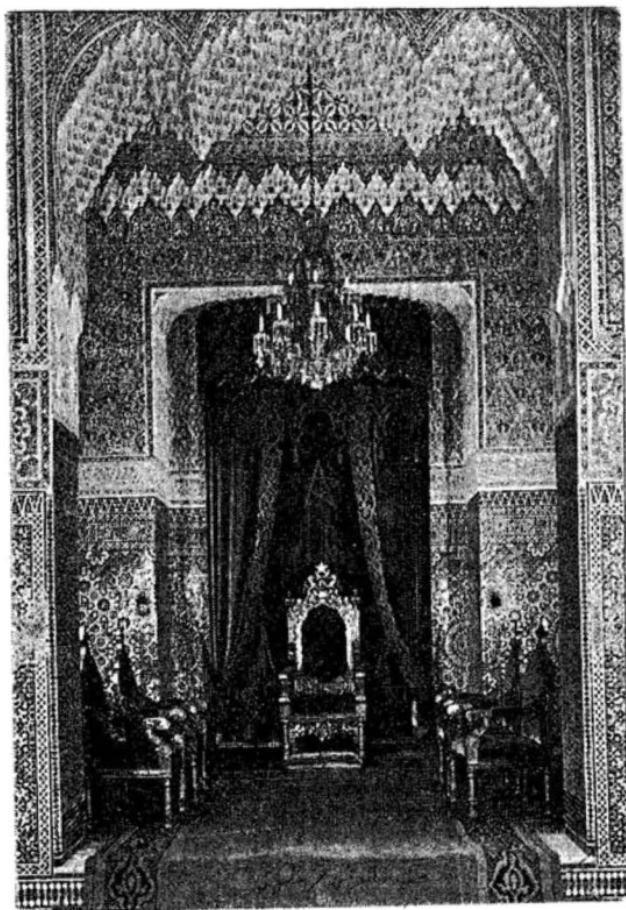
أَمَا اثْرُ الْأَنْدَلُسِ فِي التَّرَوِيْبِينِ فَنُظْلَالِمُ فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ هَذَا
الجَامِعِ الْعَرِيقِ : لِفَسِيِّ الْمَحَارَبِ نَرِيِّ الطَّرَازِ الْأَنْدَلُسِيِّ يُؤَخِّرُهُ زَخْرَفَةُ
بَدِيمَةٌ ؛ وَفِي مَحَنِ الْجَامِعِ تُدَهَّشُنَا طَبَقُ الزَّلِيجِ – أَوِ الْخَزْفِ الصَّغِيرِ
الْمَلُونُ – الْبَدِيمَةُ الْأَلْوَانُ نُفْطِيُّ الْأَرْضِيَّةُ كُلُّهَا ، وَتَزَخَّرُفُ الْبَيْضَاءُ
الْجَمِيلَةُ ، وَالْجَدَرَانُ جَمِيعُهُمَا . وَفِنْ مَوْقِيِّ زَلِيجِ الْجَدَرَانِ وَالْأَرْضِيَّةِ
تَنَطَّلُ الْمُتَرَبِّصَاتُ وَالنَّقَوشُ الْجَمِيلَةُ وَالْخَشْبِيَّةُ الْمَدَهَشَةُ ، تَنَشَّتُ فِيهَا
أَيْدِي الْمُسْتَأْنَعُ الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ اخْذُوهَا فِي الْأَمْلِ عنِ الْأَنْدَلُسِينَ ،
وَمَضَتْ بَدِعَتُهُمَا مَا شَاءَ لَهَا الْإِبَادَاعُ . وَعَلَى طَرْفِيِّ الْمَحَنِ تَقَوْمُ
ظُلُلَتَانُ – سَقِيفَتَانُ – جَمِيلَتَانُ ، تُرْتَبَهُمَا السَّقُوفُ الْخَشْبِيَّةُ الْبَدِيمَةُ فِي
نَصْفِهِمَا الْأَعُلُوُّ ، وَالْأَعْمَدَةُ الرَّفِيقَةُ الدِّقِيقَةُ مِنْ أَسْلَهُمَا ، وَالْزَلِيجُ
الْأَخْضَرُ الْبَهِيجُ فِي سَطْوَهُمَا . وَعَلَى الْجَدَرَانِ تَطَبَّعُ صَفِيرَةُ مِنْ
الْفَسِيْنَاءِ الْزَلِيجِيَّةِ الْبَهِيجَةِ الْأَلْوَانِ .

وَعَلَى مَقْرِبَةِ مِنِ الْجَامِعِ مِدَدُ مَدَارِسِ تَدِيمَةٍ ، أَنْدَلُسِيَّةُ الطَّرَازِ ،
نَذَرَكُ مِنْهَا : الْبَوْعَنَانِيَّةُ ، وَمَدْرَسَةُ النَّجَارِينِ ، وَالْمَطَارِينِ ، وَالْمَتَارِينِ ؟
وَهُذِهِ كُلُّهَا مِنِ الْمَهَدِ الْأَرِبِينِيِّ فِي الْقَرْنَيْنِ الْثَالِثِ عَشَرَ وَالْرَابِعِ
عَشَرَ . وَهُنَالِكَ أَيْضًا مَدْرَسَةُ الشَّرَاطِينِ ، وَهِيَ مِنْ مَهَدِ الْأَسْرَةِ
الْعُلُوَّيَّةِ . وَكُلُّ هُذِهِ الْمَدَارِسُ وَسَاها مِنَ الْمَدَارِسِ الْتَدِيمَةِ فِي مُخْلَفِ
مَدَنِ الْمَغْرِبِ هِيَ مِنْ طَرَازِ الْمَدَارِسِ الَّتِي نَشَاتْ فِي الْأَنْدَلُسِ مِنْ قَبْلِ
وَالَّتِي جَعَلَتْ مِنَ الْأَنْدَلُسِ مَنَارَةً عَلِمٍ وَحَضَارَةً تَبَلُّ اَنْ تَقُومُ النَّهَضَةُ
الْحَدِيثَةُ فِي أَورُوبَا .

وَتَنَجَّلُ الصَنَاعَةُ الْأَنْدَلُسِيَّةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ مَدِينَةِ مَاسِ : فِي
الْمَسَاجِدِ ، وَالْزَوَابِيَا ، وَمِنِيَّ الْمَدَارِسِ ، وَالْأَضْرَحةِ . وَمِنْ أَهْمَمِ الزَوَابِيَا فِي
مَاسِ زَاوِيَّةُ مُولَّا يَادِرِيسِ ، مَوْسِيَّسِ الْمَدِينَةِ ؛ وَيَبْتَدَئُ جَمَالُهَا فِي
زَلِيجِ سَطْوَهُمَا وَأَنْارِيزُهُمَا ، وَزَخَارَفُ جَدَرَانِهَا وَارْضِيَّهُمَا .

فَيُرِيَ اَنْ اَحَدُ الْاَعْمَالِ الْزَخْرِفِيَّةِ الْجَمِيلَةِ الْمَنْتَطَوْرَةِ يَبْهُرُ الزَّائِرَ فِي
(مَنْدَقِ قَصْرِ الْجَامِعِيِّ) ، وَهُوَ مَنْدَقٌ كَبِيرٌ حَدِيثٌ ، نَصْفُهُ كَانَ قَصْرًا
قَدِيبًا مِنِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ مَشَرِّ لَأَحَدِ كَبَارِ أَغْنِيَاءِ الْمُفَرِّبِ لِيُدْعَى (الْجَامِعِيِّ)

— وله قصور اخرى في مكناس وبعض المدن المغربية الاخرى — نسـمـاضـيـلـتـ اليـهـ اـجـنـحةـ حـدـيـثـةـ ،ـ وـاسـتـفـلـتـ حـدـائـقـهـ الفـسـيـحـةـ ،ـ وـزـيـنـتـ بالـنـقوـشـ وـالـزـخـارـفـ الـأـنـدـلـسـيـةـ الـمـدـدـهـةـ ،ـ نـجـاءـ قـطـعـةـ مـدـهـشـةـ منـ جـنـةـ



قاعة العرش في القصر الملكي في تطوان

الأندلس ، يُعِزُّ مثيلها في قصور غرناطة وإشبيلية ؛ وفي مسحاته الواسعة ، حَوْلَ بِرْكَةِ الماءِ الكبيرةِ في حدائقه ، تُقام حفلات الغناء والرقص والموسيقى الأندرسية ، فيعيش الساهرون في جوٍّ إندلسي خالص ، وفي متعةٍ للعين والنفس لذىذةٍ حاليةٍ .

لقد امترج تاريخ فاس بتاريخ الأندلس في أشياء كثيرة : امترج بالأسر الأندلسية العديدة التي تزاحت الى المدينة منذ انشائها ؛ وامترج بفنون المندسة العمانيّة والنقش والزخرفة ؛ وامترج في رحاب جامع القرويين ، اساتذةً وطلاباً وزواراً ؛ وامترج في قصور الملوك والحكام، ومن وفدهم عليهم من أعلام الأدب والشعر والفقه والعلم من الأندلسين ، ولا سيما في مهد المُرينيين وسلطانهم الأشهر أبي عنان . وقد ذكرنا في ما تقدّم أسماء بعض هؤلاء الأعلام .

وهنالك مظاهر أخرى كثيرة من امتراج الأندلس بمدينة فاس ، نجُدُ بعضها في الطُرُقات الضيقة التي تسير في وسط المتاجر المصطفة على الجانبين ، لتُبَرِّزَ اعمال النَّساجين والصاغة والصناع التاسين البارعة الجميلة . ونجُدُ بعضها كذلك في طراز الأسوار ذات الشوءات المُبَيَّنة .

والواقع أن مدينة فاس من أكثر المدن المغربية تأثراً بالأندلس وبفنون الأندلس ، وَمِنْ اكثُرها احتضانا لفنون النقش والزخرفة والبناء الأندلسية .

- ٥ -

تطوان

تقوم مدينة تطوان – او المدينة البيضاء ، كما تُدعى أيضاً – على سفح تسل (درة) الى الجنوب من سبتة . ومن حولها يُستقي وادي الحلو – ويُدعى ايضاً وادي مرتل – بساتينها الجميلة المحاطة بها . وقد بُنِيَت هذه المدينة المهاجرون الذين جاءوا من غرناطة في أيامها الأخيرة ، وعلى رأسهم ابو الحسن المنظري . ثم لحق بهم غيرهم من أضطربوا الى النزوح عن الأندلس . وقد حافظت هذه الأسر النازحة على أسلوب حياتها الأندلسية ، بحيث يُخيّل اليك ، وانت تدخل الى تطوان ، انك تدخل الى مدينة اندلسية . الواقع انت هناك رجع بي الخيال الى مدينة (رندة) في الجنوب الأندلسي ، بشكل خاص ، وشعرت بانني قد عدت اليها من جديد – وكان عهدي بزيارة رندة قريباً – .

وتطوان هي العاصمة العلميّة في الشمال المغربي ، واللغة الإنجليزية التي يتكلّم بها التطوانيون هي الإسبانية ، وبيوتها تعكس جمال الطراز العرائسي والمُهندسي الاندلسي .

فقط موسى بن عيسى بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الله



وقبل أن امضي في الحديث على المدينة وطابعها الاندلسي ، أود أن أذكر اثنى حرصتُ هناك على زيارة مؤرخ تطوان وشيخ علمائها ، الاستاذ الحاج محمد داود ، صاحب (تاريخ تطوان) ، الذي يقع في اربعين عشر مجلداً ضخماً ، سنتة منها مطبوعة ، والثمانية الأخرى

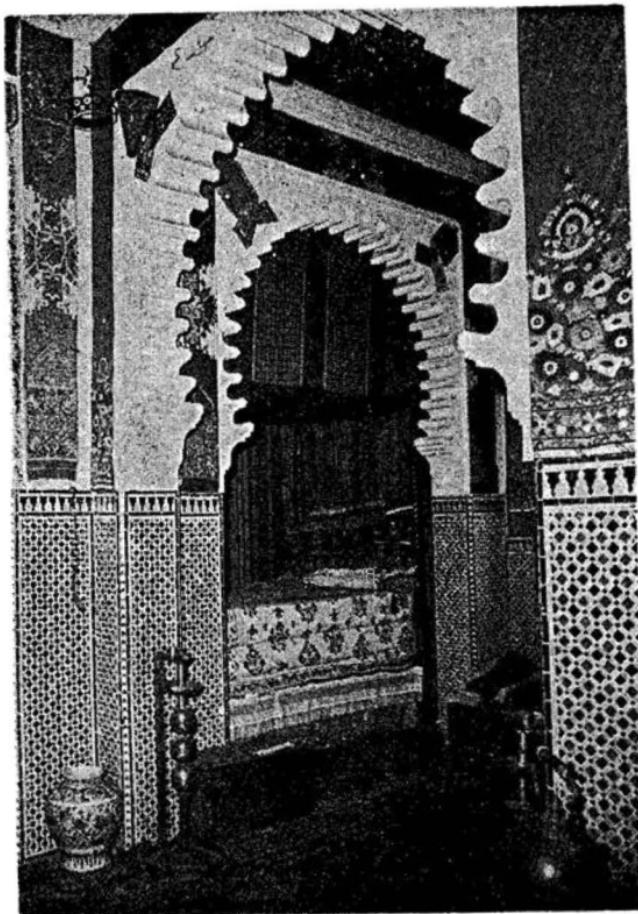
تنتظر الطبع ، يُضاف اليها أربعة مجلدات ضخمة أخرى بعنوان (عائلات نطوان) ، مما يصل بتاريخ نطوان إلى ثانية عشر مجلداً ، اطلعني عليها الأستاذ محمد داود في تلك الزيارة .

ان روح الاندلس ما تزال تعيش مع الحاج محمد داود ، متحورةٌ
اليه من اجداده الذين نزحوا عن غرناطة . وينزله قطعة فنية من
الأندلس : بتنظيمه المندسي ، وبنقوشه وزخارفه ، وفرشة وأثاثه ،
وقدراته وستوفه ؛ ولأول مرة ، وفي منزل الحاج محمد داود ، رأيت
طراز المخادع الاندلسي « بالسرير العالى » ، والستائر المصنوعة من
المقنس الأصلي الجميل ، ورأيت كيد يكون (البيت الاندلسي)
بفراشه على سطحية مرتفعة عن الأرض ، وبستانده المستديرة
الطويلة المخطاء بقمash حريري زاهي اللوان . كلّ ما في منزل الحاج
محمد داود ينلوك إلى الأندلس ، لتعيش مع التاريخ الزاهي العزيز
الذي مضى .

ومثل منزل الحاج محمد داود كذلك منازل مدينة أخرى ، أهلها
كلهم من أبناء المهاجرين الاندلسيين ، ولم يستطعوه التخلّي عن
أسلوب الحياة الاندلسي . وقد زرت من هذه المنازل منزل عبد السلام
الصلار ، مدير مدرسة المضيلة للبنات ، كما زرت مدربته أيضًا ،
فرأيت في كلّيهما ما يموج النس و النظر من روعة الطراز الاندلسي
في كلّ شيء .

حتى الساحات والحدائق العامة في وسط المدينة ، من مثل
ساحة الحسن الثاني ، وحقيقة (روضة المشاق) هي أيضًا بطبعٍ من
جنان الأندلس وساحاته العربية التقى . وحين تدخل إلى حقيقة
(روضة المشاق) تجد في وسطها ظلة — سقيفة — جميلة لجلوس
المترzin ، سطحها من الزليج الجميل المallow جدًا في الأندلس والمغرب .
وعلى مقربي منها بركة صغيرة مستطلبة ، على جانبيهما نوافير ربيعة
تناثر أتواسا من الماء إلى وسط البركة ، يعمود بك الخيال إلى (بركة
المساقية) في قصر جنة العريف ، في غرناطة .

وَسَاحَةُ الْحُسْنِ الثَّانِي فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ ، تَوَسْطُهَا ظَلَّةُ ابْنِيَةِ
كُذُلُكَ ، تَقُومُ عَلَى أَعْمَدَةِ دِقِيقَةٍ ، تُذَكَّرُ الزائِرُ بِدِقْتَهَا ، وَلَطْفَهَا ، وَجَمَالِ
هَنْدِسَتِهَا ، وَزَلِيجَهَا ، وزَخَارِفَ ارْضِيَّتِهَا ، بِكَثِيرٍ مَا يُعْرَفُ فِي الْأَنْدَلُسِ .
الْأَعْمَدَةُ الرَّهِيفَةُ الْجَمِيلَةُ، بِشَكْلٍ خَاصٍ ، تُذَكَّرُنِي بِأَعْمَدَةِ جَامِعِ قَرْطَبَةِ ،
وَقَصْرِ الْزَّهْرَاءِ ، وَقَصْرِ الْحَمْرَاءِ فِي غَرْنَاتَةِ .



مُخْدَعُ آنْدَلُسِيٍّ فِي الْمَغْرِبِ

ثُمَّ تَنْتَلِقُ مِنَ السَّاحَةِ إِلَى الْقَصْرِ الْمَلْكِيِّ الْمَجاوِرِ لِهَا ، وَهُنْكَ
يَتَجَلِّي الْفَنُّ الْمَعْمَارِيُّ الْمُنْقَولُ عَنِ الْأَنْدَلُسِ ، وَالْزَّخَارِفُ وَالنَّقْوَشُ

والقرىصات الأندلسية ، باشكال لا تشبع العين من تأملها ، ولا النفس من الاستمتاع بسحرها الدائم . وهذا الجمال هو بعض التقىن البارع المدهش الذي يتنافس فيه الصناع التطوانيون والحسناء الفاسقون بشكل خاص ، ويحاول كلّ منهم ان يتلوك فيه على زميله .

هذا القصر الملكي بني سنة ١٦٠٠ م . ، القرن العاشر الهجري ؛ بناء القائد احمد الريفي ، خليفة الملك سليمان العلوى في الشمال المغربي ، ثم أخلقت عليه مع تعاقب الأجيال ترميمات واصلاحات عديدة ، نجد تواريختها مدونة على جانب باب القاعة الكبرى ، في الطابق العلوى ، وأما الهندسة الأصلية فلم يطرا عليها اي تغيير . وقد علمت من وكيل القصر ، الذي رافقنى في جولتى هناك ، ان الصناعة الجبصية في القصر ، ينقوشها التريمية الجميلة الأنثقة ، هي صناعة ناسية ، وأما الزليج الصغير البديع اللوان لمزيج من صناعة تطوان ومنصاعة ملائكة ، وأما المقريصات الخشبية وكل النقوش الخشبية منصاعة طوانية . والفرق بين صناعة تطوان ومنصاعة ملائكة في اعمال الزليج الصغيرة – كما قال لى وكيل القصر – هو ان الصناع الفاسقين يمتنعون الشكل الكامل قطعة واحدة ويشوونه في النار ، وأما التطوانيون يقطّعونه قطعاً صغيرة ثم يشوونها ، وبعد ذلك يلصقونها على الجدار قطعة قطعة . وكان الصانع التطوانى الأول الذى منّع نقوش القصر يدعى (المعلم احمد البوري) .

وننتقل من القصر الملكي في طريق مفيدة نازلة متعرجة – هي طريق اندلسية صرف – لتأصل الى قصر آخر عظيم الفخامة في طرازه الأندلسى . ذلك هو (قصر البريشة) ؛ وهو جناحان كبيران ، عاليان السطوف ، أحدهما مخصص لبيع المنتوجات الجلدية والمنسوجات المغربية المشهورة في جمالها ، والثانى سياحي : تدخل من الباب فتتاجأ بمنظر قد لا تقع عليه العين في اي مكان آخر : بهمود مریض نسيخ الجوانب ، وفي وسطه بركة ماء مفيرة جميلة ، يتدبر الماء من نافورة فيها ؛ ومن حول البركة جوقة رجال ونساء بملابس اندلسية

مزركشة ، وفي أيديهم الات طرب اندلسية . وما إن يُحسوا بِوَقْعِ
خطال عند الباب حتى يأخذوا في العزف والغناء ، وترقص في وسطهم
الراقصات الجميلات ، وكل ذلك بفن اندلسي جميل أَخَادَ . وعلى
جوانب الْبَهْوَيِّ العربي مقاعد منخفضة لجلوس الزوار والسياح
للأستمتاع بالرقص والغناء وبالموسيقى الأندلسية .

هذا القصر أقامه سنة ١٨٩٧ الحاج عبد الكريم البريشة ،
وكان سفيراً وزيراً ووزيراً كبيراً ، تولى مناصب رفيعة في طوان
وفاس والبيضاء في عهد الملك الحسن الأول والملك عبد العزيز ؛ وبِقال
إنه بني قصراً آخر مثله كذلك ، وجعل القصرين لِبِنْتِيهِ . وهذا القصر
مُتممةً للعين والنفس ، بما فيه من جمال التقوش والزخارف الأندلسية .

والجدير بالذكر أنَّ في طوان وغيرها من مدن المغرب مدارس
خاصة ، يدعونها (دور الصناعة) تُدرِّسُ فيها فنون النحت والقرصانات
والترصيع الأندلسية ، لتظلَّ حيَّةً متطرفةً باستمرار . وقد تخلَّتْ دار
الصناعة في طوان ، وتَجَوَّلَتْ في أرجائها ، فادهشتني الصناعات
الأندلسية الجميلة التي يصنعمها المتدربون هناك ، حتى إذا ما وصلتُ
إلى القاعة الأندلسية في الطابق العُلوِّي ، وَقَنَّتْ ذاتها أمام الجمال
الباهر المتجلِّي في الجدران والستن ، وفي تَطْعُمِ الألة الخشبية
البديعة المنعِ .

إنَّ كُلَّ شَيْءٍ في طوان ، حتى مداخل البيوت ، يوحى اليك بأنك
في قطعةٍ من الأندلس العربية في أزهى صورها .

* * *

وأنتي الآن إلى الختام من هذه الجولة السريعة ، لأقول إنَّ ما
قدَّمتُه في هذه الدراسة الموجزة ليس سوى خلاصةً للانطباعات التي
مُدتْ بها من جُولتني في مُدن المغرب . ولكنَ الواقع الذي شاهدته ،
وغيثته ثلاثة أسابيع هناك ، يظلُّ أَكْبَرُ من الكلمات ، وهو جديَّرٌ
بمزيد من التفاصيل ، وجديَّرٌ كذلك بمزيد من الصُّور ، لِتُقرِّبَ الوصف
من الحقيقة .

لقد زُرتَ الاندلسَ مَرْتَينَ قَبْلَ زِيَارَةِ الْمَغْرِبِ : كَانَتِ الْأُولَى سَنَةً ١٩٦٧ ، وَالثَّانِيَةُ سَنَةً ١٩٧٤ . وَكَانَتِ الْزِيَارَاتُانِ لِلْدَرَاسَةِ الْفَاحِصَةِ الْمَتَانِيَّةِ ، لَا لِجَرَدِ السِّيَاحَةِ وَالنَّزَهَةِ . وَقَدْ امْتَلَأْتِ نَفْسِي بِمَا شَاهَدْتُ هُنَاكَ مِنْ رَوَاعِيَّةِ آثارِ الْحُضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْبَاقِيَّةِ إِلَيْهِ يَوْمَنِيِّ .

وَهِينَ زَرَتُ الْمَغْرِبَ عَامَ ١٩٧٤ — بَعْدَ زِيَارَتِيِّ الْمَتَانِيَّةِ لِلْاندلُسِ مُبَاشِرَةً — احْسَنَتِ بَانَ هَذِهِ الْزِيَارَةِ كَانَتْ ضَرُورِيَّةً لِكِيْ تَكُوُنَ بِهَا دِرَاستِيِّ لِلْاندلُسِ : ذَلِكَ لِأَنَّ بَيْنَ الْبَلْدَيْنِ ، إِلَى جَانِبِ التَّارِيخِ الطَّوِيلِ الْمُشْتَرِكِ ، حُضَارَةٌ مُشْتَرِكَةٌ بَاقِيَّةٌ ، وَلَا يَمْلِئُ الْمَفْرُوبَ الْيَوْمَ امْتَدَادًا رَائِعًا لِلْاندلُسِ ، وَتَارِيخِهِ ، وَحُضَارَتِهِ ، وَمَنْوِيَّهِ .

حول تعریف التعليم و تعریف العاصم والٹکنولوچیا

للكتور احمد سعيدان
حضرات المسئون

لا غرو أن دعوات كثيرة قد انطلقت، وما تزال تنطلق ، من أفراد وهيئات ومؤتمرات ، تدعى إلى تعریف التعليم وتعریف العلم والتکنولوجيا، وإن هنالك أفراداً وجماعاتٍ يُضيقون ذرعاً بهذه الدعوات، فيعارضونها ويطرحون في المعارضه حججاً وآراءً جبيرة بالتأمل والتفكير . وإن دعوات الداعين ونواهـي الناهـين تصطبـغ احياناً بصفـة انسانية خطابـية أو عاطـفـية انفعـالية تـنـاي بـها عن رـزانـة القرـار الحـكـيم المـسـؤـول؛ وهي تـكـادـ دـائـنـاـ تـصـدـرـ مـنـ منـطـقـاتـ متـعـدـدةـ مـتـباـيـنـةـ ؛ فـهيـ تـارـةـ قـومـيـةـ وـطـنـيـةـ ، وـتـارـةـ فـتـيـةـ لـغـوـيـةـ ، وـهـيـ اـحـيـانـاـ تـارـيـخـيـةـ أوـ اـجـمـاعـيـةـ ، وـكـثـيرـاـ ماـ تـنـعـارـضـ أوـ تـنـاشـبـكـ أوـ تـنـاقـضـ، حتىـ لـتـكـادـ تـضـيـعـ الـحـجـةـ، وـتـحـتـجـبـ الشـجـرـةـ بـأـغـصـانـهاـ ، كـمـاـ يـقـولـونـ .

وانـيـ لأـهـمـ انـ أـقـولـ إـنـيـ عـازـمـ عـلـىـ انـ اـنـحـوـ فيـ عـرـضـ القـضـيـةـ منـحـيـ مـوـضـوـعـيـاـ، لـوـلـاـ إـنـيـ أـجـدـ فـيـ مـنـ تـعـرـضـواـ لـلـقـضـيـةـ مـنـ يـسـتـهـلـونـ الـبـحـثـ بـزـعـمـ كـهـذـاءـ، ثـمـ هـمـ يـغـرـقـونـ السـابـعـ اوـ الـقـارـىـءـ فيـ مـتـاهـاتـ مـنـ مـفـالـطـاتـ وـمـنـاقـضـاتـ، كـتـرـيـقـ يـضـرـبـ عـلـىـ غـيرـ هـدـىـ، اوـ يـسـدـورـ فيـ دـوـامـةـ .

وكـيلـاـ اـضـرـبـ عـلـىـ غـيرـ هـدـىـ اوـ اـدـورـ فيـ دـوـامـةـ سـاجـنـجـ الىـ الـتـهـجـ الـعـلـمـيـ، فـاـحـاـلـوـ تـحـلـيلـ الـمـوـضـوـعـ عـلـىـ عـنـاصـرـ مـتـبـيـزةـ بـعـضـهاـ عـنـ بـعـضـ، ثـمـ الـقـيـ نـظـرـةـ عـلـىـ هـذـهـ عـنـاصـرـ مـتـرـقـةـ، لـأـخـلـصـ مـنـ ذـلـكـ الـىـ مـواـزـنـةـ مـاـمـةـ، بـيـهـاـ حـاسـبـ الـرـيـبـ وـالـخـسـارـةـ، وـكـشـفـ الـحـاسـبـ، وـفـيـهـاـ خـطـةـ وـاقـتـراـجـ وـيـنـاءـ .

ولو كان ما نجاهه عبارةً جُبرية او مركباً كيماويًا لوجدنا على الغالب نهجاً تقليدياً لتحليله الى عناصر متيبة ؛ ولكننا نجاهه قضية تعيش معنا وتنطوي على واقع ماثل امامنا، يقوم على جذور ضاربة في اعماق تاريخنا، ويمتد الى كثير من خططنا وتعلمنا . للبس ثمة، على ما اعلم، نهج لتحليله الى عناصر سوى إنعام النظر فيه من زوايا مختلفة محددة .

الزاوية التربوية :

وأولى الزوايا المحددة التي منها انظر في الأمر هي الزاوية التربوية، التي قلماً أولاها من تعرضوا للأمر ما ينفي من عنابة واهتمام .

إن عملية التعليم عملية تربية ؛ فطبعي ان ننظر في تعريب التعليم من الزاوية التربوية الحضرة . وتعريب التعليم يعني عندنا في الأردن تعريب التعليم الجامعي، وينصب على التعليم في الكليات العلمية . وهذا ما أحضر البحث هنا فيه، وإن كنت اعلم ان التعليم غير الجامعي يفتقر في اقطار اخرى عربية الى التعريب . وفي مسئول حديثنا عن تعريب التعليم في الكليات العلمية طبعي ان تستذكر ماذا نبني من التعليم في هذه الكليات .

إن إعطاء الطالب معارف وخبراتٍ تمكّنه من اجتياز امتحاناته ممكّنة ومن ممارسة مهنية محددة يؤهله تخصصه لها، ليس وحده الهدف من التعليم الجامعي؛ إذ لعل ما في كتب محدودة قليلة العدد ما هو أكثر وأوسع مما يعطي المحاضرون في الجامعة ؛ ولعل في خبرة هندسية يأخذها الطالب من بناء أو خبرة حسابية ينبعها من مصرف ما، يربو على الخبرة المقتنة التي تعطيها الأعمال الخبرية الجامعية في اوضاع افتراضية مصطنعة .

ان الجامعة جَوَّ اكاديمي مثالي، يمارس فيه الطالب الحياة الموضوعية المنظمة المضبوطة بحرية راي، وحرية تصرف في حسود الموضوعية والنظام والانضباط، وعلى نحو يسْتَهِدُ ان ينسى الطالب

نفسه بناءً متكاملًا، تَبَرُّزُ فيه شخصيته، وتتأمَّلُ به مواهِبه الكامنة، ويفدو به مواطناً صالحًا، ايجابيًّا غير سلبيٍّ، قابلاً للتفاعل معَ من حوله وممارسة القيادة والريادة ، على خلفيةٍ من المميزات والقيمة التي تسود في المجتمع الذي سيعيش الطالب فيه .

في ضوء هذه الأهداف نسترجع للذاكرة واقع الكليات العلمية المتوافرة، او التي يمكن ان توافر على ارضنا، فتتمثل امامنا ثلاثة انواع من هذه الكليات :

اولاً : **كليات أجنبية اللغة والطابع**، كالكليات الانكليزية والامريكية التي نعرفها ؛ لغة التعليم والمعاملات والحديث فيها غير العربية ، حتى يندر ان تجد فيها اثنين يتكلمان بالعربية .

يَدْخُلُها الطالب العربيَّ فيصدمه فيها امران : لغة لا يُتقن لها ولا التحدث بها ، وبيئة لا يالفها . فماذا هو تَكَبُّفُ مع البيئة وعَجَلُ في اتقان اللغة، سارت معه الريح رحاءً، ومضت أمروره بامان في جَوِّ اكاديمي مثالى خصب . اما اذا هو تَعَثَّرُ في هذا او ذاك، فقد ينقطع به الحالُ في وَسْط الطريق؛ وقد يُبلغ نهاية الشوط خائراً القوى مقطوع الأنفاس .

ونظم هذه الكليات اذا لم نعترف بانها تحقق لابنائنا معظم الأهداف التي استرجعناها فيما سبق .

ولكتنا نظم انفسنا اذا لم نعترف ايضاً بانها تصدر عن قييس، واخلاقيات لا تنبئ من بيئتنا وجنورنا التاريخية، وأنها تُعدُّ الطالب لجتماعٍ غير المجتمع الذي سيعيش فيه .

لقد حَرَّجَتْ لنا هذه الكليات نفراً من خيرة ابناءنا وقادة الفكر فيما بيننا ؟ ولكتها أجنبية ، فهي لغيرنا؛ ادارتها ليست بيدهنا وسياساتها ليست من صنعنا، وان من حقنا ، كسائر شعوب الارض ، ان يكون لنا جامعاتنا التي تنشأ بمالنا، ويدبرها رجالنا، ويسلُوها ابناءنا، وتُرَسِّمُ سياستها في ضوء حاجاتنا وخططنا وتعلّماتنا .

انطلاقاً من هذه الحاجة ظهرَ بيننا النوعُ الثاني من الكليات، وهي :

ثانياً : كليات عربية الوجه واليد واللسان :

قد يدور في خلدنا أنَّ هذه الكليات تحقق كلَّ ما تحقق الكليات الأجنبية وتزيد على ذلك ، أو لأنَّ الطالب العربي أكثر استيعاباً للمعرفة بلفته، ومن ثمَّ فهو أعمق كُمَّها وأولئك بالابداع وثانياً لأنَّه لن يضيع وقتاً وجهداً في اتقان لغةٍ جديدة؛ وثالثاً لأنَّ الكلية تُعدُّ لمجتمعنا العربي، وتُثْقِلُ على خلقيتنا من قيمتنا واخلاقتنا وبيتنا وتراثنا .

ولكن الواقع غير ما نتوقع ، لا في الكليات العلمية ولا في الكليات الإنسانية أو غيرها من الكليات . ذلك أنَّ العلم ينمو في هذا المصر على نحو يوصف بالتدفق أو التلَّاحر ؛ ومع نمو العلم وتدفقه يمضي تطويرًّا مناهجه بسرعةٍ فائقة، حتى ليتذرَّ أن يعيش كتاب علمي مالحاً دون حاجة إلى تعديل ، أكثر من خمس سنوات . وهو ينمو مادةً ومناهجًّا على أيدي غير مرببة، وتعبرُ من الجديد فيه والتجديد السُّنةُ غيرُ عربية ، في دوريات كثيرة أجنبية.

بالكليات العلمية التي جعلت العربية لغةً التداول والتعليم، حجبت نفسها عن منابع العلم، ولذا ما لبثت أن وُقتَت بمعزل عن تيار التطور، سواء في المادة العلمية والتعليمية ، أم في أساليب درسها ، بل ، في أجهزة البحث والتدريس . إنَّ جُلَّ ما نتجه من هذه الكليات إنما هو اجترار وتكرار .

هذا الواقع كلَّ من يدرك التطور العلمي المعاصر لا يستطيع إنكاره ؛ ولقد قال قائلون جدلاً إنَّ لغة القليلة من خريجي هذه الكليات هي وحدها المؤهلة للاستزادة من العلم، وهي وحدها التي ستحتاج عندما تستزيد إلى اتقان لغة أجنبية ، وعندما تُدفع بها إلى موطن هذه اللغة . وهذا تولَّ يُنْهَى على سطحية وسذاجة ؛ فالعلم الحديث ليس طلبة يُنْهَى بهما من يقدر

او من يشاء،ولكنه حياةً وطريقة حياةً تلتصقها في البيت والمدرسة والمكتب والشارع وكل مكان،ويتبيني ان تجدها لدى المعلم والطالب على السواء . حتى الكليات الانسانية ، التي مادتها مربوطة في كل شيء، قد تتجزأ لانها افتقرت الى المنهجية التي نلمسها واضحة في الكتب الأجنبية المتقدمة ، والتي بدونها قلما يكتمل بحث او تكتمل دراسة .

وهنا امران يبتئرون بهما جل الحاببين على العربية، الداعين الى استعمالها في كل مراحل التعليم : احدهما الحديث عن هذا التدفق السريع في المادة العلمية واساليبها، وثانيهما هذه المنهجية التي ازعم اننا نفتقد لها في الكتب العربية ؟ فقد يحسن الامر بما سراعا دون مزيد من التوضيح .

اما عن تزايد المعرفة،فيكتفي ان نشير الى ان مؤسسة اليونسكو نشرت قبل حوالي عشر سنوات احصائية تشير الى أن مطبع العالم يخرج في كل اربعين دقيقة من الكلام المطبوع ما لو جمع في كتاب واحد لبلغ هذا الكتاب اربعة وعشرين مجلدا ، كل منها بحجم المجلد الواحد في الموسوعة البريطانية المعروفة ؛ وان ما تصدره هذه المطبع في اليوم الواحد ينطوي على اكثر من خمسمائة مصطلحا علمياً جديدا، لم يكن له قبل يوم واحد وجود .

ولعلني ان الناس ينسون، ادعوا القارئ الى ان يتذكر كيف كانت وسائل المواصلات، مثله قبل ثلاثين عاما، وكيف هي اليوم . إن الذي يمكن لهذه الطفرة الواسعة انها هو فيض من المنجزات العلمية والتكنولوجية، تَّقدَّمت العالم من عصر الكهرباء الى عصر الطاقة النووية والحسابات الالكترونية وسباق الفضاء .

وهذه المنجزات لم تتحققها عقول عربية، ولم تُنصلِّها لنا كتب عربية ، وهي المادة العلمية التي تُشَيَّرُ حياة العصر وتترجم مناهج الدراسة، وينتظرُها تَغْييرُ الحياة، وتتبدل المناهج. ونحن لا

نيلك حيالها الا ان نقف تلاميذَ مستقبلين؛ هذا اذا اتيح لنا ان
نفتح النوافذ لاستقبالها ، مان لم نفعل بذلك هو التوقع الذي
لا يليث ان ينجلي عن تخلُّفِه من فائته القطار .

هذه حقائق ، لا مبالغة فيها ولا سبيل الى تجاهلها او
انكارها ؛ وإن من الخير ان نضعها نصب أعيتنا اذا كانا تتطلّع
إلى تحطيمِ مُحكَمَ معال .

سيقول قائل : إن دخول العربية من الباب لا يعني هرب
الإنكليزية، مثلاً، من الشباك . صحيح انه لا يعني ذلك ، فلا
لزم ان تهرب اللغة الأجنبية لأنها لم توجد أصلاً ، الا اذا
حسبنا ان الفيزيائي الذي يقضي عمره يدرس الفيزياء في كتب
عربية يشتمل عليه نئمهما في مراجع أجنبية . كلاً ، حتى لو كان
يتقن اللغة الأجنبية قراءة ومحبها . ليس محيحاً عندنا ان
العلم ليس له لغة؛ وإن خبرتنا في الجامعة الاردنية لدليل مائل
على ذلك .

اما المنهجية التي اشرتُ اليها فهي أسم آخر للطريقة العلمية
في البحث والاسلوب العلمي في عرض نتائج البحث .

المنهجية اخلاق ؟ انها موضوعية تتوخى البحث عن الحق وحده،
وتحث عنه بلا هوى ولا نزق ولا انفعال، ثم تعرض الحق، ولا
شيء غيره ، بلا تكلف ولا رداء ، ولا بهرجة ولا تلوين ، وبأسلوب
يعطي الكلمة حجمها الطبيعي، فلا يصنف بالعظمة الا من كان
له منها نصيب ، ولا يُعد عظيماً جداً الا من كان نصيبيه منها
والرا ؛ المنهجية تعطي كلَّ ذي حقَّ حقَّه؛ ماذا مررُ امرؤ نتيجة
بحثه ذكر من ساروا في الدرب قبله، واين وصلوا، وماذا حققوا ،
ثم ماذا كان دوره هو، وايَّ جيد حَقَّ ؟ والمنهجية امانة ؛ امانة
تجاه الحقيقة، وتجاه القارئ والتاريخ .

ليس في المنهجية نفاق ولا أسلوب خطابي ولا مبالغة ولا بهجة كلام غير ذي مضمون ، وليس فيها تلويين للحق ولا تحريف له ولا افتراء عليه . وما أحوجنا إلى هذا كلّه في ما نقرأ وما نكتب .

ولم يسبق الغرب إلى المنهجية : لقد بدأ بالاسلام في مصوره الأولى عندما كان رواة الحديث يشترون الرحالة ويقطّعون آلاف الفراسخ من أجل التأكيد من نَصَّ ما تُسِبِّ لراوية ما . ولكن المنهجية ضاعت في المصور الاسلامية المتأخرة ، ولقيها الغرب في أواخر القرن الماضي بعد معاناة طويلة شهد فيها كثيراً من الالتراء وكثيراً من الادعاء . وهـَا نحن اليوم نجدُها في البحوث العلمية الغربية وفي الكتب العلمية الاوروبية ، وكثيراً ما نقتضدها في البحوث والدراسات العربية . لقد جمع بيرسون في مهرسه الاول كلَّ ما يُشير في الدوريات من بحوث ودراسات حول الفكر الاسلامي «من مطلع هذا القرن الى سنة ١٩٥٥ (المجلد الاول) زهاء ٢٦ الف بحث» ليس بينها بالعربية بحث واحد تتواتر فيه مناصر المنهجية .

خوْفًا من التقوّع، وحْبًا بالمنهجية، اختارت بعض الجامعات العربية نوعاً ثالثاً من الكليات العلمية، وهي :

ثالثاً : كليات عربية انكليزية :

لغة الحياة والمعاملات في هذه الكليات هي العربية ، ولكن لغة المحاضرات والدرس والامتحان هي الانكليزية ؛ فالكتُب المقررة والمراجع انكليزية؛ وعلى هذا فالباب مفتوح على مصراعيه لأحدث المناهج ، ولا خوف عندنا من توقع أو تحجّر .

بعض الناس يصعب عليهم أن يروا الواقع ، وبعضهم يصعب عليهم أن يعترفوا بما يرون؛ وهو لاء جميعاً قد يعتبنون على اذا قلت إنَّ الطلب المتوسط عندنا يفقد لغته ولا يتنافى الانكليزية ،

بالضبط كالغراب الذي قلد مشية غيره . اتنا لم نسمع في جو
يتعلم فيه الانكليزية ، لا حديثا ولا كتابة ، وانما طلبناه ان يفهم
ما يقرأ وما يسمع . اما ما يقرأ فذلك مادة الكتب المقررة، بينماجا
بها الطالب منذ اللحظة الاولى، فتحت لدنه رعشة وفي نفسه
مقدمة ، وقلبا تزول تلك الرعشة، وتلما تحل تلك العقدة ؟ فلا
ينبغي ان نحسب انه يفهم ما يقرأ لهما تاماً ، ولكنها صور
لذلك المفروء ترتسن في مخيّلته، ومعها تصوراتٌ غائمةٌ تلقي
ثبيت ان تنمحى، فيفدو وkanه لم يقرأ شيئاً .

واما ما يسمع الطالب في المحاضرات فلتلما يكون انكليزياً،
وانما هو خليط من انكليزية سقية وعربية عالمية، وعم ذلك زماماً
كان هذا الذي يسمعه هو وحده الذي ينفي منه الطالب في
جامعته اذا هو احسن الاستماع، او اذا احسن المعلم الاداء ؟
لان طلابنا قلما يرجعون الى المراجع لأنهم لا يفهمونها ، وقلما
يحسنون استعمال كتبهم المقررة لأنهم لم يهيأوا لها ؟ وهم قلما
يناقشون في المادة العلمية لأنهم لا يحسنون الحديث بالانكليزية ،
فما هي النتيجة ؟ ينضيرون الى تلك الاكتيرية الصامتة السلبية ،
التي تتجه نسماها في تحصيل بعض النهض تحصيلاً مؤقتاً من
اجل الامتحان، وينتهي بانتهائه .

جاءني قبيل الامتحان طالبة في السنة الاولى في حالة
هستيرية تقول : كُلَّ مسائل PERCENTAGE هي ملائمة
بالنسبة الى اهميتها عمّا تبحث ؟ قلت : الم تدرسي النسبة
المئوية في الصف التوجيهي ؟ قالت بلى ؟ قلت ذلك هو ما
تبحث فيه ؟

- صحيح ؟

- نعم

- اذن "PERCENT" معناها "في المائة" ؟

- بالضبط

- ما اغباني !

وفي الامتحان رأيت طلاباً مضارباً يرون أن يُستوضَع معهـى
كلمة "Sphere". وبعد الامتحان جاء الطالب يجادلني مؤكداً
أن معلمه فسر الكلمة بمعنى "الجـوـ" ، فلما أكـتـ لـهـ انـ الجـوـ
يـقـبـلـهـ بالـاـنـكـلـيـزـيـةـ كـلـمـةـ "Atmosphere" ، شـعـرـتـ بالـطـالـبـ
كـانـ شـبـكـةـ مـعـقـدـةـ قدـ اـنـحـلـتـ اـسـامـ بـصـيرـتـهـ .

سيقول قائل : هذا الذي تصفه حالاتٍ فرديةٍ شاذة، تحدث
في مرحلةٍ مبكرةٍ ولا تحدث فيما بعد ذلك. ولكنني أتبينُ لو ان أحد
المهتمين بالامر كلف مجموعة من الطالب العاملين في نهاية
المرحلة أو بعد التخرج، ان يكتبوا له اسطراً قليلة ، بالانكليزية
او العربية، في موضوعٍ ما يتعلّق بخُصُصِهم ؟ عندها سيدـجـدـ
مجـبـاـ . لـيـ معـ طـالـبـ مـنـخـنـاهـ المـاجـسـتـيرـ فيـ الـرـيـاضـيـاتـ قـصـةـ
عـجـيـبـ ؛ هـذـاـ طـالـبـ لاـ اـذـكـرـ اـسـمـهـ وـلـكـنـيـ لـاـ اـنـسـىـ قـصـتيـ
معـهـ ؛ عـلـيـتـهـ فيـ كـلـ سـنـةـ مـنـ سـنـوـاتـ درـاسـتـهـ للـبـكـالـورـيوـسـ، وـلـاـ
انـكـرـ اـنـهـ فيـ مـرـةـ وـاحـدـةـ نـاقـشـ اوـ وـقـفـ لـالـقـاءـ سـؤـالـ اوـ أـقـتـارـ
حلـ . كانـ دـائـمـاـ مـعـ الصـامـيـنـ الـذـيـنـ يـحـسـنـونـ الـاسـتـمـاعـ ، فـاـذاـ
جـاءـ الـامـتـحـانـ يـُـحـلـقـ مـعـ الـمـقـوـقـينـ .

وـمـنـعـ الطـالـبـ الـبـكـالـورـيوـسـ بـدرـجـةـ "جـيـدـ جـدـاـ" ، وـتـقـدـمـ
لـلـمـاجـسـتـيرـ، وـكـانـ مـنـ نـصـيـبـيـ انـ أـعـطـيـهـ مـسـاتـاـ مـنـ هـذـاـ مـسـتـوىـ .
وـكـانـ مـنـ وـاجـبـاتـهـ فيـ هـذـاـ مـسـاقـ انـ يـعـدـ تـقـرـيرـاـ مـكـتـوبـاـ، وـانـ
يـفـرـحـ مـادـتـهـ فيـ الصـفـتـ كـيـاـ نـاقـشـهـ . وـقـدـ أـكـدـتـ عـلـىـ الطـالـبـ
انـ يـعـدـ كـلـ مـنـهـ تـقـرـيرـهـ بـالـعـرـبـيـةـ، كـيـاـ يـجـريـ النـقـاشـ بـالـعـرـبـيـةـ ؟
هـذـاـ بـالـرـغـمـ مـنـ اـنـ المـارـجـعـ كـلـهـ بـالـاـنـكـلـيـزـيـةـ . لـهـ اـرـدـتـ ذـلـكـ
لـاـحـولـ بـيـنـ الطـالـبـ وـبـيـنـ النـقـاشـ الـحـرـفيـ مـنـ المـارـجـعـ ؛ لـقـدـ اـرـدـتـ ذـلـكـ
انـ يـكـوـنـ لـهـ دـورـ اـكـثـرـ مـنـ مـجـرـدـ التـلـخـيـصـ . وـلـقـدـ قـامـ الطـالـبـ
بـهـذـهـ الـحاـوـلـةـ، الاـ اـنـ تـقـرـيرـهـ كـانـتـ كـمـحـاضـرـاتـ اـسـانـدـتـهـ، خـلـيـطاـ
مـجـبـيـاـ مـنـ الـعـرـبـيـةـ وـالـاـنـكـلـيـزـيـةـ ، الاـ هـذـاـ طـالـبـ؟ مـنـقـبـلـ الـمـوـعـدـ
الـحـدـدـ لـنـاقـشـهـ تـقـرـيرـهـ، جـاعـنـيـ يـرـجـوـ انـ يـقـدـمـ تـقـرـيرـهـ بـالـاـنـكـلـيـزـيـةـ

لأنه لا يستطيع نقله إلى العربية . وحين أخذ الطالب يقرأ تقريره، مضى حوالي ربع ساعة حتى تأكّد لدى أنه يتكلم حقاً بالإنكليزية، كان تقريره على النحو الذي ألقنه من طلابنا : مقدرات مقتبسة من المراجع أو المراجع، ولكن الفاظ الطالب كانت عجيبة ، لأنّه تأثّر إلى أية لغة ؟ حتى تلك الالاناظ التي تتكرّر في كلّ محاضرة في موضوع تخصّصه ؛ لقد سمعها أكثر من مائة مرة من عدد من المحاضرين ، ولكن لم يتقن لفظها، فلقدّنّها بطريقة مضحكه تبعث في النفس السخرية ؛ والقسم واضح : لقد كان الطالب يحضر المحاضرات ويصفى ، ولكن نكره كان مشفولاً، كان يُموّل على أن يحفظ صور المادة التي يجدها في الكتاب، فيعيد رسّمها على نحو ما في الامتحان ؛ ولو كان أعمق من ذلك فهو مهملًا عجز عن نقل المعاني إلى لفته .

والنتيجة واضحة، إنّما لم يخرج فيه طالباً يستطيع أن يكون مواطناً صالحاً، يبيّد مجتمعه بعلمه وتخصّصه ، لا بالعربية ولا بالإنكليزية ولا بخطيب من اللفتين ، ولا خريجاً يمكن في أي مجتمع أن يُعطي عن جامعته فكرة طيبة . وما أكثر الدلائل على أن التّلة من خريجيينا هم أحسن حالاً من هذا الطالب .

إنّي أقدر لزملاي في الكليات العلميّة جهودهم، ولا يدور في خلدي لحظة أن أنتقم من هذه الجهد و هذه الجهاد ؟ ولكن النقد الذاتي دليل عافية، والاعتراف بالواقع علامة قوّة، والتطلع إلى الأحسن والعمل من أجله بشّرّ صحة، وإنّ من القسوة والصحّة والعافية ان نراجع مواقفنا، ونبين موضع اقدامنا .

ما العمل ؟

تَتَّمِّنُ الكليات العربية والإنكليزية من تأدبة رسالتها كما ينبغي، لأنّها لا تُهتمّ بالطالب لفهمه والتّفاعل مع العلم الذي يتعلّمه، بحيث يصير هذا العلم جزءاً من شخصيّته وكيانه وحياته ؛ فلي كنفها يعيش

الطالب بشخصيَّتين : شخصيةٌ عربيةٌ حياتها ومعاملاتها بالعربية ، ولكن لا يتعلم بهذه اللغة، ومن ثمَّ فعلُه ليس عاملاً على تهنيب لغة حياته ومعاملاته ؛ وشخصيةٌ مُحَمَّدةٌ تحاول ان تتعلَّم بالإنجليزية وهي لا تفهمها، وتحاول ان تُعَبِّر عن علمها بهذه اللغة فتُتَعَنَّتْ . إنها ازدواجية ذات وجهين : وجهٌ ساذج لا يوجدُ ما يُصْطَلِّهُ ووجهٌ متخالِّ لا يجدُ ما يَبْعَثُ فيه نفحةً من ثقة او قسا من قَوَّةٍ .

وتُقْصَرُ الكلياتُ العربيةُ المضمة عن ثانية رسالتها كما يبنِيَّها لاتِّها بمعزل عن ينابيع العلم . كان يبنِيَّها أن يرايقُها جهاد دائب لتعريب العلم ؛ اي تكوين اجهزة تُعمل باستمرار لنقل الفكر العلمي الى العربية ، كُتبًا ومراجع ودوريات . وهذا يقتضي بإقامة مؤسسات للترجمة والتعريب، تقوم بجانب المؤسسات الأكاديمية التي تُعنى بتخريج المتخصصين، سواء في العلم او في التكنولوجيا ، حتى يستطيع الطالب والمعلم على المسواء ان يصلوا الى ينابيع المعرفة بلغتهم انسى شاعوا .

ولتكن اقامة مؤسسات الترجمة التي تُعِدُّنا بما نحتاج اليه من كتب ومراجع ودوريات مترجمة ومعرَّبة، مشروع يقتضي عملاً دائِبًا غير منقطع، لن يؤتي أكله على نحوٍ مرضٍ في أقل من نصف قرن . فهل ننتظر خمسين عاماً حتى تتكاثر لدينا الكتب المترجمة في شتى نروع العلم، ثم نبدأ بثانية رسالتنا ؟ لا ، فهناك بالتأكيد حلٌّ وسط يُفْعَلُ قبل تعريب العلم، ويهدَّد لتعريبيه .

يتضمن هذا الحل الوسط ان يجري التعليم في الكليات العلمية على نحو كلاسيكي :

- ١ - في السنة الأولى الأكاديمية يتلقى الطالب علومه الأساسية بالعربية وباستعمال كتب مترجمة ، او غير مترجمة ، وبأخذ في كلّ فصل دراسي مساقاً في اللغة الانكليزية ، يُعرَّفُه بالمصطلحات العلمية، ويزيده في هذه اللغة قَوَّةً .

٢ - في السنة الثانية يبدأ تخصص الطالب، وفيها يتلقى علومه بالعربية، إلا مساقاً واحداً في كل فصل يتعلمها بالإنكليزية ، من موضوعات تخصصه .

٣ - في السنين التاليتين يجري تعليمُ الطالب بالعربية، مع التأكيد على استعمال مراجعة أجنبية ؛ على أن يأخذ في كلِّ فصل مساقاً واحداً على الأقلِّ من موضوعات تخصِّصه بالإنكليزية . وينتَهُ استعمال الطالب للمراجعة الأجنبية بحيث ينحوُ الرجوع إليها من مستلزمات تخرجُه .

إذا جرى في الوقت نفسه ترجمة الكتب العلمية بنشاط ،
يمكن تحقيق المدى المنشود في وقت غير طويل .

انتَ نعتقد أنَّ مثلَ هذا الحلُّ الوسط أكثرُ مائدةً للطالب العربِ مما تنتجه الكلمات العربية المضففة، والكلمات العربية الإنكليزية ؛ وهو بالتأكيد أقلُّ خطراً . انه يضمن تقوية الطالب باللغة الإنكليزية ، ثم هو يتيحُ منْ قابل التعديل، ولعلَّ مما يلزمه في هذه المرحلة من حياتنا انْ تقويَ الطالب في لغتين، لا واحدة، بالإضافة إلى اللغة الأم .

الزاوية اللغوية :

أما وقد بان من الزاوية التربوية أي نهج ينبغي أن نسلك، فذلك هو القول الفصل .

ولكنَّ هناك من يتساءلون : أستطيعُ العربية أنْ تستوعب لغة العلم والتكنولوجيا ؟

هل اللغة تخلقُ الذكر أم الذكر يخلقُ اللغة ؟

وهنالك من يجيبون، ليختذلُون عن مرونة العربية واستثمارتها ، ومن تجربتها السابقة. وفي طيات هذا الحديث وذلك تبرُّد احوالَ هي منارِ جدل وتنقُّطُ حوار . وهذه كلُّها في تدبيري معاشرَكَ جانبية لا تضرُّ

ولا تنفع ، بل كل لغة خصائصها وعبرايتها ؛ ونحن نعرف من خصائص اللغة العربية وطراوحتها للفكرة الدقيقة ما قد يَسْعَ نَيْهُ مجال الحديث ، ونخرج به عما نستهدده من هذه الكلمات .

ولكنَّ الخبرة الماثلة أيماناً تشير إلى أنَّ لفَاتٍ نجمت من لا شيء ، وأريده لها أن تنشأ وليس لها من الخصائص شيء ؟ ثم هي بإرادة أهلها استوَعَبت لغة العلم والتكنولوجيا ، لم تُضيق بها ولم تخنقها .

ان مناتِ الاقطارات في الشرق والغرب تُعلَمُ بلغاتها ، وتُسمَّى في خدمة العلم على قدر طاقتها وتحْرِز انجازات ؛ واكثُر هذه الاقطارات لم تكن لغاتها ولا طاقتها حتى وقت قريب ذات وزن في المقاييس العالمية .

ومن التساؤلات التي تشار : هل نترجم لمُعَربَ ؟

قد لا يكون هناك قاعدة ذهبية عالمية أولى من قاعدة وضعها المجمع اللغوبي في القاهرة ، إذ قال : الاصطلاح العالمي نُعَرِّيه ، أما غيرُ العالمي فنبحث له عن لفظ عربي .

وقد اعتبروا الاصطلاح عاليئاً إذا كان يُستعمل مِن الانكليزية والفرنسية والألمانية .

على أن الاستعمال هو وحدة الحكم في هذه الأمور ، فقد يشيع بالاستعمال لفظٌ أجنبية ، ويُشَكِّل لفظاً عربياً ؛ وذلك كله حسب ذوق الناس واستحسانهم لللفظ أو استجاباتهم له .

يبقى أمر لا بد من ذكره لمن يتسلطون : هل تَسْعَ العربية لغةُ العلم ، وأمام من يجيبون تَفْزُلاً بخصائصها .

تَفْزُلُ الكلمات المخطلة التي استعملوها شكسبير في مسرحياته بنحو ١٤ ألف كلمة ؛ وعلى هذا نستطيع أن نفترض أن تلك هي سعة اللغة الانكليزية في أيام شكسبير ، عندما كانت خلوأً من الانفاظ العلمية ، لأنَّ لغةَ العلم في البلاد الأوروبية كانت ماتزال هي اللاتينية .

اما الان بعد احصيَت المصطلحات الانكليزية التي تُستعمل في
حفل الطبع العام وحده، دون نروع التخصص، بلغت ٧٤ الما .

ماذا يعني ذلك ؟ اذ نحسب ان اللغة الانكليزية قد اتسعت حتى
بلغت المصطلحات العلمية فيها مئات الآلاف، تسترعي انتباها احصائية
اخري تشير الى انَّ معظم هذه المصطلحات هي نفسها في الفرنسية
والالمانية . وإن لغات البلاد المتقدمة قد تفتحت بعضها على بعض،
وتعاونت مما في استيعاب الأفكار العلمية .

ان العلم ينمو باسرع مما ثنو اللغة ، بل باسرع من خيال
الشعراء ؛ وإنَّ كلَّ لغة لتضيق عن استيعاب العلم او مجاراته .
ولهذا تلهث اللغات وراء العلم، ويُبقي العلماء بلهائهم يَلْجأون الى
الرمزيَّة يعبرُون بها عن المكارم .

اما رجال اللغة فياخذُ بعضُهم من بعض دون تحرُّج، وهم
يَعْتَزُون بما يأخذون ويَعْدُونه اثراءً لِلغتهم .

وانى اتمنى لو تُسجِّل نحن على هذا المنوال، فنأخذ عن اللغات
دون تحرُّج الناظطُ وطُرق تعبيره، ونَعْدُ ذلك إثراء للغربية نعْتَزُ به ؛
وذلك كيما نواكب التقىم العلمي، ونساير الركب، ونعرف عملياً وواقعيَا
بان اللغة كيان متتطور .

هذا ما صَنَعْه اجدادنا عندما قاموا بِنقل الفكر العالمي الى
الغربية؛ وماذا يضرنا ان تأخذ العربية من الدم العالمي الحديث كما
اخذت في الماضي من الدماء الفارسية والهنديَّة والإغريقية ؟

الزاوية القومية الوطنية :

اذا شئنا ان نتناول الموضوع من كل جوانبه ، فلا بد من النظر
لبيه من الزاوية القومية والوطنية . وهنا يتَسَع مجال الحديث ؟
محاملو لواء القومية والوطنية يقولون إن لفتنا هي هويتنا، وهي مرآة
شخصيتنا العربية المَيْزَة ، ثم ان الاسلام والعربية هما اللذان
يحفظان للأمة وحدتها، رغم ظواهر التفرق والتشتت التي تُنجم

لأسباب سياسية . وملئ هذا فُهم يرون ان تعريب التعليم واجب
تونسي وطني، به نحافظ على هويتنا وشخصيتنا، وبه نقوى روابط
وحدتنا .

ولكنَّ من الناسَ مَن يجادلون، فيشيرون الى بلاد متفرقة رغم
انها تتكلم لغة واحدة، ويشارون الى بلاد مُتحدة رغم ان فيها
لتين رسميتين .

وفي تدبيري ان الخوض في هذين الرايين، وتفاصيل ما لها وما
عليهما، يخرج بنا من موضوع التعريب .

وفي يقيني انه لو وقفت كلُّ اصحاب الرأي ضدَّ العمل من أجل
وحدةنا وتوحدتنا، لوجب ألا يعيق ذلك العمل من أجل الوحدة، لأن
بهما بقاعنا وتكاملنا وقوتنا .
ولكنَّ لذلك حينها آخر .

نشأة التحوّل العربي في ضوء كتاب سيبويه

للمستشرق الفرنسي الأستاذ جيرالد تريبيو
أستاذ اللغة العربية في السوربون - باريس

لا شك أن النظام النحوي في كل لغة له أهمية كبرى ، لأن النظام النحوي يعبر عن **بنيّة اللغة** ويصوغ فكر الناطقين بها ؛ وبمكنا القول إن النظام النحوي العربي يحتلّ محلاً بارزاً بين النظم النحوية الكبرى الموجودة في العالم ، من أجل موقعه المتوسط بين نظام اليوناني «في الشرب» والنظام الهندي «في الشرق» ؛ فكان من الطبيعي أن يلت المستشرقون انتظارهم إليه ، ليدرسوا نشأته وتطوره .

ان المستشرق الالماني **Merx** ، الذي نشر في منتصف القرن التاسع عشر كتاباً عنوانه « تاريخ صناعة النحو عند السريان » ، هو الذي زعم لأول مرة أن المنطق اليوناني أثر في التحوّل العربي ، لأن الثاني قد اقتبس من الأول بضعة من المفاهيم والمصطلحات .

ثم نرى معظم المستشرقين قد اتخذوا هذا الرأي بدون تحفظ ؛ فقال المستشرق الفرنسي **Fleisch** في كتاب **ألفه** في علم اللغة : « انه من الواجب ان نشير الى ثائري يوناني في التحوّل العربي » ، فقد اقتبس الفكر النحوي العربي مفاهيم أصلية من العلم اليوناني ، لا من التحوّل اليوناني ، ولكن من منطق أرسطو » .

غير ان المستشرق الانكليزي **Carter** رفض هذا الرأي في مقالة نشرها منذ عدة سنوات، وسأهاها : « في اصول النحو العربي » . فبین في هذه المقالة ان سيبويه يستعمل في الكتاب مجموعتين من المصطلحات ؛ مجموعة ثلاثة العدد تتضمن مصطلحات لعلها يونانية الأصل ، ومجموعة كبيرة العدد تتضمن المصطلحات العربية الاصل ، متنولة من النقه إلى التحوّل .

ومع ذلك فان المستشرق الهندي Versteegh نشر في مستهل هذه السنة ، كتابا عنوانه « العناصر اليونانية في الفكر اللساني العربي » ، يدافع فيه عن نظرية التأثير اليوناني في النحو العربي ، فيعتبر ان النحو العربي قد اقتبسوا بضعة من المفاهيم والمصطلحات ، لا من المنطق اليوناني ، كما زعم Merx ، بل من النحو اليوناني ، وذلك بواسطة اتصالهم المباشر باستعمال النحو اليوناني الحسي ، كما يقول ، في مراكز الثقافة اليونانية الموجودة في الشرق الأدنى بعد الفتح العربي .

ما ورد في هذه الماحاضرة ان الحنص تلك الآراء المتناقضة في نشأة النحو العربي ؟ وهذا في ضوء كتاب سيبويه ، الذي سمّاه الناس « قرآن النحو » حسبما روى عنه النحوي الطبّي أبو الطيب اللغوي .

* * *

ان المستشرقين ، ليُبيّنوا التأثير اليوناني في النحو العربي ، يحتاجون على العموم بان النحو العربي القديمي قد اقتبسوا من المنطق اليوناني تقسيم الكلام الثلاثي ، ومصطلحاته اربعة هـ : الاعراب والصرف والتصريف والحركة . فينبغي لنا اولا ان نتساءل : هل كان من الممكن ، من الناحية اللسانية ، ان يكون هؤلاء النحاة قد اقتبسوا هذا التقسيم .

ان تقسيم الكلام امر مهم جدا في كل نظام نحو ، لانه يشترط هذا النظام ، وبالنسبة الى بنية كل لفـة، ميـز النـحة عـدـدا مـخـطـناً من الـاقـسـام . فـانـ النـحةـ اليـونـانـ قدـ مـيـزـواـ فيـ لـغـتـهـ ثـمـانـيـةـ أـقـسـامـ وـهـيـ stoikelon حـسـبـماـ قـالـ اـرـسـطـوـ فيـ كـتـابـهـ فيـ الشـعـرـ :ـ الـحـرـفـ :

المجموع : arthron | الرباط : syllabe syndesmos الناصلة : logos الكلمة : onoma الوقمة : rhema القول : ptosis التول : اما النحو العربى فـانـهـ كماـ تـعـلـمـونـ لمـ يـمـيـزـواـ فيـ لـغـتـهـ الاـ ثـلـاثـةـ اـقـسـامـ وـهـيـ حـسـبـماـ قـالـ سـيـبـويـهـ فيـ الـكـتابـ الـاسـمـ وـالـمـعـلـ وـالـحـرـفـ .

ولكن ، على الرغم من الفرق الكبير الذي يظهر بين عدد الاقسام في النظابين ، يُدعى بعض المستشرقين ان النحاة العرب قد افتقوا هذا التقسيم من المنطق اليوناني . فللسنطط على هذا الادعاء القاسد ، سنبحث عن كل واحد من هذه الاقسام في النظام اليوناني ، وعن القسم المقابل له في النظام العربي .

ليس لقسم الحرف اليوناني قسم يقابلها في النظام العربي ، لأن سيبويه لم يجعل حروف الماء قسمًا مستقلًا في تقسيمه، كما فعل أرسطو . وكذلك ليس لقسم المجموع اليوناني قسم يقابلها في النظام العربي ، لأن مفهوم المجموع المركب من حرف غير مصوّت وحرف مصوّت ، مفهوم صوتي يختلف عن مفهوم الحرف الساكن والحرف المتحرك الذي نجده عند سيبويه .

اما قسم الرياط اليوناني فإنه لا يقابل الا جزءاً من قسم الحرف العربي ؛ ونجد فرقاً بينهما ، لأن الرياط عند أرسطو لفظ خالٍ من المعنى ، بينما الحرف عند سيبويه لفظه له معنى .

يشتمل قسم الفاصلة اليوناني على آلية التعريف والاسم الموصول ، وهو عند أرسطو لفظان خاليان من المعنى؛ وليس لهذا القسم قسم يقابلها في النظام العربي ، لأن سيبويه يعتبر ان الاسم الموصول اسم غير تام، يحتاج الى صلة، يدخله في قسم الاسم ، كما انه يعتبر ان آلية التعريف لفظ له معنى، يدخله في قسم الحرف .

اما قسم الاسم اليوناني فإنه يقابل قسم الأسماء العربية ، غير اننا نجد فرقاً بين القسمين ، لأن الاسم عند أرسطو لفظ له معنى يدل على شيء ، بينما الاسم عند سيبويه لفظ يقع على الشيء فهو ذلك الشيء بعينه .

وكذلك يقابل قسم الكلمة اليوناني قسم الفعل العربي ؛ فالكلمة عند أرسطو لفظ لها معنى يدل على زمان ، والفعل عند سيبويه مثال أخذ من لفظ حدث الاسم ، فيه دليل على ما مضى وما

لِمْ يَمْضِ ؟ غَيْرَ أَنَّا نَجُد فَرْقًا بَيْنَ الْقَسْمَيْنِ ، لَأَنَّ الصِّفَةَ غَيْرَ
الْمُبَيْنَةِ *aparemphantos* مُضْمِنَةٌ فِي قَسْمِ الْكَلْمَةِ اليونانِيِّ ،
 بِيَدِ اَنَّ الْمَصْدَرَ مُضْمِنٌ فِي قَسْمِ الْإِسْمِ الْعَرَبِيِّ ، كَمَا أَنَّ الصِّفَةَ
الْمُشَرِّكَةِ *metochikon* مُضْمِنَةٌ فِي قَسْمِ الْإِسْمِ وَالْكَلْمَةِ مَعًا
 فِي النَّظَامِ اليونانِيِّ ؛ بِيَدِ اَنَّ إِسْمَ الْفَاعِلِ مُضْمِنٌ فِي قَسْمِ الْإِسْمِ فَقَطْ
 فِي النَّظَامِ الْعَرَبِيِّ .

وَآخِرًا ، فَلَيْسَ لِقَسْمِ الْوَقْعَةِ اليونانِيِّ قَسْمٌ يَتَابِلُهُ فِي النَّظَامِ
 الْعَرَبِيِّ ، لَأَنَّ مَفْهُومَ الْوَقْعَةِ الَّتِي تَحْدُثُ فِي آخِرِ الْإِسْمِ أَوْ فِي آخِرِ
 الْفَعْلِ ، مَفْهُومٌ غَيْرُ مُوجُودٍ عِنْدَ سِيبُويهِ ؛ وَكَذَلِكَ قَسْمُ الْقَوْلِ ، الَّذِي
 هُوَ عِنْدَ اَرْسَطُوا مَرْكَبًا مِنَ الْفَاظِ لَهَا مَعْنَى ، لَيْسَ لَهُ قَسْمٌ يَتَابِلُهُ فِي
 النَّظَامِ الْعَرَبِيِّ ، لَأَنَّ سِيبُويهِ لَمْ يَجْعَلْ مِنَ الْقَوْلِ قَسْمًا مُسْتَقْلًا
 فِي تَقْسِيمِهِ .

مِنَ النَّاحِيَةِ الْلُّسَانِيَّةِ ، يَظْهُرُ لَنَا أَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَكُونَ
 التَّقْسِيمُ الْعَرَبِيُّ مُنْقُولاً مِنَ التَّقْسِيمِ اليونانِيِّ ، لَأَنَّ عَدْدَ الْاقْسَامِ
 وَمِضْمُونَهَا يَخْتَلِفُ فِي النَّظَامَيْنِ اِخْتِلَافًا تَامًا .

ثُمَّ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَسَاءَلَ هَلْ كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ ، مِنَ النَّاحِيَةِ
 الْلُّغُوِيَّةِ ، أَنْ يَكُونَ النَّحَاءُ الْعَرَبِيُّ الْقَدَامِيُّ قَدْ اَخْنَوَ عَنِ النَّحْوِ
 اليونانِيِّ تَلْكَ الْمَطْلُحَاتِ الْارِبِيعَةِ الَّتِي هِيَ : الْأَعْرَابُ ، وَالصَّرْفُ ،
 وَالتَّصْرِيفُ ، وَالْحُرْكَةُ .

يَزْعُمُ أَتَيَابُ التَّأْسِيرِ اليونانِيِّ أَنَّ كَلْمَةَ الْأَعْرَابِ نَتَلَكُتُ مِنَ الْكَلْمَةِ
 اليونانِيِّ *hellenismos* . مَا مَعْنَى هَذِهِ الْكَلْمَةِ فِي اَصْلِ
 الْلُّغَةِ اليونانِيِّ ؟ *hellenismos* اِسْمٌ بِعُلِّيٍّ يُونانِيٍّ تَعْرِيفِهِ
 هُلُّنْ شِبَّنَا تَهْلِينَا | أَيْ صَرَّهُ هَلِينِشَا .

قَالَ اَرْسَطُو فِي كِتَابِهِ فِي الْخَطَابَةِ : « اَنَّ اَصْلَ الْكَلَامِ هُوَ الْوَجْهُ
 الْهَلِينِيُّ فِي التَّكَلُّمِ » ، أَيْ الْوَجْهُ الصَّحِيحُ الَّذِي يَحْمِلُ عَلَيْهِ بِمَرَاعَاةِ
 خَمْسَةِ اِشْيَاءٍ :

- ١ - باستعمال الروابط، اي حروف العطف ،
- ٢ - باستعمال الكلمات الخاصة ،
- ٣ - بعدم استعمال الكلمات المثلثة ،
- ٤ - بتمييز الأجناس في الأسماء ،
- ٥ - بتمييز الأعداد فيها .

ويرى نيلسون رواقي ان التهليين هو التلجم الصحيح على وجه الصناعة ، لا على وجه العامة .

فبالنظر الى الكلمة **hellenismos** نلاحظ ان الكلمة بالكلام برمتها ؟ فانها اصطلاح خطابي وليس باصطلاح نحووي .
اما معاني الإعراب في اصل اللغة العربية فهي ثلاثة : او لا الإبانة والإنصاح عن الخواطر ، ثانيا إزالة الفساد في الكلام ، ثالثا تغير آخر الكلمة .

مقتال ابن جني في كتاب الخصائص : « وكان الاعراب من قولهم : عربت معدته اي فسدت ، كانها استحللت من حال الى حال ، كاستحللة الاعراب من صورة الى صورة » . و قال ابن الأنباري في كتاب اسرار العربية : « ان الإعراب سُئِي اعرابا لانه تَغْيِير يلحق اواخر الكلم ، من قولهم : عربت معددة الفضيل اذا تغيرت » .

والواقع ان سببويه يستعمل كلمة الاعراب ليبدل على ما يسميه « مجري او اخر الكلم »؛ يعني التغيرات التي تحدث في اخر الاسم المتكون، والنفع المضارع لاسم الفاعل . والاعراب عند سببويه تقيض البناء الذي يدل على عدم التغير في اخر الكلمة .

فبالنظر الى الإعراب كلمة تختص ببعض الكلمات فقط في الكلام ، فانها اصطلاح نحووي وليس باصطلاح خطابي .
ثم يدعى انصار التأثير اليوناني ان كلمة الصرف نقلت من

الكلمة اليونانية *klisis* ، وان كلمة التحرير نقلت من الكلمة اليونانية *ptosis* . ما هو السبب الذي دفعهم الى هذا الادعاء ؟ السبب هو ان النحاة اليونان كانوا يعتبرون ان الاسم ، بالنسبة الى حاليه الاصلية التي هي حالة التسمية *onomasticos* ، له ميل *klisis* الى حالات اخرى ، كما ان الفعل بالنسبة الى حالته الاصلية التي هي حالة الحاضر *enestos* ، له ميل الى حالات اخرى ؟ وكان النحاة اليونان يسمون كل واحدة من هذه الحالات المتغيرة وقعة : *ptosis*

قال ارسطو في كتابه في الشعر : « اما الوقعه فهي للاسم او الفعل ، وتدل على معنى حرف « ل » او حرف « الى » وما اشبه ذلك ، او على الإفراد او الجموع او نوع كلام القائل ، مثل الاستفهام او الأمر » .

وقال في كتابه في الخطابة : « تغيرات الاسم المائل هي وقعتات الاسم ، كما ان تغيرات الفعل المائل هي وقعتات الفعل » .

اما معنى كلمة الصرف في كتاب سيبويه، فان هذه الكلمة تدل على الحق حرف النون للاسم، وللاسم فقط ، لأن هذا الحرف علامة التمكّن ، يعني استقرار الكلمة في قسم الاسم .

واما معنى كلمة التصريف فیستعمل سيبويه هذه الكلمة للدلالة على التغيرات التي تحدث في داخل الكلمة، فإنه لا يستعملها أبداً للدلالة على التغيرات التي تحدث في آخر الكلمة .

منلاحظ ان مفهوم الميل ومفهوم الوقعه غير موجودين في النظام العربي ، كما ان مفهوم التمكّن ليس موجود في النظام اليوناني .

ثم يزعم أتباع التأثير اليوناني ان كلمة الحركة تُرجمت من الكلمة اليونانية : *kinesis* ، وذلك لأن بعض النحاة اليونان حذفوا الوقعه بانها حركة تحدث في آخر الاسم ، فيستنتجون من هذا التحديد ان الحركة عند النحاة العرب كانت تُدلّ في الاصل على

المصوت الاساسي ، يعني ذلك المصوت الذي يشير الى الوعمة في آخر الاسم ، ومن ثم استعملت هذه الكلمة بصفة عامة للإشارة الى المصوت .

نلاحظ اولا ان مفهوم التحرير في النظام الصوتي العربي لا يتقى ابدا ومفهوم التصويت في النظام الصوتي اليوناني ؟ فان ارسطو يقسم الحروف الى مصوّنة ونصف مصوّنة وغير مصوّنة ، بيد ان سيبويه يقسم الحروف الى متحركة وساكنة .

ثم نلاحظ ان كلمة الحركة عند سيبويه تدل على حركات الشفة، من الفسم والفتح والكسر، او على حركات اللسان، من الرفع والنصب والجر او الخفض ، عند اخراج الصوت ؟ اتحدث هذه الحركة في صدر الكلمة ام في وسطها ام في آخرها ، فان الحركة في نظام سيبويه كلمة عامة ، لا تدل على آخر الاسم العرب ، لانها تستعمل ايضا لتدل على آخر الاسم المبني غير العرب ، ويمكن ان تكون كلمة مغربية مجردة من الحركة ، كالفعل المضارع المجزوم مثلا .

لمن الناحية اللغوية ، يبدو لنا انه من المستحيل ان تكون هذه المصطلحات الأربعة منقولة من اليونانية الى العربية ، لأن المفاهيم التي تدل عليها تتبعا في النظريتين كل التباعد

* * *

يجب علينا الان ان نتسائل: هل كان من الممكن، من الناحية التاريخية، ان يُعرف النحاة العرب القدامى النحو اليونانى والمنطق اليونانى بيتاثروا بهما ؟

اما النحو اليونانى فلم يستطع النحاة القدامى ان يعرفوه بطريقة مباشرة ، اذ انهم كانوا يجهلون اللغة اليونانية ، ولم يكن لديهم كتاب في النحو اليونانى مترجم الى اللغة العربية ، فلم يستطيعوا اذن ان يعرفوا النحو اليونانى الا بواسطة النحو السريانى . فعلينا

ان نبحث عن العلاقات الموجودة بين النحو السرياني والنحو اليوناني من جهة ، والنحو العربي من جهة اخرى .

كان النظام النحوي السرياني مرتكزا على الاقاويل الخمسة التي ميّزها منطق ارسطو في الكلام ؛ وهي حسبما قال ايليا بن شينايا :
السؤال، والامر، والدعاة، والتعجب، والنداء .

فاختَرَ النحاة السريان نظام **النُّقطَ** ، يعني نظام العلامات التي تقابل في الكتابة الاشارات الدالة على تلك الاقاويل في المنشأة . ثم يرتكز هذا النحو على القواعد الصوتية والصرفية التي أقتبسها السريان من كتاب في النحو اليوناني كان قد ترجم الى السريانية .

اما النحاة السريان فنقتصر على ذكر اشهرهم، وهم ثلاثة :

في القرن السابع : الاسقف يعقوب الراهوي ، الذي صنف **الكتاب الاول في النحو السرياني** ،

في القرن التاسع : المترجم المعروف حنين بن اسحاق ، الذي اشرف كتابا في النحو سماه **« كتاب النُّقطَ »** ،

في القرن الحادي عشر : ايليا بن شينايا ، مطران نصيبيين ، الذي صنف كتابا صغيرا في النحو .

اما تعليم النحو السرياني فكان منتشرًا في ائمزة السريان ومدارسهم ، كمدرسة دير قن الشهورة ، بالقرب من المدائن ، وكل المدارس العديدة التي كانت موجودة في الحيرة عاصمة العباد ، بالقرب من الكوفة . غير اننا لا نجد اي دليل في المصادر السريانية ، ولا في المصادر العربية ، على ان النحاة العرب القدماء قد اتصلوا بالنحاة السريان ، او **“ تعلموا اللغة السريانية ”** .

وفضلا عن ذلك ، كان النحاة السريان انفسهم يعتقدون ان النحو العربي يختلف عن النحو اليوناني من جهة ، وعن النحو السرياني من جهة اخرى ، اختلافا تاما . ومما يدل على ذلك ان

حنيناً بن إسحاق أَلْف كتاباً في النحو العربي ، على المنهج اليوناني ،
سماه « كتاب أحكام الإعراب على مذهب اليونانيين ». وقد ذكر
الخوارزمي فصلاً سرياً منه في كتاب مفاتيح العلوم . وصنف
حنين كتاباً آخر في النحو العربي ، زعم فيه ، حسبما روى عنه
إيليا بن شينايا : « أن العرب ليس لهم نحو يُعرفون به المانع
الثابتة كما للسريانين »، ويستدل من قوله إن نحو العرب غير
كاف ولا متنع لما يحتاج إليه .

اما إيليا بن شينايا فأفرد مجلداً من المجالس التي جررت بينه
وبيه الوزير الحسين بن علي المغربي ، بمغاربة نفيصة بين النحو
العربي والنحو السرياني ، يوضح فيها الفرق بين النظائر ، كما
يدلّ على ذلك الحوار التالي بين الرجلين :

« قال الوزير : إنتمون الفاعل وتنصبون المفعول كما تتعل
العرب ؟ قلت : لا .

قال : فكيف تعرفون الفاعل من المفعول ؟ قلت : يدخل
السريان على المفعول حرف اللام لينفرق بينه وبين فاعله ؛ ولما كان
العرب أنها يرفعون الفاعل وينصبون المفعول ، لينفرقوا بينهما، وكان
للسريان علامة تدلّهم على الفرق بين الفاعل والمفعول هي أبين من
الرفع والنصب ، ما احتاجوا أن يرفعوا الفاعل وينصبوا المفعول
كما تفعل العرب » .

فبدل كل ذلك على أن النحو اليوناني لم يستطع أن يؤثر على
النحو العربي بواسطة النحو السرياني ؟ وبعكس ذلك ، في القرن
الحادي عشر ، نرى إيليا مطران طيرهان يصنّف كتاباً في النحو
السرياني يدخل فيه النظام العربي ؟ فالنحو العربي هو الذي اثر
في النحو السرياني .

اما المنطق اليوناني فلم يستطع النحاة القدامي ان يعروفوه
في القرن الثاني للهجرة، الثامن للميلاد ، اذ ان ثاليف ارسطو لم تنقل

بسد الى اللغة العربية ؟ فانما نعلم ان الكتاب قد في المearة والكتاب في المولات لم يترجمها الا في القرن الثالث للهجرة ، التاسع للميلاد ، على يد حنين بن اسحاق ؟ كما نعلم ان الكتاب في الشعر لم يترجم الا في القرن الرابع للهجرة ، العاشر للميلاد ، على يد متنى بن يونس .

واما اطلعتنا على هذه الترجمات لاحظنا ان المترجم السرياني لم يستعمل مصطلحات النحو العربي ليترجم مصطلحات النحو اليوناني ولكنه اخترع مصطلحات عربية جديدة .

فانه ترجم **اللفظة stoikeion** بـ**اسطقس** ، ولم يترجمها بحرف ، وترجم **اللفظة syndesmos** بـ**برساط** ، ولم يترجمها بحرف ، وترجم **اللفظة rhēma** بكلمة ، ولم يترجمها بفعل ، وترجم **اللفظة klisis** بـ**بمبل** ، ولم يترجمها بـ**اعراب** ، وترجم **اللفظة phone** بـ**بصوت** ، ولم يترجمها بـ**حركة** .

وفي القرن الرابع للهجرة ، العاشر للميلاد ، نرى الفلاسفة العرب يخترعون مصطلحات جديدة ، ليُفسّروا كتب المنطق اليوناني في اللغة العربية . فمان الفيلسوف المنطقى الكبير ، ابا نصر الفارابي ، يقول في كتاب الانفاظ المستعملة في المنطق ، بـ**بعدد حروف المعاني** :

« ان هذه الحروف هي اصناف كثيرة ، غير ان العادة لم تجبر في اصحاب علم النحو العربي الى زماننا هذا ، بان يفرد لكل صنف منها اسم يخصه ؛ فينبغي ان نستعمل في تعريف اصنافها الاسامي التي تأدى اليها عن اهل العلم بال نحو من اهل اللسان اليوناني ، فانهم أفردوا كل صنف منها باسم خاص ». فاخترع الفارابي خمسة مصطلحات ليبدل على هذه الاصناف من حروف المعاني ، وهي : **الخوالف**، **والواسطات**، **والحواشي**، **والروابط** .

وفي نفس الحقبة ، يروي لنا الفيلسوف ابو حیان التوحیدي ، في كتاب الامتناع والمؤانسة ، مناظرة مشهورة جرت بين متنى بن يونس المنطقى وابي سعيد السيراني النحوي ؟ فما يبيّن ان

متى كان يعتبر ان المنطق ليس له صلة بال نحو : الحوار الثالث بين العالدين :

« قال أبو سعيد : أسئلتك عن معانٍ حرف واحد وهو دائرة في كلام العرب، وهو الواو ، ما أحکامه؟ وكيف مواتعه؟ وهل هو على وجهه أو وجوه؟ فنبهت متى وقال : هذا نحو ، والنحو لم أنظر فيه ، لأنّه لا حاجة بالمنطق اليه ، وبالنحو حاجة شديدة الى المنطق ، لأن المنطق يبحث عن المعنى ، والنحو يبحث عن اللفظ ». .

فيدل كل ذلك على أن المنطقين السريان والفلسفة العرب كانوا يشعرون بأن النحو العربي لا يتعلق بالمنطق بتاتاً .

فمن الناحية التاريخية ، يظهر لنا انه من المستحبيل أن يكون النحاة العرب القدماء قد عرّفوا النحو اليوناني والمنطق اليوناني فتأثروا بهما في نظمهم .

* * *

ينبغي لنا اخيراً ، ان نتسائل، هل كان من الضروري ، من الناحية المنهاجية ، ان يكون النحاة العرب القدماء قد اقتبسوا بضعة مصطلحات من النحو اليوناني ؟

فإذا اطلعنا على كتاب سيبويه ، لاحظنا ان لفته غنية جداً ، لأنّه يستعمل عدداً وافراً من المفردات ليعرض نظامه النحوي . ولتكنا لم نكن نعلم بالضبط مبلغ هذا العدد ؛ فعزّمتُ ان أحصي جميع المفردات التي استعملها سيبويه في لفته الشخصية دون لغة الشواهد القرآنية والشعرية ، فوجدت ان عددها يبلغ : الفا وثمانمائة وعشرين .

ما هي المعلومات التي نستطيع ان نستنتجها من هذا الاحماء ؟ اذا ضربينا صفحات المفردات المستعملة في معناها العلام ، بدون معنى اصطلاحي ، وعدها مئتان وعشرون فقط ، استطعنا ان نميز في الكتاب خمسة أنواع من المفردات :

أولاً : المفردات التي تتعلق بالمفاهيم النحوية العامة ، يعني :
باقسام الكلام وانواع الالفاظ وأحوالها

ثانياً : المفردات التي تختص بتركيب الجمل ، يعني بموضع
الالفاظ في الكلام ومبراهها من ناحية العمل

ثالثاً : المفردات التي تتعلق بالتصريف ، يعني بتغيير الالفاظ
في اللغة وصياغتها بالاشتقاق .

رابعاً : المفردات التي تختص بالصوتية ، يعني باخراج
الاصوات ومبراهها في بنية الالفاظ .

خامساً : المفردات التي تتعلق بالمنهج ، يعني بالمفاهيم التي
يستعملها سببويه لينسر الواقع النحوية والوسائل التي يستعملها
ليوضحها .

اما توزيع تلك المفردات العددي ، فان المفردات التي تتعلق
بالمنهج هي الأكثر ، وعددها ستمئة وخمسون ، ثم تتبعها المفردات
التي تختص بالمفاهيم العامة ، وعددها ثلاثمائة وتسعون ، ثم
المفردات المتعلقة بالتصريف والتسي تساوي المفردات المتعلقة بالصوتية ،
ومعدها ثلاثة وعشرون ، واخيراً المفردات التي تختص بتركيب ،
ومعدها مئتان وخمسون .

من البَيِّن أَنْ عدداً وافراً من المصطلحات النحوية كانَ تحت
تصرُف النحاة العرب القدماء ؛ فمن المستحيل أن يكونوا قد احتاجوا
إلى اقتباس بضعةٍ من المصطلحات الأجنبية ، يونانيةً كانت أم سريانية ؟
فما تعني تلك العَشرة من المصطلحات التي يزعم المستشرقون أن
النحاة العرب قد اقتبسوها من اللغة اليونانية ؟ ما تعنى تلك
العشرة بالنسبة إلى المئات والآلاف من المصطلحات التي كانت
متناولةً في لغتهم ؟

اظنُ ان المستشرقين قد اخطأوا عندما اعتمدوا على بضعة
من مصطلحات يونانية ليبرهنوا على معارضته لنظام العربي

للنظام اليوناني ، لأنَّ كلَّ واحدٍ من المصطلحات جزءٌ من نظام معقدٍ ،
ليس له معنى ، خارجاً عن هذا النظام .

* * *

لقد بيَّنا انه من المستحبِّ ان يكون النحو العربي القديم قد
افتَّبس مصطلحاتٍ من النحو اليوناني ، وذلك من جميع النواحي :
من الناحية اللسانية ، ومن الناحية اللغوية ، ومن الناحية التاريخية ،
ومن الناحية المنهجية . غير انه تَبَقَّى علينا الاجابة على هذا
السؤال : كيف نشأت هذه المصطلحات التي نرى سببُويه يستعملها
في كتابه ؟

اذا فحصنا الكتابَ وجدنا ان سببُويه لم يُحدِّد المصطلحات
التي يستعملها ؛ فهذا يدلُّ على انه لم يُطلق مصطلحات جديدة ،
وانه يستعمل تلك التي استعملها قبله النحاة القدامى الذين يذكرهم
في الكتاب ؛ كما يدلُّ ذلك على ان معاصريه كانوا يفهمون تلك
المصطلحات بدون صعوبة وبدون تفسير ؟ لماذا ؟

لأنه من المحتبل ان سببُويه استعمل المصطلحات المشتركة
بين العلوم الإسلامية الأصلية التي هي : القراءات ، والحديث ، والفقه ،
والنحو . وقد تكونت تلك المصطلحات في وقت واحد في النصف
الثاني من القرن الثاني للهجرة ، الثامن للميلاد ، في مصرِي العراق
المسليمين ، البصرة والكوفة ، فكان القراء والمحدثون والفقهاء
والنحاة يستعملون نفس المنهاج ونفس المفاهيم ونفس المصطلحات ،
لأنهم كانوا يقصدون الى نفس الهدف الذي هو سلامة لغة التنزيل
الإلهي والحديث النبوى .

ويمكِّنا القول إنَّ النحو ، منذ بدايته ، كان مرتبًا بالحديث
والفقه ، اذ ان كتب اخبار النحوين تروي لنا عن نصر بن عاصم
الليثي ، وهو اول من وضع العربية بعد ابْنِ الاسود ، انه كان فقيها
عالماً بالعربية والحديث ، كما أنها تروي لنا عن يحيى بن يعمر ،

وهو اول من نقط المحاجف ، انه كان ايضا نقيها عالما بالمرتبة والحديث .

فكان العلماء ، في غالب الاحيان ، يتلقون جميع العلوم الاسلامية قبل ان يتخصصوا في واحد منها . فنعلم مثلا ان النحوي المشهور الخليل بن احمد ، وهو واحد من اساتذة سيبويه ، قبل ان ينصرف الى النحو ، تعلم الحديث والفقه عن ايوب السختياني ، الذي كان نقيها من فقهاء البصرة ومحدثا من محدثيها .

وكذلك ، نعلم ان سيبويه قدم البصرة ليكتب الحديث ، فلزم حلقة حماد بن سلمة ؛ ويروى عنه انه بينما كان يستتملي على حماد قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس من اصحابي الا من لو شئت لأخذه عليه ليس ابا الدرداء » فقال سيبويه : « ليس ابو الدرداء » وظنه اسم ليس ، فقال حماد ، لحقت يا سيبويه ، ليس هذا حيث ذهبت ، وانما « ليس » ههنا استثناء ؛ فقال سيبويه : ساطلب علما لا ثحتني فيه ؛ فلزم الخليل فبرع .

وكذلك ، يُروى من حماد بن سلمة انه كان يقول : « من لحن في حديثي فقد كذب » ؛ فتدللنا هذه الرواية على العلاقات الوثيقة التي كانت تربط الحديث بال نحو .

وكان العلماء القدماء يُعتبرون ان النحو اول العلوم الاسلامية وابقها ، فكانوا يفضلونه على العلوم الاخرى ؛ وذلك لأن النحو العلم الاساسي الذي يحتاج اليه جميع العلوم ، والذي لا يستغني عنه عالم .

يُروى عن ايوب السختياني انه قال : « تعلموا النحو فانه جمال للوضيع وتُركه هجنة للشريف » ، كما يُروى ايضا عن حماد بن سلمة انه قال : « مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو ، مثل الحمار عليه مخلة لا شعير فيها » .

وفي الختام ، فانا اعتقد ان علم النحو اعرّب العلوم الاسلامية ، وابعدها عن التأثير الاجنبي في طوره الأول ، كما حاولت ان أبين ذلك في ضوء كتاب سيبويه ، ذلك الكتاب المشهور الذي هو اقدم كتاب العرب في النحو .

العشرينات والعشرينيات

للكتور ناصر الدين الأسد

- ١ -

تجري الاسنة والاقلام من حين الى حين بتعبرات والناظر لا
ظبط ان تشبع من خلال الصحف والاذاعات والتاليف شيئاً يستوقف
الحربيين على سلامه اللفة ونقائها ، فاذا هم يطلبون البحث فيها
والطواب حولها ليتحققوا من محتتها، ومن انها جارية مجرى كلام
العرب في الاستعمال، او في القياس، او فيما معما . وما اكثرا ما مصدر
من كتب في القديم وفي الحديث، بناءاً مولفوها على تتبّع هذه التعبيرات
والألفاظ، وبيان ما فيها من خطأ، والتنبيه على الصحيح الذي يجب
استعماله مكانها .

وهذا باب من العلم ظاهره البُسْرُ والاغراء بالدخول منه ،
وباطنه محفوف بالمزالق والمكاره ، اذ لا بد للمتوقغلين ان يكون
محيطاً بكلام العرب او بالكثره ، بصيراً باساليبهم ، عالياً بشعرهم
وشرفهم على مر العصور وتعدد البيئات ، حافظاً ، ذاكراً ، قادرًا
على الاستشهاد وضرب المثل والإدلاء بالحجّة . واين من يدعى لنفسه
كلّ هذا او بعضه ؟

ومن اجل ذلك كثُرت الكتب التي الفها اصحابها للرد على
مؤلفي الكتب السابقة ، وبيان ما وقعوا فيه من تسرُّع الى التخطئة ،
وتوضيح وجه المسوّب فيما ظنوه وهما او مخالفوا لكلام العرب .
وكلا الفريقين من العلماء لا ينتقص من علم احدهم انه اخطأ
في اجتهاده ، ولا يعييه انه غاب عنه امرٌ عزمه غيره ؛ ولهم جميعا
الاجر والثواب ان شاء الله .

وما نُفِتْتُ اطلب هذا الضرب من التواب ، وارجو أَجْرِ
الاجتهاد ، ملقيًا بدلوي بين الدلاء في الفساظِ شاعت ورأى غريي إنها
خطا ، وكتبت من الذين رأوا صوابها ، ونَثَرْتُ بعض ذلك في مجلة
مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١) .

وأَحِبُّ الآن أن استزيد من الخير ، فما وصل في مجلة مجمعنا
الناشئ ما كنت بداته في مجلة مجمعنا العربي .

- ٣ -

وكان الذي قادني إلى هذا الحديث مقالًّا نَثَرْتُه محبقة
يومية (٢) ، في مصرنا العربية ، الحبيبة لقلب كلّ عربي ، كتبه عالمٌ
جليل ، عضوٌ في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، معروف بالروبة
والثبت ، طالما أَتَيْنَا بحبيبه وأَفْتَنَا منه . وتناول في مقاله كلمتين
نقترن هنا على الثانية منها ، ونبدا بنقل ما كتبه عنها بحروفه ، قال :

« وَتَمَتْ كَلْمَة ثَانِيَة يَسْتَعْمِلُهَا النَّاسُ فِي عَصْرِنَا عَلَى أَنَّهَا
صَوَابٌ ، وَهِيَ عَرِيقَةٌ فِي الْخَطَا ، وَهِيَ كَلْمَة : العَشْرِينَاتِ وَالثَّلَاثِينَاتِ
وَالْأَرْبَعينَاتِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِن سَائِرِ الْعَقُودِ . وَوَجْهُ الْخَطَا فِي هَذَا
الاستعمال أَن هَذِهِ الْكَلْمَات جَمْوَعٌ لِعَشْرِينَةِ وَثَلَاثِينَةِ وَأَرْبَعينَةِ ،
وَلَيْسَ هَذِهِ الْكَلْمَات فِي مَتْنِ الْلُّغَةِ ، إِذْ كَانَتْ لَا مَعْنَى لَهَا .

وَالصَّوَابُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ أَن يَقُولُ الْقَاتِلُ : هَذَا حَدَّثَ فِي
الْعَشْرِينَاتِ وَالثَّلَاثِينَاتِ وَالْأَرْبَعينَاتِ ، بِمَعْنَى أَنَّهُ حَدَّثَ فِي السَّنَوَاتِ
الْمُنْسُوبَةِ إِلَى الْعَشْرِينَ وَالثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعينَ وَمَا بَيْهَا . هَذِهِ الْكَلْمَة يَجِبُ
أَن تَكُونَ مُسْتَعْمَلَةً عَلَى طَرِيقِ يَاءِ النَّسْبَةِ ، وَحَذَفُ الْيَاءِ هَذِهِ خَطَا ،
مُرِيقٌ فِي بَابِ الْخَطَا الَّذِي يَكَادُ يَهْبِطُ إِلَى مَنْزَلَةِ الْخَطِيبَةِ ، لَأَنَّ
الْفَصْحَى مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ ، وَلَأَنَّ الْحِرْصَ عَلَى الْعَرِيفَةِ حِرْصٌ عَلَى
لُغَةِ الْقُرْآنِ .. » .

(١) الْجَزَاءُ ٢٥ وَ ٢٧ وَ ٢٦ وَ ٢٤ .

(٢) جَرِيدَةُ الْأَخْبَارِ ، ١٩٧٧/٩/٢١ ، مِنْ ٥ ، بِعنوانِ « الصَّوَابُ الظَّالِمُ » .

وليجرّضنا جميعا على العربية ، لغة القرآن ، نستاذنُ الاستاذ الجليل في ان نأخذ باطراف الأحاديث بيننا ، ونسانف مجالس كانت لنا ، عزفناه فيها محبّاً للحقيقة والحق ، حفّاً عنهم ، لا يضيق صدره بزءٍ او سؤال او تصحيح .

ولقد غاب عنّي همُّ ما تصدّى اليه من قوله إنَّ العشريناتِ بغير بناء النسبة » عريقة في الخطأ « وان « حذف الباء هذه خطأ عريق في باب الخطأ » ؟ فلم انهم معنى « العراقة » هنا ؟ إنَّ الذي يتبارى الى الذهن من ظاهر اللقطة انه تعني التّحدُّم في الاستعمال على هذه الصورة ، فهل وردت « العشرينات » وأصرّبها في كلام العرب قديما ؟ هل جاءت في شعرٍ او نثرٍ من عصور الاحتجاج اللغوی ؟ إنَّ كانت في مثل هذه العراقة فأولى ان يقول عنها « عريقة في الصواب » ! وان لم تكن قد تحدّرت البنا من تلك العصور ، ففي ايّ عمر بدأ استعمالها ؟ فان كانت هذه اللقطة لم تجُر في الاستعمال الا في الملة الأخيرة او قبلها بقليل ، فليس لنا ان نتول عنّها إنها « عريقة » ، لا في خطأ ولا في صواب .

وان كان المقصود من العراقة في الخطأ انه مخالفة لطريقة العرب في بناء الكلمة وفي جمعها ، وليس في استعمال هذا الجمع بعينه قديما ، فذلك يقوّتنا الى مسالك اخرى من الحديث .

فالعشرينات والثلاثينات والاربعينات ليست بالضرورة « جموعاً لعشرين وثلاثين واربعين » التي هي ليست « في » من اللغة ، اذ كانت لا معنى لها » .

والجمع الذي يسمى بالآلف والناء ، والذي يسمّوه جمع مؤنث سالما ، ليس دائئماً جمماً مؤنث ، اذ كثيراً مـ جمعت عليه الفاظ المذكر غير عاقل اذ لم يكن بهذه الانفاظ حضم نكسي ؛ فالظاهر مثلاً : حُمّام ،

وَخَزَانٌ ، وَسِجْلٌ ، وَقَرَارٌ ، وَمُدَّوْغٌ ، تُجْمَعُ عَلَى : حَمَاءاتٍ وَخَزَاناتٍ ، وَسِجْلَاتٍ وَقَرَارَاتٍ وَمُدَّوْغَاتٍ ؟ وَكُلُّهَا فِي مُفَرِّدَهَا تَسْدِلُ عَلَى مُذَكَّرٍ غَيْرِ عَاقِلٍ . بَلْ اسْتَعْمَلُوهُ أِيْضًا فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ لِجَمْعِ الْجَمْعِ ، لِلْمَذْكُورِ الْعَاقِلِ وَغَيْرِ الْعَاقِلِ ؟ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، رِجَالٌ وَرِجَالَاتٌ ، وَجِمَالٌ وَجِمَالَاتٌ ، وَبَيْوَتٌ وَبَيْوَاتٌ ، وَبَيْوَعَ وَبَيْوَاتٍ ، وَاهْرَامٌ وَاهْرَامَاتٍ . وَمُفَرِّدَهَا مُذَكَّرٌ .

ثُمَّ إِذَا كَنَّا قَدْ حَكَمْنَا بِإِنَّ «الْعَشَرِينَةِ» وَالْثَّلَاثِينَةِ لَيْسَ فِي مِنْتَنِ الْلِّفَاظِ «فَانْتَا كَذَلِكَ لَا يُبَدِّلُ حَاكِمُونَ بِإِنَّ «الْعَشَرِينَةِ» وَالْثَّلَاثِينَةِ وَالْأَرْبَعِينَةِ» لَيْسَ كَذَلِكَ فِي مِنْتَنِ الْلِّفَاظِ عَلَى وَجْهِ الْبَيْقَيْنِ ، وَلَمْ يَجْعَلْ بِهَا لِسَانُ أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ فِي الْقَدِيمِ . وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنْ مَجْمِعَنَا فِي الْقَاهِرَةِ قَدْ بَحْثَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ وَجَمْعُهَا، وَذَهَبَ إِلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْإِسْتَاذُ الْجَلِيلُ ، وَعَدَ «الْعَشَرِينَاتِ» وَأَسْرَابُهَا خَطَا ، وَ«الْعَشَرِينَيَّاتِ» وَأَسْرَابُهَا هِيَ الْمُسْوَابُ (١) .

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ «الْبَيَاءِ» الْمُتَحَمَّةِ التِّي قَيْلَ إِنَّهَا لِلنَّسْبَةِ ، مُشَكَّلةً فِي التَّصَوُّرِ وَالْتَّهَمِ مَعَا ؛ فَمَا أَظَنَّ أَحَدًا مِمَّنْ يَسْتَعْمِلُ هَذِهِ الْجَمْعَ يَصُدُّ عَنْ تَصَوُّرِ النَّسْبَةِ إِلَى مُفَرِّدَاتِهَا ؟ وَمَا أَظَنَّ أَحَدًا مِمَّنْ يَسْمِعُهَا أَوْ يَقْرَأُهَا يَسْتَقْرُرُ فِي فَهْمِهِ مَعْنَى هَذِهِ النَّسْبَةِ ، وَإِنَّمَا يَرِيدُ الْقَاتِلُ أَنْ يَدْلِلَ دَلَالَةً عَامَّةً عَلَى حَقْبَةِ زَمْنِيَّةٍ تَمَدُّعُ عَشَرَ سَنَوَاتٍ ، تَبْدَأُ بَعْدَ فِي صُورَةِ الْجَمْعِ، وَلَيْسَ فِي حَقِيقَتِهِ جَمِيعًا ، وَتَسْلِسِلُ بَعْدِهِ تِسْعَ سَنَوَاتٍ تَالِيَّةٍ، يَرْوِجُ عَدِيدٌ قَبْلَهُ بَيْنَهُمَا وَالْعَطْفُ . هَذِهِ الدَّلَالَةُ الْعَامَّةُ عَلَى حَقْبَةِ زَمْنِيَّةٍ مُعَيْنَةٍ هِيَ الَّتِي يَقْصِدُهَا الْقَاتِلُ حِينَ يَرِيدُ أَنْ يَتَجَنَّبَ تَحْدِيدَ سَنَةِ بَعْينِهَا ، وَهِيَ الَّتِي يَفْهَمُهَا السَّامِعُ ، وَلَا يَدُورُ فِي خَلْدِ أَحَدٍ مِنْهُمَا إِنْ يَنْسَبْ شَيْئًا إِلَى شَيْءٍ .

(١) فِي الْجَلْسَةِ التَّاسِعَةِ مِنْ مُؤْتَمِرِ الْمَجْمَعِ فِي الدُّورَةِ التَّاسِعَةِ وَالْتَّلَاثِينِ ، وَفِي الْجَلْسَةِ السَّادِسَةِ وَالْعَشَرِينِ مِنْ الْجَلْسِ فِي الدُّورَةِ ثَلَاثَهَا ، وَانتَرِ بَحْثَ الْإِسْتَاذِ مُحَمَّدِ دُوقِيِّ أَمِينِ، وَبَحْثَ الْإِسْتَاذِ الشِّيْخِ عَطِيَّةِ الصَّوَالِحِيِّ فِي كِتَابِ «الْأَلْسَانُ وَالْأَسْلَابُ» امْدَارُ مَجْمَعِ الْلِّفَاظِ الْعَرَبِيِّ بِالْقَاهِرَةِ ، ١٩٧٧ .

فإذا كان لا بد من استعمال أحد هذين الجمدين، فما ترك الياء
أولى، واستعمال العشرينات والثلاثينات والأربعينات، أقرب إلى
ذوق العربية وأدخل في أساليبها، وهو ما شاع استعماله
واستساغه المعرف.

- ٤ -

ومع ذلك، فقد أعتنينا الطريق وأصبحنا مُبتَئِنْ ، حين
تُرْجَّعُنا ترجمة حربية ما استعملته اللغات الأجنبية من جموع هذه
الالفاظ، ثم دخلنا في تبيه من الجدل في تحطئة هذه الترجمات وتصويبها،
ولم نرجح في كل ذلك إلى ما استعمله العرب منذ اتم عصورهم للدلالة
على هذه الالفاظ، متوجهين أنها من المعانى العصرية المستحدثة التي
لم ترد في كلام العرب، على حين انهم عرفوها واداروها كثيرا في
كلامهم منذ الجاهلية؛ وهي لفظة المقد نفسه - بغير جمع - مترونة
بالالف واللام، وقد تجرد منها في الشعر بخاصة، اذا دلت القرينة
على المعنى. فقالوا : العشرين ، والثلاثين ، والأربعين ، الى
آخر العقود ، بدلا من العشرينات او العشرينيات وابرامها .
ويحسّينا شواهد معدودات نائس اليها في هذا الحكم وطمئن اليها
ثوابتنا :

قال سُحْيم بن وَبْيل الرَّيَاحِي (جاولي اسلامي) (١) :
وماذا يَدْرِي الشَّمْرَاءُ مَنْيٌ وقد جَاؤَزَ رَاسَ الْأَرْبَعينِ
اخو خمسين ، مجتمعًا أَشَدَّى وَجْهَنَّمِي مَدَاوِرَةُ الشَّؤُونِ
مِلْأَرْبَعينِ رَاسٍ هُوَ حَدُّهَا الْأَعْلَى ، ولَمَا « ذَنَبَ » هُوَ حَدُّهَا الْأَدْنَى ،
وهي تتردّج بينهما . سُحْيم يذكر انه جاوز الناسعة والأربعين من
عمره ، وهي رأس الأربعين وحدّها الاعلى ، ثم وَضَعَ ذلك توضيحا
ما بعده من مزيد حين قال : « اخو خمسين » .

(١) البيان من المصيدة الاولى في الاسميات، تحقيق احمد محمد شاكر وميد السلام هارون.

ويقول دُعْبِلُ الْخَزَامِيُّ (عَبَاسِي١) :

أَنْتَ أَنْتَ مِنْ مَلِكِ يَا ظَعِينَا كَفَاكِ اللَّوْمُ مِنْ الْأَرْبَعِينَا
وَهَذَا شَبِيهُ بِقَوْلِ سُحْبِيْسٍ ؛ مَا لِارْبِيعُونَ بِكُلِّ سِنْوَاتِهَا قَدْ مَرَّ وَانْقَضَتْ،
وَصَارَ شَاعِرُنَا « أَخَا خَمْسِينَ » .

وَاشْهُرُ بَيْتٌ فِي هَذَا الْمُضْمَارِ قَوْلُ عُوْفَ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَامِيِّ
(عَبَاسِي٢) :

إِنَّ الثَّانِيْنِ - وَبِلْفَتِهَا - تَدَأْوِيْجَتُ سَمِعِي إِلَى تَرْجِيْمَانِ
وَمَنْ عَرَفَ طَرِيقَةَ الْعَرَبِ فِي الْبَيَانِ ادْرَكَ أَنَّ الشَّاعِرَ هُنَا لَا يَرِيدُ
ثَانِيْنِ سَنَةً عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ وَالتَّخْصِيصِ ، لَا يَتَجَاوزُهَا ، وَلَكِنَّهُ
أَرَادَ الْعَدَ بِمَجْمُوعِ سِنْوَاتِهِ ، فَهُوَ فِي « الثَّانِيْنِ » بَيْنَ ادْنَى سِنْوَاتِهَا
وَ« رَاسِهَا » .

وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ هَذِهِ الْعُقُودَ قَدْ تَجَرَّدَتْ مِنْ الْأَلْفِ وَالسَّلَامِ فِي الشِّعْرِ
بِخَاصَّةِ إِذَا دَلَّتِ الْقَرِينَةُ عَلَى ذَلِكَ . وَمَنْ أَطْرَفَ مَا سَتَّهَدَ بِهِ عَلَى
ذَلِكَ ، وَاعْتَبَرَهُ ، وَأَنْتَسَهُ ، قَوْلُ الْمَلَكِيِّ (۳) :

وَلَقَدْ قَالْتُ لِأَتَرَابِهِ لَهَا كَالْهَا يُلْبِيْسَنَ فِي حَجْرِهَا
« خَنْنَ عَنِ الظِّلِّ ، لَا يُفْرِغُنِي » وَمَضَتْ نَسِيْرَتِهِ إِلَى قُبَيْتِهَا
بِنْتَ عَشِيرٍ لَمْ تَعْلَمْ رَجُلًا مُؤَرِّبَ الْبَذْرِ عَلَى صَوْرِهَا
وَلَقَدْ قَبَلْتُ فَاهِمًا قُبَلَةً كِبِيْتُ الْقَسِّ اللَّهُ مِنْ لَنَّهَا
وَلَا أُحِبُّ لَنْفِسِي وَلَا لِغَيْرِي أَنْ نَعْتَسِفَ الطَّرِيقَ وَنَقْتَحِمَ الْكَلَامَ بِغَيْرِ
دَلِيلٍ ، وَلَكِنَّ الْجَوْءِيَّ يُوحِي بِأَنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَقْصُدْ إِلَى تَحْدِيدِ مَنْ

(۱) دِيْوَانَهُ : ۱۱۸ ، تَحْقِيقُ الدَّكْتُورِ مُحَمَّدِ بُوسْكِ نَجْمٍ ، دَارُ الثَّاقَةِ ، بَيْرُوت ۱۹۶۲ م .

(۲) تَرْجِيْمَهُ فِي دِيْوَانِ الْوَلِيَّاتِ ، رَقْمٌ : ۴۰ ، وَالْبَيْتُ مِنْ شَواهدِ النَّحْوِ فِي اعْرَابِ الْجَلِلِ .

(۳) مِنْ آيَاتِ أَطْلَمْتُ عَلَيْهَا فِي مُخْطُولَةِ كِتَابِ نَوَادِرِ الْمَهْرِيِّ ، فِي مَكْبَةِ اسْتَاذَتِنَا
مُحَمَّدِ مُحَمَّدِ شَاكِرِ .

العاشرة ، وإنْ كان ذلك قد جاز، ولا يزال جائزًا على نَسْرَة نادرة ، وإنما أراد هذه السنن التي تزدهر بين العاشرة والتاسعة عشرة ، والتي يُطلقون على من كان فيها من الفتيات والفتىان بالإنجليزية « *Teenagerz* » ، ونحאר في اختيار كلية عربية مقابلة لها .

- ٥ -

وبعد ،

فمن أراد طريقة العرب وما ساروا عليه في كلامهم ، فلماه هذا الشعر المُبِين ، ولِيُقُول : « حَدَثَنَا فِي العَشْرِينَ أَوَ الْعَشْرِينَ أَوَ الْأَرْبَعينَ مِنْ هَذِهِ الْمَائِةِ ، أَوْ مِنْ هَذَا الْقَرْنِ » ، ولا يخافُنَ اللَّبَسُ ؟ فنحن لا نقول : حَدَثَنَا فِي العَشْرِينَ مِنْ هَذَا الْقَرْنِ ، وَنَقْصَدُ سَنَةً ١٩٢٠ ، وإنما نُحدِّدُهَا ونقول ، حدث ذلك في سنة عشرين ، وليس في العشرين .

ومن أراد المخالفة عن استعمالهم الذي أَفْسَوه ، واراد أن يُحيِّطَ كلامًا جديدا، فلا يأس عليه أن يجمع لفظ العقد فيقول : العشرينات والثلاثينات . وقد ورد في كلام العرب ثنية العقد :

« قال الأخشن ، أخبرني المبرد قال : انشوني سليمان بن عبد الله بن طاهر لنفسه : « وقد مضت لي عشرونان ثنتان » . . . قُتِلَ لَهُ إِلَيْهَا الْأَمِيرُ ، هَذَا لَحْنٌ لَمْ يُعْرَابْ إِلَّا يَدْخُلَ عَلَى إِعْرَابٍ » (١) .

وإنكار المبرد لا ينصرف إلى ثنية العقد، وإنما انصرف إلى وجود إعرابين : فالساوُ و والنون للرفع في جمع المذكر السالم، والالف والنون للرفع في الثنائي . ولو قال : لَى عشرينان ثنتان ، ما انكر المبرد شيئاً .

وإذا جازت التثنية على هذا الوجه جاز الجمع .

اما ما بُسوَ ذلك ، كِإِضَانَةِ يَاءِ النِّسْبَةِ قَبْلَ الجَمْعِ ، فَشَيْءٌ تَبْرُو عَنْهُ الْأَسْمَاعُ ، وَتَمْجِهُ الْأَذْوَاقُ ، وَلَيْسَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ ، مَهْمَا يَرِئَنَهُ لَنَا الْمُرِيَّنُونَ بِتَخْرِيجَاتِهِمْ .

(١) المزيانس ، الموضع ٢٥٧ ، المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٢ هـ .

تعريف رموز نظام الوحدات الدُّولية

الدكتور ابراهيم مبدران

١ - خلفيَّة عامة

يقصَّد بنظام الوحدات الدولي International Units System

بشكلٍ عام وبسيط ، ذلك النظام الذي يتناول تعريف وحدات القياس الطبيعية ، وتحديدها على أساس ثابت من العلاقات المادية والرياضية التي تحكمها قوانين الطبيعة . وقبل تطوير هذا النظام كانت الدول المختلفة (ولا يزال بعض منها حتى الان) تستعمل نظام وحدات خاصةً بها ، تعطيها تعريفاتها ومقاييسها المحلية التي تطورت عن النظام الاقتصادي العلمي السائد فيها . ومن الأمثلة الشائعة على ذلك : -

القدم Foot - وحدة قياس الطول في بريطانيا وأمريكا .

المتر metre - وحدة قياس الطول في فرنسا وغيرها .

الذراع - وحدة قياس الطول في البلاد العربية
(وحدة قديمة وغير علمية) .

وبنَطْورِ النظام الاقتصادي العالمي، وزيادة حجم الاتصالات والتباردات التجارية والعلمية والتكنولوجية ، نشأت الحاجة الى وضع نظام وحدات دولي يمكن تعريفه واستعماله دون الحاجة الى معادلة الوحدات المستعملة من بلد الى آخر ، وما يتبع ذلك من صعوبات تكنولوجية معقدة، وتكليف اقتصادي باهظة .

ومن الناحية الأستعمالية في مجالات التعليم والابحاث والدراسات والتدوين والراسلات ، نشأت الحاجة الى وضع رموزٍ موحدةٍ ومتقىٍ عليها للوحدات المستعملة ، يُشترط فيها ان تتحقق الاختصار

والسهولة ، من جهة ، وعدم الالتباس ، من جهة أخرى . وقد وضعت
منظمة القياسات الدولية

International Standards Organization (ISO)

نظاماً لتعريف الوحدات في النظام المترى ، كما وضعت نظام ترميز
خاص ل تلك الوحدات .

وفي هذا الصدد واجهت الدوائر العلمية والتعليمية والصناعية
والتجارية في البلاد العربية مشكلتين : -

الاولى : تعريب هذه الوحدات .

والثانية : وضع نظام رموز لها .

وقد بذلت محاولات عديدة في مجال التعريب ، وأسفرت عن
نتائج مرضية نسبياً ، وإن كانت تُعززها في أحيان كثيرة الدقة والضبط
وسهولة التداول اللفظي أو الكتابي .

وفي مجال الرموز ، وهو ما يهمنا في هذا البحث ، بدأ المحاولات
المتفرقة منذ العشرينات من هذا القرن ، وكان الطابع العام ل تلك
المحاولات إنها فردية ، أو شبه فردية ، من جهة ، وإنها لم تنظر إلى نظام
الوحدات بكليتها ، بل كانت تستهدف الكلمات الأكثر شيوعاً ، ولا سيما في
مجالات التعليم المدرسي ، لتعطيلها الرموز « المائمة » ؟ وبذلك انتشر
بعض الرموز وشاع . وهي رموز مقبولة ، أو على الأصح مُقْبَلَة ،
إذا ما أخذت بمفردها وعلى النطاق المدرسي الضيق ، ولكنها غير
ملائمة للاستخدامات الموسعة ، ولا سيما في مجالات التعليم الجامعي
وما في مستوى . ومن الأمثلة على ذلك : -

وحدة القياس (متر) رمزها (م) .

وحدة القياس (كيلو متر) رمزها (كم) .

وحدة القياس (ثانية) رمزها (ث) .

وابتداءً من الخمسينات ، ومع توسيع التعليم الجامعي وانتشاره
في الأقطار العربية ، أصبحت الحاجة أكثر الحاجاً ، كما هو معروف ،

إلى تعریف التعليم ، وتعريف العلوم ، وبالتالي إلى تعریف الرموز الخامسة بالوحدات .

لقد بذلت محاولات شتى في هذا المجال على النطاق الفردي ، وعلى نطاق المؤسسات (مثل بعض الجامعات والجامعات اللغوية ، وعلى الأخص في مصر) إلا أن طبيعة العمل الفردي ، من جهة ، وطبيعة تركيب تلك الجامعات اللغوية ، من جهة أخرى ، وتتفق الكتب والوثائق العلمية والتعليمية ، وسرعة تطور العلوم ، وعدم توافر القدرة على المتابعة والتطور في المفهوم العلمي واللغوي ، من جهة ثالثة ، أدى بكثير من تلك المحاولات إلى نهايات مسدودة ، باستثناء الرموز الخاصة بالمواد الكيميائية ، وقد أهملت في العديد من البلدان العربية بسبب عجزها عن النمو المتقدم ، وأخذ العديد من المدارس والمؤسسات يستعمل الرموز اللاتينية بدلاً من العربية .

ومنذ عدّة سنوات حاولت المنظمة العربية للمواصفات والمقياسات معالجة الموضوع ، ولكنها - ربما لنفس الأسباب السابقة - وجدت نفسها غير قادرة على تعریف الرموز كنظامٍ متكاملٍ مُرِّنٍ . وأصدرت المنظمة في أوائل السبعينيات ترجمةً عربيةً للمواصفات القياسية الدولية ، أمضيَّتها في تشرين الأول ١٩٧٤ بترجمةٍ منقحةٍ باسم « المواصفات القياسية العربية رقم (١) وحدات النظام الدولي ، والتوصيات الخاصة باستخدام مضااعفاتها ، وبعض الوحدات الأخرى المعيّنة » .

وصدرت الترجمة المنقحة في طبعتين : -

إحداهما تحمل رموزاً عربيةً للمسطلحات العربية .

والثانية تحمل رموزاً لاتينيةً للمسطلحات العربية .

أما الرموز العربية ، فاللاحظ أن استخدامها بشكل غير منهجي أدى ببعض الرموز إلى أن تكون بعيدة عن روح اللغة العربية ، أو أن تكون عملية الترميز فيها « عملية شكلية » ، بمعنى أن ينبع

الرمزُ عن الكلمة الكابلة حرفاً او حرفين ، او ان تترك بعض الاصطلاحات دون إحداث رموز لها على الاطلاق ، بسبب التعقيد الناشيء عن تركيب الوحدات بعضها ببعض ، وكما هو في المثال التالي : -

وحدة الكتلة تилас بالكيلوجرام (الكيلوغرام) ورموزها (كجم) او (كغم) .

وحدة التيار الكهربائي تилас (بالأمبير) ورموزها (مب) .

وحدة كمية المادة تилас (بالمول) ورموزها (مول) .

وحدة شدة الإضاءة تилас (باللنديل) ورموزها (لند) .

وحدة القدرة تилас (بالواط) ورموزها (واط) .

وحدة الطاقة تилас (بالجول) ورموزها (جل) .

وحدة كثافة التدفق المغنتيسي تилас

ورموزها (تيلا) . (بالتسلا)

وحدة الحث تилас (بالهنري) ورموزها (هنري) .

وحدة الفيصل الشوئي تилас (باللومن) ورموزها (لـن) .

اما عن استخدام المفاعلات ، فان نظام الترميز الذي اقرته المنظمة العربية لم يصلح للعمل ابدا ؛ وهذه امثلة منه : -

كمية الطاقة (كيلو جول) ورموزها (كيلو جل) .

كمية الطاقة (ميفا جول) ورموزها (ميفا جل) .

الكتافة الحجمية للشحنة ورموزها (ميكرو كيب / م³) .

وهكذا نلاحظ انه في الوقت الذي رمز الى الكيلو في وحدة الكيلو غرام بالرمز « ك » ، فانه لم يستطع ان يستعمل نفس الرمز في وحدة كمية الطاقة ، وتحول الرمز الى الكلمة الكاملة . ولما رمز الكثافة الحجمية للشحنة فواضح انه « نصف رمز » ، اذا صح التعبير .

اما عند استخدام الرموز اللاتينية للمصطلحات العربية ، فان نظام الترميز القائم على منهجية معينة ، مرتبطة باستخدام الحرف اللاتيني ، استطاع ان «**يُثبت** » ، وان يbedo غير متناقض مع نفسه . الا انه بطبيعة الحال ، غير مقبول لعدم صلته باللغة العربية ، كما هو موضح في المثال التالي : -

وحدة الطول تفاص بالمترا	ورمزها (m)
وحدة الزمن تفاص بالثانية	ورمزها (s)
وحدة الزاوية المستوية تفاص بالزاوية	
الدائرة	(rad)
وحدة القسوة تفاص (نيوتن)	ورمزها (N)
شدة المجال الكهربائي تفاص	
(بالغولط / مترا)	ورمزها (kv / m)

ومنذ عدة أشهر شرعت المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس بمراجعة الترجمة المذكورة ، لتحديثها وتنقيتها على الأسس السابقة عليها .

٢ - تقييم العمل

رغم الجهد الذي تبذلها المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس في هذا المجال ، ورغم أهمية الموضوع ، فان اختيار الرموز العربية بشكل غير منهجي ودون رؤى واضحة لل موضوع بالكلمه ، وكذلك دون محاولة لتطوير مفهوم الحرف ووظيفته شكلا ومضمونا ، ادى ، وبؤدي الى طريق مسدود . وكذلك كان اختيار الرموز اللاتينية للكلمات العربية ، وهي هنا الوحدات العربية ، يbedo في نظرنا غير صحيح وغير علمي ، لاسباب كثيرة ، اهمها : -

١ - صعوبة استعمال الرمز اللاتيني في سياق الكتابة العربية ، سواء في الكتابة او في الطباعة .

ب - ارتباط استعمال هذه الرموز بالمستوى التعليمي ، من حيث ضرورة معرفة الأحرف اللاتينية **نُطِقًا** و**كتابَةً**؛ وهذا يتعدّر في كثير من الأحيان على تلاميذ المدارس الابتدائية ، في حين أنَّ تثبيت الرموز كجزء أساسيٍّ من التفكير العلمي ، يتطلّب استعمال هذه الرموز في المراحل الأولى للدراسة ، وبشكل تدريجيٍّ ومتسلّماً .

ج - ان اختلاف اللغة العربية **جُذْرِياً** عن اللغات الأوروبية ، سواء باصولها اللاتينية أم السلافية أم الاغريقية ، يجعل من عملية الترميز بأحرفٍ غير عربية عمليةً على قدر من الافتعال ، وعدم التناسنق مع التوجه الذهني الذي تفرضه اللغة .

د - ان الرموز العلمية يجب ان لا يُنْظَر اليها كمساعدة للتداول فقط في اوساط او شرائح علمية معينة ، بل ان طبيعة العصر والتقدّم التكنولوجي ، و**تشارُك** المستويات التعليمية المختلفة بالعمليات الانتاجية على مختلف انواعها ، يجعل من الضروري ان تكون الوحدات المستعملة برموزها وشكالها مفهومة ومتروءة ، ليس لدى الجامعيين فقط ، بل لدى الفنانين المتّوسطين وشبيه المهرة كذلك ، اضافةً الى الانسان العادي . وهذا لا ينافي حين تكون الرموز المستعملة غريبة عن اللغة المحلية .

ه - ان التطور العلمي المرتقب خلال السنين القادمة يُنبئ من تزايد المعرفة العلمية والتكنولوجية ، وبالتالي تزايد الحاجة الى الرموز ، سواء في الوحدات ام في المواد الكيميائية ، او الرياضية او الطبيعية او غيرها . ومثل هذا التزايد لا يمكن ان يواجِه الا من خلال نظام للتعرّيف يُستند كلياً الى الجذور الأساسية للغة .

٣ - المفهوم النظري للترميز

يقوم الترميز أساساً على اختيار رموز ، على صورة اشكال مُعَيَّنة مُتَلَقَّ عليها ، او حروف لغوية (وهي بطبيعتها اشكال مُتَلَقَّة)

عليها) تختصر الحجم والزمن اللازمين للدلالة على الرموز له ، وفي نفس الوقت تكون قابلةً للاستعمال في مواقع متعددة ، تبتدئ بالكتابية المُسْهِبة ، وتنتهي بالمعادلات الرياضية. وكذلك ينبغي أن تكون مرونةً مرونةً الارقام الرياضية عينها ، لانها تُعَبِّر في كثير من الاحيان عن القيم الفيزيائية للكميات الرياضية . وما لم يتوا�ر في الرمز مثل هذه الخصائص ، فسيظل الرمز عاجزاً عن تحقيق الغرض الذي انشئه من أجله .

ومن هذا المنطلق كان اختيار الرمز اللاتيني (او الياباني اذا شئت) يُعتبر اختياراً غير صحيح بالنسبة الى اللغة العربية .

على ان مرونة الحروف ذاتها وقابليتها للتشكيل تلعبان دوراً كبيراً في امكانية ملائمة هذه الحروف لاغراض الترميز .

٤ - الاساسيات التي يقوم عليها نظام الترميز بالعربية

لقد كانت صعوبة التصرف بالحرف العربي واحدةً من الاسباب الرئيسية التي دفعت العاملين في المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ، وغيرهم من المشتغلين بالتعريف ، الى التراجع عن استعمال الرموز العربية بعد ان استندوا الرصيده المعروفة من الحروف ، وهو لا يتجاوز في الاحوال العاديّة الملايّنة للاستعمال عشرين الى خمسة وعشرين حرفًا ، لا تكاد تفطّي جزءاً من نظام الوحدات الكامل .

ومن ناحية ثانية ، اذا نظرنا الى الرموز الدوليّة ، او الرموز المستعملة في بعض الدول ، ولا سيما في اوروبا وأمريكا ، نجد ان الامكانية العددية للأبجدية اللاتينية تصل الى اضعاف الامكانية العددية للأبجدية العربية ؛ علماً بأن عدد الاحرف الأبجدية في معظم هذه اللغات يكاد يكون متقارباً .

يعود هذا الفرق بين الامكانيات أساساً الى توافق هكذا حرف في اللغات اللاتينية ، وهما الحرف الكبير والحرف الصغير (M, m) .

على سبيل المثال) . و مع انه يتواجد اكثر من شكل واحد للحرف العربي (و نعني بذلك الاشكال الاولى والوسطى والاخيرة) مثلاً طبيعة تكوين الاشكال الوسطى والاخيرة ، او الاولى ، بالنسبة الى بعض الحروف ، تتمثل في كثير من الاحيان من استعمال هذه الاشكال بصورة مستقلة ، كما في الحروف الاوروبية . ان استعمال حرف النون ، على سبيل المثال ، هو اكثر ملائمة حين تكون النون مستقلة ، اي على شكل (ن) في حين ان شكلها في الابتداء او الوسط كثيراً ما يكون غير متميز ، او يدعوه للالتباس او الاختلاط . فعلى سبيل المثال ، اذا اخذنا حرف (النون) في العربية مرة اخرى ، وحرب (N)

بالإنكليزية ، وَجَدْنَا لِدِينَا الْأَشْكَالَ التَّالِيَةَ : -

۲۰۷

2 N

يضاف الى ذلك استعمال الاصول اللاتينية او الاغريقية للحروف الاوروبية الحالية ، وهي تكمل او رمز تتميز عن الشكل الحالى للحرف الابروروبى ، وبالتالي تزيد من امكانية نظام الترميز .

وهكذا كان تعریف الرموز الحالی يتضمّن الامثلیات التالية : -

١- تسمية الحروف العربية بشكلها المستقل حروفا كبيرة (مثال :
ا، ب ، ج ، د .. الخ) .

ب - تسمية الحروف العربية بشكلها عند الابتداء بحروف صفيرة (مثال : **ب** ، **س** ، **ص** ، **ذ** ، **ي** .. الخ).

وفي محاولة لاعطاء شكل الحرف عند الابتداء نوعا من الاستقلال ، اقترحنا اضافة حركة صفيرة الى آخره نسميه هنا « حركة الاستقلال » ، ليصبح على النحو التالي : -

(مثال : به، سه، فه، الخ). (انظر اللوحة رقم ١).

ج - تحقيقاً لزيادة سعة نظام الترميز ، ولا سيما عند استعمال المعدلات المتشتمنة لل كثير من الرموز والمتغيرات ، من الممكن

« اضافة حركة » الى الحروف الكبيرة ، مشتقة من انباط الكتابة العربية ، وفي الوقت عينه تعطيها طابعاً متميزاً يماثل اشكال الاحرف المائلة في اللغات الاوروبية (مثل : سـ، جـ، حـ، ظـ، يـ، غـ، كـ ... انظر اللوحة رقم ٢٠) .

ونسمي هذه الحركة هنا « حركة التمييز » .

وبهذا يمكن تحقيق مسافة كبيرة للابجدية العربية في مجال الرموز ، تكفي عندما تُستخدم استخداماً منهجاً محبحاً لتفطية الاحتياجات المطلوبة ، عن طريق الاستعمال المفرد والمركب والتضاعف .

د - استعمال الحرف الصغير للدلالة على الوحدات العامة ، وغير الماخوذة عن أسماء اعلام مثل : -

الشحنة الكهربائية ، ورمزها (ش) .

الازاحة ، ورمزها (ش / ٢٠) .

الزمن متاس بالثانية ، ورمزه (ش) ... الخ .

ه - استعمال الحروف الكبيرة او الحروف الاعتيادي متصلأ مع حرف كبير ، للدلالة على الوحدات المشتقة من أسماء اعلام ، مثل : -

وحدة الطانة « جول » ، ورمزها (ج) .

وحدة الجهد الكهربائي « مولت » ، ورمزها (ف) .

وحدة التيار الكهربائي « أمبير » ، ورمزه (أ) .

وحدة كمية الكهرباء « الكولمب » ، ورمزه (كـ) .

وحدة المنافذة « هنري » ، ورمزها (هـ) .

وحدة المساحة « سينمس » ، ورمزها (سـيم) ... الخ .

و - الوصول الى الوحدات المركبة من خلال استعمال اشارات

الضرب والقسمة الاعتيادية ، كما هو في المعادلات الرياضية .
مثال ذلك : -

كتابة النبار الخطى « أمبير لكل متر » ، ورمزها : (١ / م) .
العزم الكهرو مغناطيسي « أمبير مضروبا بالمتر المربع » ،
ورمزه : (٢ / م) .

المائمة وهي مقلوب المئري ، ورمزها : (م / ١) ... الخ .

٥ - أنواع الوحدات المعرفية

١ - الوحدات الأساسية :

وتشمل الوحدات الفيزيائية ، التي تُعتبر الوحدات الأخرى جميعها مشتقة منها ؛ وهي ثمان أساسية واثنتان مكملتان لها ، وهذه تشمل وحداتٍ مشتقةٍ من أسماء أعلام ، ووحداتٍ ليست كذلك ، وتُبين اللوحة رقم (٣) الرموز المعرفية للوحدات الأساسية . ويلاحظ أن الرموز الدارجتين للمتر والكيلو غرام هما على التوالي (م) و (كغم) . ورغم أن هذه الرموز مقبولة باعتبارها قائمة بذاتها ، إلا أنه يجب تغيير الحروف الكبيرة فيها إلى حروف صغيرة ، لكي تتبع النظام المقترن وتصبح (م و كغم) .

٢ - الوحدات المشتقة : -

وهذه الوحدات يُعبر عنها جُبرياً بدلالة الوحدات الأساسية ، أو الوحدات المكملة . ويمكن التعبير عن رموزها بالعلامات الرياضية المعتادة . على سبيل المثال :
تقاس وحدة النظام الدولي للسرعة بالمتر لكل ثانية .
ووحدة النظام الدولي للسرعة الزاوية بالزاوية المستوية لكل ثانية .

ورموزها في نظام الترميز المقترن هي م / ث ، مس / ث .
بينما كانت الرموز التي اقترنتها المنظمة العربية
للمواصفات والمقاييس هي :
rad/s m/s
على التوالي .

كذلك نجد في الوحدات المشتقة اسماء خاممه لهذه
الوحدات ، تتطلب ايجاد رموز لها لكي يمكن اختصار
كمية الرموز عند استعمال الوحدات الاساسية للدلالة
على الوحدات المشتقة .

والوحدات المشتقة تتضمن العلوم الاساسية ، وهي :
الكهرباء — الضوء — الصوت ... الخ ، كما هو من
اللوحة رقم (٤) .

تبين اللوحة رقم (٥) الوحدات الكهربائية الاساسية
والمشتقة في الكهرباء . وقد ذُكر تعريف الوحدة واسمها
ورموزها العربي المقترن . ويلاحظ ان نظام الترميز الجديد
سهل الاستعمال ، وغير مسبب للالتباس . وقد وضعنا
الرمز بالحروف اللاتينية للمقارنة .

٢ — الوحدات المركبة : -

وهي الوحدات التي تتألف من تركيبات متنوعة من
الوحدات الاساسية والمشتقة ، عن طريق ضرب هذه
الوحدات او قسمتها . مثال ذلك : -

وحدة العزم ، وهي نيوتن مضروبا بالметр ، ورموزها (ن . م)
اللزوجة الديناميكية ، وتساوي بسکال مضروبا بالزمن ،
ورمزه (بس . ث) .

وبالرجوع الى اللوحات (٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١)
نجد الرموز العربية المقترنة لمختلف انواع
الوحدات في العلوم الاساسية الطبيعية .

(ملاحظة : إنَّ تعرِيب الوحدات ليس من عمل الكاتب . ولديه بعض التحفظات على بعض هذا التعرِيب) .

٤ - المضائف : -

تُستَخدَمُ في النَّظَامِ الدُّولِيِّ مجموَعَةً من البادئات لها
أسماً ورموزها ، وتَكُونُ من مضاعفات وأجزاء عشرية .
والمُنظَمُ الدُّولِيُّ يفترض أن يكون رمزُ البادئة مُتحداً مع
رمز الوحدة المتصل بها مباشرة ، لتكون رمز وحدة جديدة
يمكِّن رفعها إلى أُسٍّ موجب أو سالب ، يمكن أن يُتحدد
مع رموز وحدات أخرى . مثال ذلك : -

- البادئة سنتي ، ورموزها باللاتينية (c) والعربىة (سر) .
- الميكرو ، ورموزها باللاتينية (u) والعربىة (مير) .
- الثانو ، ورموزها باللاتينية (n) والعربىة (نر) .
- وتبيَّن اللوحة رقم (١٢) أسماء البادئات ورموزها
اللاتينية والعربىة ، وقيمها الرياضية ؛ ومثلاً على
استعمالها بنظام الترميز المقترن .

٦ - استنتاجات

إنَّ احرف اللغة العربية ، من حيث الأساس ، صالحَة لاستخدامها
في وضع نظام رموز متكامل للوحدات الدولية . وهي ، اذا دخل عليها
بعض الاضافات او التعديلات البسيطة ، يمكن ان تُعطي الحرف
العربي مرونة كافية في التطبيقات العملية ، سواء المكتوبة منها ،
ام المقرؤة، ام المداولة لنظاً . إنَّ ادخال « حرقة الاستقلال » و « حرقة
التَّقْبِيز » على صورتي الحرف العربي الصغير والكبير على التوالي ،
يمكِّن من استعمال هذه الاحرف في المجالات العلمية المختلفة دون ان
تكون هناك فرصة لالتباس او الفوضى . ان حركي الاستقلال

والتميُّز مشتقان من أنماط الخطوط العربية ؛ فهي ليست غريبة أو مفتعلة . ويمكن اضافتها كتابة وطباعة بسهولة واضحة .

إن نظام الترميز المقترن يفي، في رأينا، بمتطلبات الرموز حسب النظام الدولي .

٧ - مراجع :

- ١ - المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ، المواصفات العربية / القاهرة .
2. International Organization for Standards
SI Units,
Geneva, Switzerland

لوجة رقم

اللوق العقبة وتدوين المسقطة للقرحة باقية على المدة

اھنچیجخ دذرزسش هن فر

وَبِهِ تَحْمِلُهُنَّا نَسْنَسَهُنَّا

طَّهْرَةُ الْمُنْفَدِي

لهم اغفر لمن هم فيه

للمؤتمر العربي السادس

وَهُوَ مُنْذِرٌ لِّمَنْ يَنْهَا.

لوحة رقم ١٩

الحرف الـقـيـلـيـنـهـ دـالـلـوـرـهـ لـلـسـيـرـهـ لـلـفـلـقـهـ مـرـكـهـ لـلـغـيرـهـ

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ن س ل

ش ح ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ث

ش ح ض ط ظ ف غ ف ق ك ل م ن ه

و ي

و ي

فَهْ لِنْ

لِهْ لِنْ

| لِهْ لِنْ |
|-----------|-----------|-----------|-----------|-----------|-----------|-----------|
| لِهْ |
| لِهْ |

لِهْ لِنْ لِهْ لِنْ لِهْ لِنْ

لِهْ لِنْ رِيْ بِتْ

رِيْ بِتْ لِهْ لِنْ رِيْ بِتْ

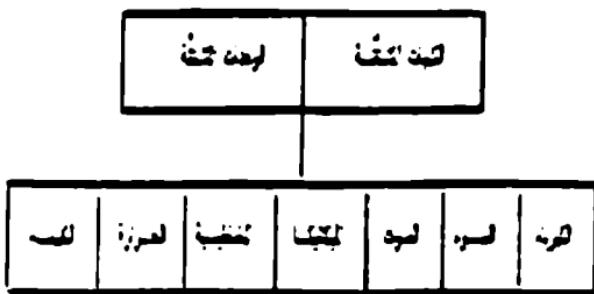
رِيْ بِتْ لِهْ لِنْ

لِهْ لِنْ

لِهْ لِنْ

لِهْ لِنْ

لِهْ لِنْ لِهْ لِنْ لِهْ لِنْ



فرضاً

لله لحمة لمن نفث رهدت في دالك

٤

—

العنوان	المذكرة	البيان							
دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية
دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية
دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية

٥

العنوان	المذكرة	البيان							
دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية
دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية	دعاية

الخطاب رقم: ١٠٢٠٢	
٢	٣
٤	٥

١٠٢٠٢
الخطاب رقم: ١٠٢٠٢

س

س	س	س	س	س	س	س	س	س
-	س	س	-	س	س	-	س	س

—
—
—

س	س	س	س
س	س	س	س

الخطم ١٢

بـ لـ بـ بـ

٢

تاء	هاء	كاء	لـاء	مـاء	فـاء	سـاء	رـاء
ء	ء	ء	ء	ء	ء	ء	ء
ءـاء							

مـاء	هـاء	كـاء	لـاء	مـاء	فـاء	سـاء	رـاء
ء	ء	ء	ء	ء	ء	ء	ء
ءـاء							

١٦١

وَلِمُهْمَلَةِ الْمُهْمَلَةِ

٦٣

| نامه |
|------|------|------|------|------|------|------|------|
| ۱۰ | ۱۱ | ۱۲ | ۱۳ | ۱۴ | ۱۵ | ۱۶ | ۱۷ |
| ۱۸ | ۱۹ | ۲۰ | ۲۱ | ۲۲ | ۲۳ | ۲۴ | ۲۵ |

• 4

جامعة الملك عبد الله

لیٹر

ونصہ	لائسنس	لیٹر	لیٹر	لیٹر	لیٹر	لیٹر	لیٹر
ویرٹیکل							
کورس							

لیٹر							
لیٹر							
لیٹر							

لیٹر ۱۰

لیٹر ۱۱

النحو

النحو	النحو	النحو	النحو	النحو	النحو	النحو
نحو						
دقة						
دقة						

| النحو |
|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|
| دقة |
| دقة |
| دقة |

النحو

والنحو والكلمة والمعنى

1

مکان	نام	نام
مکان	نام	نام

١٤

جامعة الملك عبد الله

سالنامه

ج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

احداث بلاد طرابلس الشام

للكتور عدنان البغيت

١٠١٥ / ١٠١١
١٦٠٦ / ١٦٠٧

يُعيَّد نهاية القرن السادس عشر الميلادي بذات السلطنة العثمانية تعاني من أسباب الضعف والانحطاط^(١)؛ ومن مظاهر هذا الضعف كثرة حركات العصيان التي أصبحت تلف مختلف الولايات العثمانية، حيث كان من ابرزها الحركة الجلالية التي اكتسحت بلاد الاناضول، مستفيدةً المظالم الاجتماعية التي كانت قد لحقت بريف تلك المضبة^(٢). ولم تكن هذه الحركة ثانية دون أن تترك لها آثاراً على المناطق الشامية، خاصةً المحاذية لها كطوب وبلاد طرابلس الشام^(٣). ولعله من الميد

(١) حول أسباب ضعف الدولة العثمانية في أواخر القرن السادس عشر انظر : Lewis, Bernard, *The Emergence of Modern Turkey*, 2nd edition, Oxford University Press, 1968, pp. 21 - 39, Inalcik, Halil, *The Ottoman Empire: The Classical Age 1300 - 1600*, Weidenfeld and Nicolson, London, 1973, pp. 41 - 52.

(٢) حول الحركة الجلالية انظر دراسة : Mustafa Akdag, *Turk Halkinin Dirlilik Ve Duzenlik Kavgasi*, Biliogi Yayınlari, Ankara, 1975.

وكل ذلك رسالة

Griswold, W. J., *Political Unrest and Rebellion in Anatolia 1605 - 1609*
Ph. D. Thesis, University of California, Los Angeles, 1966.

(٣) حول هذا الموضوع : انظر مزيداً من التفصيلات في الترجمة التي اوردها حسن ابن محمد البوريني (ت ١٤٢٤ / ١٦١٥ م) لمقدمة الطليم اليازجي « الباغي التاريخي » (ت ١٤١٠ / ١٦٠١ م)، ترجمة الآستان من ابنه الرشان ، م ٢ ، تحقيق ملاح الدين التجدد ، مطبوعات مجعع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٥٩ ، ١٩٦٢ م ، ٢ م ، ٤٥٩ - ٢٧٠ ، كذلك انظر : الحسيني ، محمد امين (ت ١٤١١١ / ١٦٩٩ م) ، خلامة الاتر في اعيان القرن الحادى عشر ، م ، تصوير دار سادر بيروت ، لا ٠ ت ، م ٢ ، من ٢٢٢ - ٢٢٤ .

هنا ان نذكر ان السلطنة العثمانية، انسجاماً مع سياستها التقليدية^(٤) ، لم تُلغِ الزعامات المحلية المتعاونة معها في بلاد الشام بعد فتح هذه البلاد الى الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الاول، بعد معركة مرج دابق (٢٥) رجب ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م ، اذ ان معظم هذه الزعامات حافظت على وجودها مستكينةً^(٥) ابان قيادة الدولة ضمن الاطار العثماني . الا أنها بدت تتحرك في الرابع الأخير من القرن السادس عشر، لتوسيع من دائرة نفوذها على حساب السلطة العثمانية المحلية ، ولكن ليس بقصد الاستقلال عن السلطنة العثمانية . ولقد استفاقت من انشغال الدولة العثمانية في حروبها الطويلة المستديمة على الجماعتين الصغوية والنمساوية، بالإضافة الى الخسائر التي تكبّدها العثمانيون في اخضاع حركات التمرد والعصيان في اليون وفي غيرها^(٦) من بلدان سلطنتهم . كما انه كان قد ترتب على انتصار

تحالف البابوية واسبانيا والبنديقة في معركة ليبانتو Lepanto البحرية، في السابع من تشرين الاول سنة ١٥٧١ م، أن قيادة الدولة العثمانية البحرية، من حيث العدد والعدة والنوعية والحالة النفسية، قد أصبحت دون مستوى الاساطيل الاوروبية^(٧) ، وان الدول الاوروبية ، خاصة الكاثوليكية منها ، قد عاودتها من جديد الفكرة

(١) انظر مقالة :

Inalcik, H., "Ottoman Methods of Conquest", *Studia Islamica*, Vol. II (1954), pp. 102 - 29.

(٢) انظر :

Bakht, M. A., *The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century*. Ph. D. Thesis, SOAS, London, 1972, pp. 186 - 221.

(٣) حول معركة ليبانتو انظر : Creasy, Edward S.,

History of the Ottoman Turks, Reprint, Khayats, Beirut, 1961, pp. 219-22.

Inalick, H. *The Ottoman Empire*, pp. 41 - 42.

ذلك انظر التحليل العسكري لهذه المعركة من الناحية الحربية في دراسة :

Guilmartin JR., John Francis, *Gunpowder and Galleys; Changing Technology and Mediterranean Warfare at Sea in the Sixteenth Century*, Cambridge University Press, 1974, pp. 221 - 252.

الصلبية المستهدفة استخلاص فلسطين من ايدي المسلمين ، ولكن هذه المرة ليس بارسال حملات من اوروبا، بل بالاعتماد على بعض القوى المحلية من الاقليات العرقية والمذهبية لتنفيذ هذا المخطط ^(٧) . وكان من ابرز هذه القوى الأسرة المعنية الدرزية، والأسرة الجانبولاطية الكردية في كلس واعزار . ولقد وُسّعت الاسرة الأخيرة من دائرة نفوذها بحيث أنيطت ولاية طب في مطلع القرن السابع عشر بزعيمها، آنذاك حسين باشا جانبلاط، الذي نتيجةً لتكلمه في الانضمام الى حملة الوزير سنان باشا جفال زاده ضد الشاه عباس الاول (١٦٢٩ هـ / ١٥٨٨ م – ١٦٣٨ هـ / ١٦٢٩ م) أمر الوزير المذكور بقتله في بلدة وان التركية سنة ١٦٤٠ هـ / ١٦١٤ م ^(٨) .

(٧) حول هذه الخطة انظر :

Salibi, K. "The Sayfas and the Eyalet of Tripoli" *Arabica*, Vol. xx, (1973), p. 33.

انظر ايضاً لنفس المؤلف ، « نصر الدين المعني الثاني والنكارة اللبناني » ، ابعاد القومية اللبنانية ، منشورات جامعة الكلية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ٤ ، من ٨٥ – ١١١ .

لزيبد من التفصيات حول هذه الخطة انظر ايضاً ما نشره الاب بولس فرالي :
١- « نصر الدين الثاني وعلاقته بفرناند الاول وقزما الثاني امير تسكانيا »
١٦٢١ – ١٦٢٥ ، حريما ١٩٣٨ .

٢- وكتابه الثاني « نصر الدين المعني امير لبنان وفرناند الثاني امير تسكانيا » ١٦٢١ – ١٦٢٥ ، حريما ١٩٢٨ .

(٨) حسين بن جانبلاط ، كردي الاصل؟ كان في ابتداء امره من الطائفة العسكرية المرونة باسم المترفة، ثم خلّق والده في امرة كلس وتندرج في التامس الى ان اوكلت اليه حلب، ولكنه تلكا في مساندة الوزير سنان باشا في حلقة الدائرة على بلاد نارس ، وكان من نتيجة ذلك ان سنان باشا امر بقتله في بلدة وان التركية في سنة ١٦٤٠ هـ / ١٥٨٨ م . البوريني ، المصدر ذاته ، ٢ ، من ٢٧١ .
انظر المحبسي ، خلامة ، ٢ ، من ٨٤ – ٨٧ .

اما سنان يوسف باشا المعروف باسم جمال زادة ، ملقد تربى في القصر السلطاني ، وتولى مدة متماسك ، منها ولاية ديار بكر في سنة ١٦١١ هـ / ١٥٨٢ م كما تولى بعد ذلك بلاد وان وارشروم وبيفداد . وفي سنة ١٦١٦ هـ / ١٥٩٧ م تولى بلاد الشام لبضعة أشهر . في سنة ١٦٤٠ هـ / ١٥٨٨ م ، اوكلت اليه مهمة قيادة الجيوش العثمانية ضد بلاد نارس ، وكانت ولاته في نفس العام في ديار بكر ؟ انظر ترجمة حياته في محمد ثريا ، سجل عثماني يأخذ ذكره مشهر عثمانية ، اسطنبول سنة ١٣١١ هـ / ١٩٣٠ م ، من ١١١ . كذلك انظر محمد بن جمدة المقار الحنفي (ت ح ١١٥٦ هـ / ١٧٤٢ م) ، الباثات والقصاة ، نشره صلاح الدين المنجد مع تثنين آخرين باسم « ولاية دمشق في العهد العثماني » ، بيشق ، ١٩٦٩ م ، من ٢٦ .

ولما وصل خبر مقتله الى حلب ثار ابن اخه على جان بلاط، « ورفع علم العصيان، وجمّع الطائفة الذين يقال لهم السكبة حتى صار عنده منهم ما يزيد على عشرة آلاف، ومنع مال السلطنة »^{٩١} . في اثناء ذلك كانت قوات الدولة العثمانية مشغولة في حرب ضروس مع امبراطورية النمسا، كما ان قوات الجلالية الخارجة عن طاعة السلطان كانت تصوّل وتتجول في بلاد الاناضول؛ وكان قد سبق ذلك ان القوات العثمانية قد عادت خاسرة من حربها ضد الشاه عباس . في مثل تلك الظروف عرض الزعيم التركماني الاصل السنّي المذهب يوسف باشا سيفا (ت ١٠٤٤ هـ / ١٦٢٥ م) صاحب عُكار ، والذي كان يُؤلّى من حين لآخر ببلاد طرابلس ، خدماته على السلطان، على « ان يكون امراً على عساكر بلاد الشام» على ان تكون جمعيته بحمة، ويلتزم بازالة على بك المذكور عن حلب ». ثلما جاءه إذن السلطاني بذلك، أرسل يوسف باشا الى العساكر العثمانية في دمشق وفي غيرها من القلاع للقاءه عند حماة . وعند اللقاء الجانبي تمكّن على بك ابن جان بلاط بسهولة تلّفت النظر من الحق المزبور بالعساكر العثمانية بقيادة يوسف باشا سيفا، الذي توجّه الى طرابلس الشام ليهرب منها بامواله الى جزيرة قبرس، ومنها الى حيفا، ملتجئنا الى الامير احمد الحرشي . ومن هناك عاد الى دمشق ليهرب منها الى طرابلس، مقرّ سلطته . ولحسن الحظ يتوازن لدينا نصان لشاهدٍ ميان لتلك الاحداث . صاحب النص الاول، ويعرف باسم مصطفى بن جمال الدين ابن كرامه،

^{٩١} البوريني المصدر ذاته ، م ٤٢ من ٢٧١ ، لاظ تعریف البوريني للسكبة حيث يقول : « والسكبة عبارة من طائفة كان وضمهم ان الواحد منهم يحمل البنادق على ظهره ويقود الكلب في ساجور»، ويبيّن اسلام الامر او الكلب حين يسر الى الصيد . وهو لمنظ ناري ماخوذ من سك ، نايا سك فهو الكلب بلغتهم، واما بسان فهو بمعنى الحامي، اي حامي الكلب » م ٤٢ ، من ٢٥٦ ؛ وكأنوا يتكلّون وحدة بارزة في فرقة الانكشارية. انظر :

Huart, Cl. "Segban" E. I. . Vol. IV, pp. 203 - 4.

Gibb and Bowen, Islamic Society and the West, Oxford University Press, Reprint, 1963, vol. I, part I, pp. 59 - 61, p. 315.

من اهالي طرابلس الشّام؟ كتب تعليقة حول ما اصاب مدینته نتيجة لحركة علي بن جاتبلاط ؛ والنّص الثاني للمؤرخ الدمشقي الشّيخ حسن بن محمد البوريني (ت ١٠٤٢ هـ / ١٦١٥ م) الذي يصف لنا دقائق تلك الاحداث ومجرياتها كما كان يراها من دمشق . والنّصان يكملان ويُعَضِّدان بعضهما البعض، ومن هنا جاءت ضرورة نشرهما معاً، حيث انها مازالا مخطوطتين .

والذى يهمّنا هنا ان التعليقة التي بين ايدينا تصور لنا مشاعر احد ابناء طرابلس، قاعدة السنّة، ضمن اطار من الاقليات الاسلامية والمسيحية ، كما انها تبين مدى الولاء القوي من جانب الرعية للسلطان، حيث انَّ مَنْ عَصَى إِلَهًا طَاعَ الشَّيْطَانَ . وتتصوّر لنا كذلك نظرة اهالي طرابلس ليوسف باشا سينا ؛ وهي نظرة احترام، لأنَّ معظم المصادر المتداولة بين ايدينا والمعروفة لدينا ، *كتاریخ الازمة* للبطريرك اسطفان الدويهي (ت ١٦٩٦ م) و*تاريخت الامير حيدر احمد الشهابي* (ت ١٨٣٥ م) و*اخبار الاعيان في جبل لبنان* ، لطّوس الشّبياق (ت ١٨٦١ م) ، قد اعتبرت المؤرخ السنّي ، الشّيخ احمد بن محمد الخالدي السنّي (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م) الذي كان معبراً عن وجهة نظر مخرب الدين المعنى الدرزي المتعاون مع العناصر المسيحية، خاصة المارونية منها ؟ بينما يوسف باشا سيفا ، كان سنتياً ينعم بثقة ودعم الدولة العثمانية له ، رُبّما الى درجة ان السكان كانوا ينظرون اليه على أنه رجل الدولة ووكيلاً^(١) . كما ان هذه التعليقة تبيّن

(١) حول مكانة اسطفان الدويهي وطنوس الشّبياق في مدرسة التاريخ اللبناني الماروني : انظر :

Salib, Kamal, Maronite Historians of Medieval Lebanon, Beirut, 1959,
Ibid., "The traditional Historiography of the Maronites", Historians
of the Middle East, edited by Bernard Lewis and P. M. Holt, Oxford
University Press, 1967, pp. 212 - 225.

انظر في نفس الكتاب مثالية
A. H. Hourani, "Historians of Lebanon" pp. 228 - 245.

حول أهمية دور أسرة آل سينا في التاريخ المحسني ومن ملائكتها مع التّوّي المطّبة

لنا ان قسما من اهالي طرابلس الشام كانوا قد هجروا مدینتهم وركبوا البحر، لعلمهم ان القوى المهاجمة هي قوى عاصمة خارجة على طاعة السلطان ، خاصة وان قسما منها كان درزيانا بقيادة فخر الدين المعني . وما زاد في حرارة موقفهم، ان ذلك جاء في الوقت الذي كانت فيه الدولة مشغولة فسي اجتثاث الجلالية، ومشتبكة في حرب مع النمسا ، بالإضافة الى هزيمة العثمانيين امام الشاه عباس الاول، وما ترك ذلك من خيبة ومرارة . فلم يعد لدى سكان طرابلس من حيلة الا الهروب الى أقرب الجزر .

يُعرّف صاحب هذه التعليقة نفسه بـ «يا جاز كبر» حيث يصف نفسه بقوله : «... العبد الفقير مصطفى بن جمال الدين المدعو بابن كرامة». وعند العودة الى مخطوط لطف السمر وقف التاجر من تراجم الطبة الاولى من القرن الحادي عشر^(١١) ، لنجم الدين محمد الغزي (ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥٠ م) والقسم غير المنشور من تراجم الاعيان من ابناء الزمان^(١٢) ، للحسن بن محمد البوريقي ، (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) ، وخلاصة الاتسر في اعيان القرن الحادي عشر له محمد امين الدين المحبى (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) ، وشنرات الذهب في اخبار من ذهب العبد الحبي بن العماد الحنفي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) فانتنا لا نعثر على ذكر لهذا الشخص . زيادة على ذلك فان خير الدين الزركلي وعمر رضا كحالة لا يذكرانه في معجميهما . وأما الرحالة رمضان بن موسى ابن احمد المعروف بالعطيفي الدمشقي الحنفي (ت ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٤ م) الذي زار طرابلس الشام سنة ١٠٤٣ هـ / ١٦٣٤ م فانه لا يذكر اسم

- الاخرى انظر مقالتي الدكتور كمال الملبي :

Kamal S. Salibi, "Northern Lebanon Under the Dominance of Gazir", *Arabica*, Vol. XIV, (1967), pp. 144 - 166.

"The Sayfas and the Eyalet of Tripoli 1579 - 1640", *Arabica*, Vol. XX, (1973), pp. 25 - 52.

(١١) مخطوط المكتبة الظاهرية رقم (١) ، الاوراق ١٦٨ - ٢١٧ .

(١٢) المكتبة الوطنية، بيروت Cod. Arab. 1190 Mixt 348

هذا الشخص - من ضمن العلماء الذين قابلهم في أثناء اقامته في طرابلس (١٢) .
 الا ان الشيخ والتقطب الصوفي عبد الفتى النابلسى (ت ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م) يذكر في التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، التي دون فيها اخبار رحلته في سنة ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م الى طرابلس ، أن من بين من لقيه « ... الشيخ الفاضل والبارع الكامل الشيخ على بن كرامة »، ويدرك في مكان آخر ان على بن كرامة قد زاره : « فزارنا في هذا اليوم ايضا عدّة من الأنفاس المكرّم والعلماء المدرّسين» منهم الشيخ الفاضل حاوي الفضائل الشيخ على بن كرامة ». ويضيف ان على^ا هذا قد زاره مرة ثالثة (١٤) . وعند العودة الى كتاب تراجم علماء طرابلس وأدبائها، لم يذكر اللّه حبيب نوبل (ت ١٩٢٧ م) ، لا نجد ذكرا لمصطفى بن جمال الدين بن كرامة هذا، بل لامرأة آخرين كعمر بن مصطفى ابى اللطف (ت ١١٦٠ هـ / ١٧٥٧ م) ومصطفى بن عبد الحميد كرامـة (١٥) . واذا ما رجعنا الى التعليقة نفسها فانـنا نلمـسـ، من ثناياها ومن لفتها ، ان مصطفى هذا كان على مستوى جيد من حيث تـَكـُـنـهـ منـ الـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ ، وـاـنـ لـهـ ولـدـ اـسـمـهـ عمرـ ، وـقـعـ مـعـهـ في الاسـرـ ؛ وـماـ عـدـاـ ذـلـكـ فـانـ الـمـلـوـمـاتـ الـتـيـ بـورـدـهـاـ عـنـ نـفـسـهـ تـكـادـ تكونـ شـبـهـ مـعـدـوـمـةـ .

(١٢) انظر نص الرحلة مع الدراسة التي قدم لها بها ناشر الرحلة Stefan Wild "Al-Ultifis Journey to Lebanon in 1043/1634"

مجلة الأبحاث ، بيروت ، مجلد (٢٢) سنة ١٩٧٠ ، من ٢١٢ - ٢٢٢ .
 لسوء الحظ منذ إعداد هذه الدراسة لم يمكن من الاطلاع على نسخة رحلة يحيى المحاسنى (ت ١٠٥٢ هـ / ١٦٤٢ م) ، "المزارع الحاسنية في الرحلة الطرابلسية" ، المنشورة في مكتبة جامعة استنبول تحت رقم ٤٢٢٩ .

(١٤) انظر النابلسى ، الشيخ عبد الفتى (ت ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م) ، "التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية" ، حققها وقدم لها هربرت بوست ، بيروت ، ١٩٧١ م ، من ٦١ ، من ٧٦ ، من ٨٧ .

(١٥) نوبل ، عبد اللّه حبيب ، "تراجم علماء طرابلس وأدبائها" ، مطبعة الحفار ، طرابلس ، ١٩٢٩ م ، من ٣٥ ، من ١٣٧ - ١٣٨ .

ان هذه التعلقة المصنفة ضمن مجموعة **Levinus Warner** (١٦٤٥ م) ، ت числ هولندا في اسطنبول ، مسجلة في مكتبة جامعة ليدن تحت رقم (١١) Cod. Or. 844 (١٧) ، وهي تقع في أربع ورقات، ومجموع أسطرها مائة واربعة وسبعون سطراً مكتوبة بخط اعتيادي ، ومدونة بتاريخ ١٠١٦ هـ / ١٦٠٦ م ، وعلى الأرجح أنها النسخة الأصلية، حيث لم يُذكر على أيّة إشارة أخرى عنها في بقية فهارس المخطوطات المنشورة، وعلى الغالب أنها وصلت مارنر بـ اسطنبول عن طريق حلب، بواسطة محمد بن عمر العرضي الحلبي (١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م) ، الذي كان قد اتصل بفارنر، وكان يشتري له المخطوطات العربية ويزوده بها (١٨) ، او عن طريق فرديريك أخي

١٦) ليفنوس فارنر Levinus Warner ، من طلبة جامعة ليدن. درس اللغات الشرقية فيها ، وسافر إلى اسطنبول سنة ١٦٤٥ م . وفي سنة ١٦٥٥ م عُين نسلاً لهولندا في العاصمة العثمانية ، وبقي في ذلك المنصب، إلى حين وفاته في ٢٢ حزيران سنة ١٦٦٥ م . وأثناء إقامته الطويلة هناك تأثر من شراء عدد كبير من المخطوطات العربية والتاريسية والتركية والعبرية التي أوصى بها قبل وفاته لكتبة جامعة ليدن لتكون بذلك النواة الأولى لكتيبات تلك المكتبة من التراث الشرقي . حول حياته واقامته بـ اسطنبول انظر مقالة

Drewes, G. W. J., "The Legatum Warnerianum of Leiden University Library" in *Levinus Warner and His Legacy*, E. J. Brill, Leiden, 1970, pp. 1 - 31.

١٧) انظر نرس مكتبة جامعة ليدن Voorheove, P. *Handlist of Arabic Manuscripts in the Library of the University of Leiden and Other Collections in the Netherlands*, in *Bibliotheca Universitatis, Lugduni Batavorum*, Leiden, 1957, p. 361.

١٨) محمد بن عمر العرضي (١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م) نسبة إلى بلدة العرض في بربة الشام من أعمال حلب ، من أسرة حلبية معروفة بالعلم ؛ ولسي القفاء بطلب، وتولى إئادة الحنفيات فيها لمدة ستين ثم سافر إلى اسطنبول حيث لم ينتبه إليه الآباء هناك، وبعد موته من العاصمة العثمانية نجده يتولى إئادة الشافعية بعد وفاة أخيه . ونفتر على رسالة منه لـ فارنر؛ وننظر لاعتبارها ملائمة نسوره نصها :

« حضرة بكر مطارد وواحد الفرائد » نلاحظ أنه يكرر مثل هذين التعبيرين حيث يورد له المحبين نسماً يذكر فيه ... « حضرة شيخ الإسلام ودرة ناج الملك

فارنر، الذي كان قد عمل لفترة قصيرة كقنصل لهولندا في حلب ^{١٩٦} ، مما يدلّ على أن فارنر كان على اتصال بحلب ، على مستوى النشاط التجاري ، وكذلك على مستوى تجّار المخطوطات التي شُفِّت بشرائطها .

تعليق مصطفى بن جمال الدين بن كرامه حول أحداث سنة ١٤٥٧ هـ / ١٦٥٦ م

= ويس الخاتم بذكر مظاهر العلم وثاني الفرق ... خلاصة ، م ، ٤ ، ص ٩٣ ،
البعي (السلفي) بيك المكرم لا زال مدحى العلم له مسلم ، ملاؤض جانب
الترحال (كذا النص) . هو أن الوسائل اليكم من كتب المرحوم كاتب Чили
(ت ١٤٦٧ هـ / ١٦٥٧ م) سنة تكتب ، نزعة الخالق للكلاشي، وهو كتاب جليل
مشتمل على أشعار مربية وتأصيلية وشئنة انتها عشر غروشاً والمجلد الأول من
ذكرة ابن حمدون وشئنة ستة عشر غروشاً وشرح شواهد التخييم (لبد الدين
ال sez) وشئنة أربعة غروش ونصف، وشرح مخاتير الحريري ، المتوسط للشريسي
وشنع ثلاثمائة مثنائي، وجراه من العقد لابن عبد ربه وشئنة غرش واحد، وشرح
البديونية وشنع غرشان، والجموع خمسة وتلائون غرشاً وثلاثمائة مثنائي، وألما
تاريخ البلاكتي (محمد بن سليمان الاشمرى (ت ١٤٨٦ هـ / ١٦٧٠ م) صاحب
كتاب روضة أولى الباب في التاريخ ، و تاريخ خنادي ، و تاريخ خرسوى ، و رسائل الخوارزمي ،
لوعدنا الدلائل بهما . يكون ملحوظاً لك ، وللنون ان شاء الله تحصلها والسلام .
من اللطى محمد العرضى ، وبيفيد في حاشية على ظنك الرسالة ما يلى : « و لا
تواخزونا بالخلاف الومد بالمجرب اليكم يوم الاحد الماضي ، لانه سار لنا مائة بدل
موانع . وبلغ شوتنا الى المرسوط في الدار بمقتضى تسبك ثغولاً والسلام .
وقد اتفقينا نحن لائتنا غالباً لجيئنا ابن العنبلي (رضي الدين) بياتي مثنائي
فقطلوا بها لنسا والسلام وان شاء الله من قرب نابيك » . من هذا النص
نلاحظ بوضوح مدى العلاقة الحبية التي كانت تربط الاثنين . انتظر الخلفى ،
شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر (ت ١٤٩٦ هـ / ١٦٨٤ م) ريحانة الأبراج
وزهرة الحياة الدنيا ، ٢ م ، تحقق عبد الفتاح محمد الطوط ، القاهرة ،
سنة ١٩٦٧ م ، ٤١ م ، ص ٢٧٤ - ٢٧٦ . المحبس ، خلاصة ، م ، ٤ ، ص ٨١ -
١٠٢ ، البندادى ، اسماعيل بن محمد ابن الباجي (ت ١٤٣٩ هـ / ١٦٢٠ م)
هدية العارفين : أسماء المؤلفين وأثار المتندين ، ٤ م ، منشورات مكتبة المتنى ،
بنداد ١٩٥٥ م ، ص ٢١٦ ؟ انظر ايضاً : اللوحة رقم ١٢ ، المنشورة صورة لها
كملح لكتاب *Levinus Warner and His Legacy*,

١١١

Drewes, G. W. J., "The Legatum Warnerianum", in *Levinus Warner and His Legacy* P. 16.

تعليق تتضمن ذكر أسرنا عند الكفار والسبب الداعي للفرار
وما أحل الله بالباغي من الويل والدمار ، والحمد لله الملك القهار والصلة
والسلام على النبي المختار وعلى الله وصحبه السادة الآخيار آناء
الليل وأطراف النهار صلاة تمحو عن قائلها الأوزار .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى أَهْلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَحَسْبِيُّ اللَّهُ » « وَنَعَمُ الْوَكِيلُ » (٢٠) . الحمد
لله الذي وعد الصابرين المراتب العلية والمهمم الشكر فتالوا به
أعظم مزية ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تدفع
عَنَّا كُلُّ بُلْلَةً ، وتورثنا سعادة أبدية سرمدية ، وأشهد أن سيدنا محمد عبد
رسوله القائم بأعباء الرسالة وأمر الرعية ، صلى الله عليه وعلى
الله وصحابه المنعمتين بمكارم الأخلاق والصلات البهية صلاة دائمة
متواتية يتضاعف ثوابها كل بكرة وعشية . أما بعد فيقول العبد الفقير
مصطفى بن جمال الدين المدعو بابن كرامة اجراه الله من الزلل والندامة :

لَا كَانَ بِتَارِيخٍ أَوَّلَ شَهْرٍ صَفَرَ سَنَةٍ خَمْسٍ عَشَرَةً بَعْدَ الْأَلْفِ وَقَدْ
حَصَلَ عَلَى الْدِيَارِ الْطَّرَابِلْسِيَّةِ مَا هُوَ لَيْسُ بِقَابِلٍ لِلْوُصُوفِ ، وَرَدَ أَمْرٌ
مِنْ ظَلِّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ الْقَائِمِ بِسُنْتَهُ وَمَرْضِهِ الْمُؤْتَمِنُ عَلَى حَقِّهِ وَالْيَدِ
الْمُبِسوَطَةِ عَلَى خَلْقِهِ، مِنْ احْتِبَاهِ اللَّهِ لِوَرَاثَةِ الرِّسَالَةِ وَجَعَلَ طَاعَتَهُ
مُرِيقًا بَيْنَ الْهَدِيِّ وَالضَّلَالَةِ لَا دُنْيَا إِلَّا بِهِ وَمَعَهُ وَلَا دِينٌ إِلَّا مِنْ وَالا (٢١)
وَبِتَعْهُ ، كَافِلُ الْأُمَّةِ وَرَاعِيهَا وَسَاسِيْسُ الْمَلَكَةِ وَحَامِيهَا ، نَظَامُ الْجَمَلَةِ
وَجَلَاءُ الْغَمَةِ وَرِبَاطُ النَّعْمَةِ ، مِنْ عَصْنِي السُّلْطَانِ فَقَدْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ ،
مِنْ شَابِيهِ حَمْدٌ فِي يَوْمِهِ وَغَدَهُ وَرُوعَى مِنْ الْعِيشِ فَسِيْرَى أَرْغَدَهُ وَمِنْ تَابِدَهُ
صَارَ فِي خَسَانِ وَعَانَقَهُ الْخَذَلَانَ ، جَعَلَ اللَّهَ رَأْيَتَهُ الْعَلِيَا وَأَيْتَهُ الْكَبِراً ،
مَا تَسَابَعَ الْقَمَرَانِ (٢٢) ، وَتَوَالَى الْمَلَوَانِ (٢٣) ، وَاسْتَقَرَ فِي مَكَانِهِ
جِلْ لِبَنَانَ .

(٢٠) من سورة آل عمران آية رقم (٤١٧٢) .

(٢١) القرآن : الشيس والقر ، انظر جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١

م ١٢١١) ، لسان العرب ، ١٥ م ، بيروت ، ١٩٥٥ م ، ٥ م ، ص ١١٢ .

(٢٢) الملوان ، الليل والنهر ، وقيل طربا النهار ، ابن منظور ، لسان العرب ،

م ١٥ م من ٢٩٠ - ٢٩٢ .

بعد ان انهى لستته، لا زالت الايام طوع ارادته، أنّ على بن جان (٢٣) بولاد بغي واستغنى فطفي وركب اضاليل البوى وباطيل المنسى وأحاديث التفوس الكواذب ووساوس الامال الخوابث ، جال في تيهه وشقائه وسفاهة عقله وقلة رأيه، ودخل في ظلمة المعيشة وخرج من نور الطاعة وركب المركب الذي لا بد أن يترجل راكبه بل ينخذل مارسه ، مَدِيَا قصيرة ليتناول غاية بعيدة ، أشله عماء وزلت به قدماء ، امتنع ظهر الاغترار واداع دواعي البوار ، اوقد نارا للحرب بدر منها بوادر الفتنة وهزرت على يده شقاشق (٢٤) المحتة ، فلما

(٢٢) على بك ابن الامير احمد ابن جابلاط الكردي ، ابن اخي حسين باشا جابلاط * اتابه منه في حلب منذ خروجه للاتaque الوزير السردار سنان باشا جفال زادة ، ومنها ومله نبا قتل منه بامر الوزير المذكور رفع راية المصيان في حلب ، وكان جيشه المكون من مناصر السكان الهاريين من النخبة العسكرية يزيد على عشرة الالاف شخص . وَسُعَيَ الوالى المعين على حلب من الدخول اليها ، وسار من حلب باتجاه الجنوب حيث هزم المساكير المتباينة بقيادة يوسف باشا سينا (ت ١٠٢ هـ / ١٦٢٥ م) ترب حماة ، سنة ١٠١٥ هـ / ١٦٠٦ م وفتح اثناءه كثيرة من مسکر المساكير الشامية ؛ وبعد هذا الانتصار استعد من خر الدين الذي اجاب دعوه وانضم اليه في حركة المصيان ، مارسلا واحتلاً مناطق يوسف باشا سينا باستثناء قلعة طرابلس ، وخربيا بعلبك وتوجهها باتجاه دمشق حيث هزم مساكيرها للمرة الثانية في نواحي المراد ، ومن هناك اتجهت مساكيرهم للهجوم دمشق من جهة المزة ، وبدأ افراد المسكيانية والدوروز ينهب الاحياء الخارجية لمدينة دمشق ، ولم يرفع الحصار الا بعد ان دفعت له اهالي دمشق مائة وخمسة وعشرين اللد غرش . وفي طريق موته مُرَكَّ على حصن الاكرااد وجرت اتصالات له مع يوسف باشا سينا ، ادت الى مقد مصاهرة ما بين ابن جابلاط ويوسف باشا سينا ، ومن هناك عاد الى حلب تاریل السلطان لـه الوزير الكبير مراد باشا * لأنَّه (اي على بك) كان قد قارب ان يملك البلاد بالاستقلال * وفي العقال الذي نسب ترب مرعش نجا على بك جابلاط براسه الى مدينة حلب ومنها الى ملطية ، ومن هناك تقد اسطنبول حيث علا منه السلطان وولاه حكومة طيشوار ليُقتل فيها بعد حوالي ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ . انتصر ترجمته في البويرين ، المدر ذاته ، م ٢ ، من ٢٧١ - ٢٩١ ، المحبى ، المدر ذاته ، م ٣ ، من ١٢٥ - ١٤٠ .

(٢٤) شقاشق : جمع الشقشقة وهي « لعنة البعير » ولا تكون الا للمربي من الابل ، وقبيل هو شيء كالرئبة يخرجها البعير من نسيه اذا حاج . اiben منظور ، لسان العرب ، م ١٠ ، من ١٨٥ - ١٨٦ .

تقررت احواله لديه، لا زالت حمائم النصر ترفرف بين يديه ، عين عليه سردارا كأجل الملكة الطرابلسية (٢٥) ، لا برهت مدا الايام من الاغيار محامية ، أمير الامرا الكرام كبير الكبرا الفخام : حضرة يوسف باشا بن سيفا (٢٦) ، أسعفه الله في اموره اسماعيل وادام الله ايامه

(٢٥) الملكة الطرابلسية : كانت تشكل احدى ممالك ونيابات بلاد الشام في العهد المملوكي حول هذه الملكة انترب ابا ميد الله بن محمدالمعروف بشيخ الروبة البشعي الاتمساري (ت ٧٧٧ هـ / ١٢٢٧ م) ، نخبة الدهر في مجائب اليسر والبحر ، تحقيق ا . مهران ، بربيل ، لبنان ، ١٩٢٢ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٩ ، كذلك احمد بن علىي الطقشندى ، (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ، مبيع الايمش فى مناقب الاشائ ، القاهرة ، م ٤ ، ص ١٤٢ - ١٤٩ ، حول هذه الملكة في اواخر العهد المملوكي راجع غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري ، (ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م) ، زيدة كفت المالك وبيان الطرق والمسالك ، نشره بولس راويس ، باريس ، ١٨٩٤ م ، ص ١٢٢ . اما فيما يتعلق بالحياة التقافية في طرابلس فـ المصور الوسطى ، فتراجع المـادة الجمـومة منـ مـصر مـيدـ السلام التـصـرىـ ، الحياة التقافية في طرابلس الشـام خـلال المصـور الوـسطـى ، بيـروـت ، ١٩٧٢ ، هذا يـجـابـ المـادـةـ المتـوارـةـ فيـ كتابـ اـخـبـارـ الـعـيـانـ فيـ جـلـ لـبـنـانـ ، ٢ـ لـطـوـسـ الشـدـيـانـ (ت ١٨٥٩ م) الذي حقـنه سـوـادـ اـغـرامـ الـبسـاطـىـ ، بيـروـت ، ١٩٧٠ م ، ص ٤١ . كذلك انظر من ١١ .

FR. Buhl, "Tarabulus" E. L. vol. iv, P. 660

ترجمة المقالة للسـهاـ في دائـرةـ المـارـدـ الـاسـلاـمـىـ ، م ١٥ ، ص ١١٧ - ١٢٠ .
اما مـصـطـلحـ «ـ كـاـلـ »ـ فهو مـرـادـ لـمـصـطـلحـ «ـ نـاـئـبـ »ـ وهو منـ القـاـبـ كـبارـ التـوابـ
كتـابـ دـيـشـقـ ، رـاجـعـ الطـقـشـندـىـ ، المـصـدرـ ذاتـهـ ، م ٤ ، ص ٥٣ .

(٢٦) يوسف باشا سيفا (ت ١٠٤٢ هـ / ١٦٣٥ م) ، زهيم سـنـىـ منـ اـصـلـ تركـتـىـ اوـ
كرـدىـ ، كانت اـسرـتهـ منـ القـوـىـ المـلـعـبـ الـبـارـزـةـ فيـ منـطـقـةـ عـكـارـ ، واـوـكـلتـ الـهـ
ولـبـةـ طـرابـلسـ الشـامـ اـكـثـرـ مـرـةـ ؛ مـرفـعـ مـنـ زـمـانـهـ لـجـنـاحـ الـبـيـنـ خـالـىـ
الـجـنـاحـ الـبـيـسـ بـقـيـادـ قـلـمـونـ الـعـنـىـ ، وـيـطـنـهـ مـلـاقـاتـ الـمـاصـمـرـةـ معـ الـعـنـينـ
وـالـجـنـبـلـاطـينـ . حولـ حـيـاتهـ انـظـرـ : الـبـورـيـ ، تـرـاجـمـ الـامـيـانـ منـ اـبـنـاءـ الزـيـانـ ،
انـظـرـ النـصـ المـنشـورـ اـذـاءـ . الـجـبـسـ ، خـلاـصـةـ الـتـرـ ، م ٤ ، ص ٤٧ - ٤٩ ،
ص ٥٠٢ ، الدـويـهيـ ، الـبـطـرـيرـكـ اـسـطـلـانـ (ت ١٧٠٠ م) ، تـارـيـخـ الـازـنـةـ ، نـشـرـةـ
اـبـ مـرـدـبـنـادـ توـلـيـلـ الـبـسـوعـىـ ، الـمـطـبـعـةـ الـكـاثـولـيـكـىـ ، ١٩٥١ ، ص ٢٢٠ ، كذلك
انـظـرـ مـقـالـةـ

Sallib, K., "The Sayfas and the Eyalet of Tripoli, 1579 - 1640," *Arabica*, vol. XX (1973), pp. 25 - 52.

الظاهرة واعلا مقامه في الدنيا والآخرة . بولايته الرعية تنام وهو
 آمنون ويصحون (١١) بوجوده مسرورون ، نفوسهم في ظلال السكون
 وادعة ، وفي رياض الامن رائعة . فتوجّه امتنالاً لأمره المطاع الواجب
 الاتباع نفذه الله في سائر الاقطار والبقاء ليخرجه من محروسة حلب ،
 وجمع العساكر وحثّ بالطلب ، هدى الى اجتهد النفس في صالح
 ووقفها على سبيل المرشد والناجح (٢٧) : بين ثغر يُسَدَّ وعده
 يُسَدَّ وشتات يُجْمِعَ وخُرُق يُرَقِّعَ وذمام يُؤكَدَ وعهد يُؤيَّدَ . فلما بارز
 في عاشر شهر ربيع خارج حساة كاتب (١) بن جان بولاد بعض امراء
 العرب (على الهاشيش الاعراب) على مبلغ فاركه هواه ، هيئات ما
 اصلَّ بِنَفْلِ ذلك الشقي من راي واسوه ، تَبَرَّمَ الاماني الكاذبة وظنَّ
 الظنوں الخائبة ؛ فلما تلاقى العسكران وتصادم الجيشان واصطفَّ
 الخيل والرجل وامتلاَّ الحَرَنْ (٢٨) والسهل وبرقت الابصار بشعاع
 السيف وسفرت رسيل الحتف بين الصنوف ودار كأس الموت دهاتاً
 وعاد لقا الفريق بالفريق عنقاً ، وصار الفارس اقرب من ظله
 والسيف ادنى للوريد من حبله؛ ففي ذلك محل فَرُّ الشقي الموعود
 بالاموال وزئن له الشيطان فعله وحثه بالاستعمال وصوَرَ له الاماني
 الفاسدة والأمال ، فلما شاهد فراره العساكر صار راي كل لصاحبه
 مغایر وعاد (ت) السواعد غير مساعد (ة) والاعضاء غير معاضد (ة) .
 ولم يزل صاحب الدولة والسعادة ، بلغه الله الحسنى وزيادة ، ثابت
 الجنان لا تهوله (جاعت يهوله) صدمات الفرسان ، وصار كلما حرض
 من العسكر جحلاً ، يُظْهِر ضعفاً وتجلاً ، فعند ذلك تطايرت من
 حوله العساكر قاصدين حماة ولم يمكنه الا الذي رياه في حماء ،
 لesar عند ذلك صاحب الدولة وقد اختر سعيه ليوم لا ينفع الانسان
 قوته ولا حوله والسماء تحصد الارض بوطيه لها في سرها والنجوم تَوَدَّ
 لاجل التواب لو خرَّت مع سبابك خيله ، ودخل محروسة طرابلس في

(٢٧) الناجح جاء في اللسان : « واتبع الرجل » ، صار ذا نجع لهم منجع من قوم
مناجع ومناجيع » ، لسان العرب ، م ٢ ، ص ٦١١ .

(٢٨) الحَرَنْ : « ساغلظ من الارض في ارتقاء » ، لسان العرب ، م ١٢ ، ص ١١٤ .

خامس عشر شهر ربيع الاول، وأنسر الناس بقدومه لأنّه عليه المول .

واما ابن جان بولاد طاوع شيطانه اذ اضله وزلّ معه حين استزله أبى الا امتداد عنانه في الانقياد لشيطانه ، واستنفاذ قواه في الاستسلام لهواه ، فدعا ابن معن (٢٩) فاستجاب لدعائه واسرع لندايه وسُؤل لهم الشيطا (ن) تسويلا واستغواهم تَفْرُراً وتضليلًا وحَجَبَ اليهم العناد حتى شيط بلحهم ودمهم وكره اليهم الرشاد حتى القوه وراء ظهرهم وصافح بينهم (١ ب) فقادهم رهينا وقارئهم وسا (ء) قرينا، ولم يزل يلهم في اسفاح الشحنا (ء) وهم له يجيبون حتى وصلوا ظاهر طرابلس ونزلوا بارض الجون (٤٠) ، جعلوا يغيرون وينشرون

(٢٩) مخـر الدـين المـعنـي (ت ١٠٤٣ هـ / ١٦٢٥ م) ، درـزي المـذهب ، كان زعـيم الجنـاحـيـنـيـ في بلـادـ الشـامـ ؛ بنـيـ جـيشـاـ توـبـواـ منـ العـانـصـرـ الـهـارـيـةـ منـ الخـدـمـةـ التـيـ كـانـتـ تـعـزـفـ بـالـسـكـانـيـةـ ، اـسـتـقـادـ منـ عـلـاقـاتـهـ باـأـورـوبـاـ منـ طـرـيقـ المـوارـنةـ وـشـجـعـ التجـارـةـ معـ أـورـوبـاـ نـازـدـهـرـتـ موـانـيـ لـبـنـانـ خـاصـةـ مـيدـاـ ، نـشـطـ الزـرـامـةـ لـيـ مـهـدـهـ خـاصـةـ زـرـامـةـ شـجـرـةـ التـوتـ لـتـرـبـيـةـ دـوـدـةـ القـزـ ، حـارـبـ بنـيـ سـيـناـ ، وـبنـيـ القـلاـعـ وـشـخـنـهاـ بـالـجـنـوـدـ ؛ تـسـقـيـفـ عـلـيـهـ فيـ مـهـدـ السـلـطـانـ مـرـادـ الـرـابـعـ مـنـ اـجـلـ الـزـيـدـ مـنـ حـيـاتـهـ انـظـرـ اـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ الـخـالـدـيـ (ت ١٠٤٤ هـ / ١٦٢٤ م) ، تـارـيـخـ الـاـمـيرـ مـخـرـ الدـينـ المـعنـيـ ، تـحـقـيقـ اـمـدـ رـسـمـ وـمـؤـادـ الـبـسـتـانـيـ ، بـيـرـوـتـ ، ١١٦٦ ؛ الـجـبـيـ ، خـالـمـ ، مـ ٢ـ ، صـ ٢٦٦ـ - ٢٧١ـ ؛ مـبـيـسـ اـسـكـنـدرـ ، الـمـلـوـفـ ، تـارـيـخـ الـأـمـيـرـ مـخـرـ الدـينـ المـعنـيـ الثـانـيـ ، الـطـبـيـعـةـ الـكـاثـولـيـكـ ، بـيـرـوـتـ ، ١١٦٦ ؛ الـبـولـسـ قـرـائـيـ ، مـخـرـ الدـينـ المـعنـيـ الثـانـيـ اـمـيرـ لـبـنـانـ : اـدارـتـهـ وـسـيـاسـتـهـ ، ١٥٩٠ـ - ١٦٢٥ـ ، حـرـيـصـاـ ١٦٢٧ـ ؛ لـنـسـ الـمـولـدـ ، لـبـنـانـ وـالـدـوـلـةـ الـعـنـيـاتـيـةـ فيـ مـهـدـ مـخـرـ الدـينـ المـعنـيـ الثـانـيـ ، مـطـبـيـعـةـ سـرـ الـجـدـيـدـةـ ، ١٩٥٢ـ ؛ انـظـرـ اـيـضاـ مـاحـافـرـةـ كـمـالـ الـصـلـيـبيـ : «مـخـرـ الدـينـ المـعنـيـ الثـانـيـ وـالـفـكـرـةـ الـلـبـنـانـيـةـ» ، اـمـادـ القـوـيـةـ الـلـبـنـانـيـةـ ، صـ ٨٥ـ - ١١١ـ . ولـنـسـ الـمـولـدـ .

"Fakhr al-Dīn" E. L , vol. II, pp. 749-51.

(٤٠) الجـونـ : يـمـيـدـ مـعـنـيـ الزـاوـيـةـ وـيـذـكـرـ مـادـةـ مـشـاـلـاـ إـلـىـ عـكـارـ ، جـونـ عـكـارـ ، وـيـسـ سـنـةـ ١٥٨٤ مـ ، تـبـيـتـ الذـرـنـةـ الـمـرـيـةـ التـيـ كـانـتـ فـيـ طـرـيقـهاـ إـلـىـ اـسـطـنـبـولـ فـيـ ذـكـ الـوقـعـ ، مـاـ دـعـاـ الـدـوـلـةـ الـعـنـيـاتـيـةـ إـلـىـ تـجـرـيـدـ حـمـلةـ مـلـىـ تـلـكـ الـمـنـطـقـةـ كـانـ مـنـ نـتـائـجـهاـ ضـرـبـ الزـعـامـاتـ فـيـ جـبـلـ لـبـنـانـ خـاصـةـ الـزـعـامـةـ الـمـنـيـةـ . حـولـ هـذـهـ الـحـادـثـ اـنـظـرـ ، الدـوـبـيـ ، اـسـطـلـانـ ، تـارـيـخـ الـزـمـنـ ، صـ ٦٧ـ ، ٢٢٢ـ ، ٢٢٨ـ ؛ حـولـ هـذـهـ طـنـوسـ ، اـخـبـارـ الـاعـيـانـ فـيـ جـبـلـ لـبـنـانـ ، مـ ١ـ ، صـ ١ـ ، ٢٨٤ـ - ٢٨٥ـ ، الشـدـيـقـ ، مـعـنـيـ كـلـيـةـ جـونـ ، اـنـظـرـ تـرـيـحـةـ ، اـنـبـيـسـ ، اـسـمـاءـ الـمـدنـ وـالـقـرـىـ الـلـبـنـانـيـةـ وـتـقـسـيـمـ مـعـانـيـهاـ ، جـونـيـةـ ، ١٩٥٦ مـ ، صـ ٦٧ـ .

من الفتن ما ينثرون، لا عن الدما (ء) كفوا ولا عن المحرام عقوبا ، ما
الذنب بالقياس اليهم الا من الصالحين ولا الحجاج في العراق معهم
الا اول العادلين ولا فرعون فيبني اسرائيل اذا قابلته بهم الا من
المقربين ، ما تركوا للرعایا نفحة الا نقضوها ولا ذهبا الا ذهبا به
ولا ضيعة الا اضاعوها ولا فرسا الا افترسوا ، توالت مظالمهم وظلمهم
وانتقلت غائتهم وغُمّهم ؛ عَيْنُوا درويش بن جان بولاد (٢١) مع شرذمة
هي فراش النار واوباش الامصار فتابعت اليه كلاب الغارة الشعروا (ء)
وتعاوّت لدويه ذئب الفتنة الصّمّا (ء) . دخل طرابلس في اواخر شهر
ربيع ، فلاعيان من اهلها دخلوا السفن والبعض آوى (جاست آوا)
الى حصن منيع دخلها بمن لئن تلبيته وصافح على الضلال لكنه من
اشياع الغواية واتباع الغباوة اولئك الكلاب العاوية والعصبة الضالة
الباغية، لا يتقيمون له وزنا ولا يمتثلون له اذنا وانما صار لهم سُلْما
الى الاموال المستهلكة والموارد المُرِيَّة المهلكة . وفي صبيحة نهار
السبت رابع عشرى ربیع سافر بعض المراكب فبكى لاصابهم الارض
وكواكب قاصدين الجزيرة (٢٢) والناس تبكي بأدمع غزيره، فلما اسfer
نهار الاحد وكان يوم يشيب فيه لهوله الفراب والولد ، غلايين (٢٢) ،

(٢١) درويش بن جان بولاد : يُعرَفُهُ البوريني بقوله، درويش بيك ابن عم على بيك
وانسه اخذ مدينة طرابلس الشام لكنه لم يتمكن من احتلال القلعة التي تحصن فيها
سلوك يوسف باشا سينا ، الذي كان يعرف ايضا باسم يوسف ، انظر النص
المحصور ادنها .

(٢٢) المصود بالجزيرة هنا جزيرة قبرس ؛ انظر نص البوريني المحصور ادنها
واللاحظات المدونة عنها في المائش .

(٢٢) غلايين : جمع كلمة غليون التي هي تحرير الكلمة *galleon*, *gallon* الاتجليزية
و *galeone* الإيطالية ، وهي سفينة اكبر من *galley* كان يستخدمها
الاسبان في التجارة خامة مع سلطانهم في طرابلس يذكر ما يلي « وقد رأينا على
الشيخ عبد الفتى النابلسي في رحلته الى طرابلس يذكر ما يلي » وقد رأينا على
حافة المينا انواع المراكب والسفن، وقد ذكر لنا اسامهم مدينتنا الحاج سور
الدين الطرابلسي المذكور ... نعلم ان انواع المراكب واسماها كثيرة بلغت
عشرين نوعا بعضاها يختلف بعضا في الصورة والبنية واسماها متعددة كل اسم
يطلق على مركب مخصوص لا يتناول المركب الآخر لكنه يطلق على الجميع المركبة

النصارى علينا أقبلت ، فالعقل طارت والدموع فارت والاسوات قد
علت لهذه النازلة الهائلة والفتيبة والحادنة الكارثة ، يالها من مصيبة
لا يداوى كلّها آسى ، ولا يسدّ ثلمها ثناس ، ففي لحظة ادركونا ،
وضربونا بالماحال الطيبة فاهالونا وبشرّر نارهم الهبونا واحاطوا بنا
فاختنونا . كان في السفينة من المسلمين مائتا (جاءت ماتا) نفر
وسبعة انفار رجال ونساء واطفال ، عبيد واحرار صاروا باجمعهم
في قبضة الحربين **الكفار** الاشقياء **الفجّار** بين مقتول، نقل الله روحه
إلى دار السلام، وأسيء موثق بين أيدي **الكفرة** اللئام وجريح تمثّل
له الاجل فقتل لسان حاله هذا اقصى المرام ؛ ما الحيلة وقد حصل
القفا (ء) ونزل البلا (ء) وكتب الرضى والتسليم ونحن به آمنون
لا حول ولا قوّة الا بالله « انا لله وانا اليه راجعون »^(٤٤) ، لا نسخط
لقدر الله وهو عدل ولا ننتكر (١٢) لقضاء الله وهو فصل ومن عنده
الفضل ، يولي ويبلّي ويسلب ويعطى له الخلق و فعله الحق ، امر
الله سبحانه وتعالى لا يقابل الا بالرضى والصبر على ما قضى
وامضى ، علما بـأأن مقاديره لا تجري الا على موجبات الحكمة وتدبّره
لا يخلو من باطن المصلحة وظاهر النعمة .

— والسفينة » . وبعد مثرين نوها : منها الغليون. انظر : النحلة النابلسية في
الرحلة الطرابلسية ، من ٧٠ — ٧١ ، كذلك

Dozy, R., Supplement aux Dictionnaires Arabes, vol. II, P. 226.

انظر كذلك The Oxford English Dictionary, vol. IV, P. 21.

ونجد أن ابن ابياس ، (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٢ م) يستخدم هذا المصطلح يقول في
اخبار سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م ما يلي : « نسم احقر السلطان تاببيا بالقرب
من (الجية) المركب الكبير الغليون الذي صبره واصرف عليه نحو من مثرين
الدینار غارسوا به قبالة المقاييس ، وصنعوا له شانية مرايس وعلقوا في
مواريه القناديل في الامساط .. » بدائع الزهور في وقائع الدهر ، م ،
تحقيق محمد ممطلي ، القاهرة ١٩٦٠ م ، من ٢٧٦ ؛ انظر ايضاً حبيب الزيات ؛
« مجم المراكب والشنون في الاسلام » المشرق ، مجلد ٢ (١٩٤٩ م) ، من ٣٥٥ ،
والجدير بالذكر ان الاستاذ انيس فريحة لم يذكر في معجمه ، « مجم الاناظ
العامية في اللهجة اللبنانيّة » ، بيروت ١٩٤٧ ، كما ان الدكتور البري مطلق لم
يذكره في « مجم الاناظ حرفة صيد السمك في الساحل اللبناني » ، بيروت ، ١٩٧٢ .

(٤٤) من سورة البقرة ، آية رقم ١٥٦ .

استمررنا بذلك الأسر نكابد المشقات والقهر بقلوب هلوع ، وروع
مروع نبكي على أيامنا الماضيات ونحد من تقدمنا من الاموات . ثم
لما تجلّت عنا غمة الخطوب ودارت لنا بشائر الرضا من المحبوب وانشقت
سحابة محنته وتجلّت غمرة كربته وطلعت نجوم ارادته وهطلت
سحابة سعادته واذن الله سبحانه وتعالى باخراجنا من الضيق الى
السعّة ومن الانزعاج الى الدعة ، القى (جاعت الـتا) الله سبحانه
وتعالى الرائفة في قلب ذلك العلّج النصراني فأمرني بالخروج الى
محروسة صيدا في ثامن عشرى شهر ربيع الثاني وطلب مذوى (عني) وعن
ثلاثة وعشرين نسمة ضممتهم الى من الاهالي : نساء واطفال اربعة
الاف وثمانمائة ذهبا عمال ، معاهدته على ذلك واسرعت بالذهاب
من غير تكاسل ولا اهمال مستجيرا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى الله واصحابه خير صحب وآل مستشفعا مستغينا متسلبا به في البكور
والاصلال ، فاعطف الله الكبير المتعال على هذا الخسيف قلوب سراة
ذى اموال ، اعطونا تلك (جاعت ذلك) العشرة بخمسة عشر الى
مضي شهرين، فقبلت منهم على ذا الحكم جميع ذلك الغبن ثم قالوا
نحن سخينا بمالنا عليك فلا تدعنا نطالبك ، نحيل بكتابك على من يكتابك ،
نشكرت فعلهم ومدحت نشائهم وقلت هذه المادينة لا اعدها الا كانها
عظية وهي عندي بمنزلة الهيبة وانشا (ء) الله قبل تمام المدة
نوصلكم جميع هذه العدة ، ثم اني قبضت تلك (جاعت ذلك) التقويد
بالتمام والكمال وأقبضتها للحربيين فاخرجوا في الحين جميع العيال .
فليا شاهدت الولد الأعز عمر لطف الله به وبفضله له غير تهلكت مني
وجوه الانس وكانت قبل عابسة واورقت (جاعت اورق) غصون من
النرج بعد ان كانت يابسة . ثم في اوائل شهر جمادي الاول دخلنا
محروسة بيروت اقمنا برها من الزمان . وفي فـٰرـٰزـٰ شهر شعبان من
السنة المزبور (ة) جتنا (٢ ب) الى الاوطان فلاح لنا النجاح وانتشر
نوره واومض برق النلاح ولمعت تبشيره فوجدنا صاحب الدولة
والسعادة حضرة يوسف باشا بلغه الله من خيري الدنيا والآخرى ما
يشا (ء) دخل الديار الطرابلسية وحكها ، ومن ايدي الخوارج والبغاة

قد أنقذها ، وقطع عروق البغاء اهل المناد واطلع فيها كواكب السداد . فكانما بُدلت من الظلمة نورا ، واعقبت من موتها نشورا .

ونرجع الى ذكر الباحث عن مديته المتعجل الى انقطاع مدته .

بسط يده في المظالم يحتبها والمحارم يرتكبها وشرب على اهالي حلب ضرائب ضربت الاموال بالتحقيق والبضائع بالتفزيق . تلك البلاد تلهيت بجمرات ظلمه ، وتنهيت ببدرات ^(٢٥) غشمه فالمحارم مهتوكة والدماء (ء) مسفوكة ولسان الحال يقول قد يكون للباطل دولة وللنساد صولة ، ثم يأتي من الانتقام والاصطدام ، ما يسقط الهام على الاقدام ، اما علم ان العزيمة من امير المؤمنين تنزل امثاله مثلا وتجعله لاهل الشقاق والنفاق مثلا ! اما علم انه اذا رماه بشعبه من افكاره وميشه بجذوة من ناره عاد حرصه تدما وصار وجوده عدما ! وغودير اشياعه بددوا بل طرائق قدوا ! نصب عليه سردارا الصدر الاعظم والدستور المعلم نظام العالم مدبر جمهور بنسي آدم مراد باشا ^(٢٦) ادام الله اجلاته وبِلْه من خيري الدنيا والآخرى آماله فسار اليه بأسعد الطوالع والفوائح وأيمن الحامد والنجاح فخليت لركوبه الارض مائحة والبحار هائجة والنجاح تطرق بين يديه والميامن تسير حواليه وآيات الظفر تقرأ

(٢٥) البدرة : هي « جلد السخلة اذا مطر ويدال ثلات بدرات » واستخدم بمعنى كبس فيه الله او عشرة الالاف ، لسان العرب ، م ، من ٩٠ .

(٢٦) مراد باشا « صاحب الحروب مع المجر والمجر والجلالية » ، مُنْيَ حاكما للبيزن سنة ١٨٤ هـ / ١٥٧٦ م ، واطلى بعد ذلك حكمه لتران ، شارك في الحرب ضد بلاد فارس ولسي دمشق حيث شيد فيها سنة ١٠٠٢ هـ / ١٩٥٢ م سوقا عرف باسمه ، فقد صلح سقنا ثروك سنة ١٦٠٦ م ، مع النساء ، عَيْنَ بعد ذلك سردارا على الشرق لاخفاء الحركة الجلالية وحركة علس بيك ابن جاتبلات ، كانت ولاته سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م انظر التزي ، لطف السمر وقطن التمر ، ورقه ، ٤٤ ب - ٤٥ ، المحبى ، خلاصة الاتر ، م ، من ٤٤ - ٣٥٨ - ٣٥٥ ، ابن جمعة المشار ، ولاة دمشق ، من ٢٢ ، عبد القادر بدران (ت ١٢٦٦ هـ / ١٩٢٧ م) ، مناقصة الاطلال ومسيرة الخيال ، منشورات المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٢٧٦ هـ / ١٩٥١ م ، من ٣٧٦ - ٢٨١ ، صلاح الدين التجدد « خلط دمشق » مجلة الشرق ، ٤٤ م (١٩٨٤) ، من ٦٢ - ٦٤ .

عليه والنصر يتراءى من ذاتب اعلامه وبنوده وعنایة اللّه محيطة
 على موابكه وجنووده. ولم يزل سائراً والسمود توابكه ولطائف (جاءت
 الطايف) اللّه تماحبه حتى قرب من مدينة حلب، فخرج على بن جان
 بولاد قاصداً لـه بالطلب يحضره الى مصرعه الاغليل ويعجله الى هلكه
 الاباطيل ، حدتهم (؟) لاستعمال (جاعت الاتعجال) الآجال ،
 وتصورت لهم المنايا في سور الاماني والأمال، ساروا وآجالهم تنسج
 في مطامعهم ومناياهم تحت خطاهم الى مصارعهم . نتالم اللـه باقدامهم
 الى مصارع حمامهم (١٣) فلما التقوا وكان ذلك في شهر جمادى
 الآخرة دارت على اعدا (ء) اللـه به الدائرة من شهور سنة ست عشرة
 بعد الالـف . وما احلَ اللـه بهم من الانتقام ما شبَّ عن طوق الوسـك
 وعلـت ريح الاقبال « لـحزـبـ اللـهـ » (٢٧) ، وذرت ريح الـادـبـارـ على اـعـدـاـ (ء)
 « حـزـبـ اللـهـ » مـتعـهـدـونـ بـالـنـايـحـ الزـهـرـ وـأـعـدـاـ (ء)
 اللـهـ بـوزـرـ المـاعـدـينـ اـزـدـادـ « حـزـبـ اللـهـ » شـدـةـ مـرـاسـ وـقـوـةـ بـاسـ
 مـتـرـصـدـونـ بـالـنـايـاـ الحـمـرـ ، فـازـ « حـزـبـ اللـهـ » بـأـجـرـ المـجاـهـدـينـ وـأـعـدـاـ (ء)
 اللـهـ بـوزـرـ المـاعـدـينـ اـزـدـادـ « حـزـبـ اللـهـ » شـدـةـ مـرـاسـ وـقـوـةـ بـاسـ
 وـتـبـاتـ مـقـامـ ، وـصـدـقـ اـنـقـامـ ، وـأـعـدـاـ (ء) اللـهـ انـقـلـبـتـ موـاكـبـهاـ وـتـضـيـضـعـتـ
 مـرـاكـبـهاـ وـانـخـفـضـ بـيـارـقـهاـ لـماـ شـاهـدـواـ الرـايـاتـ الـمـصـورـةـ تـزـحـفـ الـيـمـ
 زـحفـ ، مـلـاتـ قـلـوبـهـ رـجـفـاـ وـهـ تـخـفـقـ بـالـنـجـحـ ، وـالـطـبـولـ تـنـطـقـ بـالـفـتحـ ،
 اـمـرـ بـتـسوـيـةـ الصـفـوـنـ التـيـ لـافـلـوـلـ يـعـتـرـيـهـاـ وـلـاـ رـجـوـفـ ، وـجـمـلـ الـجـيـوشـ
 مـيـامـنـ يـقـارـبـهاـ الـيـمـ وـالـنـجـاحـ ، وـمـيـادـرـ اـقـضـتـ الـيـسـرـ وـالـفـلـاحـ ،
 وـصـارـ هوـ وـقـوـادـهـ قـلـباـ قـلـباـ لـمـنـ قـابـلـهـ وـنـاكـسـاـ لـمـنـ وـاجـهـهـ . فـحـينـ تـرـأـىـ
 الـجـمـعـانـ وـأـفـضـىـ الـأـمـرـ إـلـىـ قـرـبـ الـعـيـانـ وـالـتـهـيـتـ جـمـرـةـ الـفـرـابـ وـالـطـعـانـ
 التـقـىـ الـجـمـعـ بـالـجـمـعـ وـقـرـعـ النـبـعـ بـالـنـبـعـ (٢٨) وـبـلـغـتـ الـقـلـوبـ الـخـاجـرـ
 وـشـافـهـتـ الـمـاخـرـ الـمـاخـرـ فـعـنـدـ ذـكـرـ صـمـتـ الـإـلـسـنـةـ وـخـطـبـتـ السـيـوفـ

(٢٧) « حـزـبـ اللـهـ » من سورة المائدة آية رقم (٥٦) ، وكذلك ذكرت في سورة المجادلة آية رقم (٥٨) .

(٢٨) النـبـعـ : من اـشـجـارـ الـجـيـلـ تـصـنـعـ مـنـهـاـ النـسـنـ ، لـسانـ الـمـرـبـ (٤٨) مـنـ ٢٤٥ - ٢٤٦ .

على المنابر واستمخرت ^(٢٩) سر الرماح وتصافحت ببعض الصفاح
 بلغ « حزب الله » من اقتناص الاعدا (ء) أقصى المبالغ ووطئهم
 وطء القانع الدافع زحمو الاعدا (ء) من جوانبهم وتمكنوا من
 نفس مواكبهم فشقاق بهم المجال وتحكّمت بهم الاجال فلم تَرْ (جاءت
 ترا) الا رؤوساً تندى ودماء تهدر واعضاً (ء) تنطلي واجساماً تترايل ،
 اوسعهم ضرباً وشقاً وطعنة ورشقاً وجرحاً وزرقاً؛ وطنوه بسنانك
 الخيل وتركوه كجفا (ء) السيل صبوا عليهم سوط (جاءت صوط) (عذاب)
 ناسلوهم لعوادي بتار وتباب بين قتيل عجل الله بروحه الى دار
 جزائه وأسرى قد اوثقه ما ارتكب من سوء رايته ، وابن جان بولاد
 نكم على عتبه وقد كادت صروف الايام تفترسه وبياناتها تنتهشه، لم
 ينج الا بشرذمة لاذت بذمة الهرب ولن يغتوها يد الطلب، اطار الرعب
 قلوبهم وسكن الخوف لهم ، خرجوا من تحت طني السيف و قد
 شارفتهم ، وشبـاـ (ء) الحنوف وقد شاهذتهم ، ولم يزل دائراً في البلاد
 ليجد من يعينه على البغي والعناد فلم يجد (٣ ب) له مساعد ولا خل
 معاضـدـ، فاحسب عند ذلك قرب الموت لما رأى من ضيق العيش وبعد
 الاوطان وقهر الجيش، ودخل على بعض البغاء فاراد (جاءت فارـدـ)
 بعضهم ان يوثقه ويجعله اسيراً وبعضهم ظاهره وكأن في خلاصه
 نصيراً، فانهزم وقصد الاعتتاب العلبة والسددة العالية السننية في سابع
 عشرى شهر رمضان سنة ست عشرة بعد الاشرف من هجرة سيد ولد
 عدنان يلتقط العفو ، ورممته على ثلث وشاهته على شرف، فآخر
 لأجل مضروب وانسى لأمل مكتوب .

واما « حزب الله » عادوا منصورين مؤيدين موفورين لمـ
 يـمـسـهمـ جـراـحـ وـلاـ عـضـهـمـ سـلاحـ، غـنمـواـ اـمـوالـهـمـ التـيـ لمـ يـؤـدواـ منـهاـ حقـاـ
 مـعـلـوـمـاـ وـلـمـ يـغـنـواـ مـنـهـاـ سـائـلـاـ وـلـاـ مـحـرـومـاـ، وـدـخـلـ الصـدرـ الـاعـظـمـ مـدـيـنـةـ
 حـلـبـ وـالـزـمـانـ ضـاحـكـ مـتـظـاهـرـ الـبـشـرـ مـنـ الفـتـحـ الـذـيـ نـفـقـتـ بـهـ

^(٢٩) من مخبر : استمخر قابل ، لسان العرب ، م ٥ ، من ١٦٠ - ١٦١ .

^(٣) ثبـاـ : الشـيـاهـ طـرـفـ السـبـبـ وـحـدـهـ، وـجـمـعـهاـ ثـبـاـ ، لـسانـ الـعـربـ ، مـ ١٤ـ ، من ٤٢٠ .

السنةُ الشكر وفتحت له ابواب البشر ، والملك ملائِي (جاءت مليء)
 تهاني وبشارات والأولياء شوري بين افراح وسررات ، وسلامت قلعة
 حلب الشهبا بعد دخوله بثلاثة ايام من غير حصار ولا اهتمام لعظيم
 سطوطه (جاءت حطوطه) ، منحة من الكبير المتعال ، عرّتهم هزة
 وتحكمت بهم الأوجال ، طلبوا الذين (جاءت الذي) كانوا في القلعة
 الامان فأعطاهم ، فنزلوا على اسوا الاحوال ، هناء الله بالطوابع
 السعيدة عند نهضته ودللت عليه البشائر الحبيدة في سفرته وقد دانت
 له الطوائف وأمن به الخائف . كان حلوله بمراكز غرة الديبة الوطنى
 عن السنة الشهبا والنور المنتشر بعد الظلم المعتكـر ، انحرست الفمهـة
 بتلاوـجـيـنـهـ وـدـرـتـ النـمـةـ باـخـلـاقـ يـمـينـهـ فـأـصـبـحـ المـدـلـ مـدـودـ الروـاـقـ
 والـسـلـطـانـ نـصـرـهـ اللـهـ سـاطـعـ الاـشـراقـ ، مـحـروـسـاـ بـعـينـهـ عـنـيةـ الـمـلـكـ
 الـخـلـاقـ الـوـاسـعـ قـدـمـهـ عـلـىـ نـاصـيـةـ الشـمـسـ ، السـاحـقـ بـضـيـائـهـ انـوارـ الـبـدرـ ،
 الـفـارـبـ بـرـوـاقـهـ مـنـ فـوـقـ النـجـمـ الـمـبـسـطـ بـيـنـ الـمـغـرـبـينـ شـعـاعـهـ المـدـودـ
 عـلـىـ الـخـانـقـيـنـ شـرـاعـهـ ؛ فـالـلـهـ يـدـيمـ لـهـ الـفـتـحـ يـمـينـاـ وـيـسـارـاـ وـيـزـيدـ اـعـدـاءـ
 ذـلـاـ وـخـسـارـاـ وـيـجـعـلـ اـعـدـاءـ حـصـانـتـ سـيـوفـهـ وـرـهـائـنـ خـطـوبـ الـدـهـرـ
 وـصـرـوـىـ .

ترجمة يوسف باشا سيفا للشيخ حسن بن محمد البوريقي (١)

« الامير يوسف بن سينا واخوه الامير علي ، قد اتفق (١٤٩ ب)
 بـسـيـرـنـاـ إـلـىـ طـرـابـلـسـ الشـامـ فـنـهـضـتـ إـلـيـهـاـ مـنـ دـمـشـقـ فـيـ شـوـالـ سـنـةـ
 ثـمـانـ وـالـفـ مـنـ الـهـجـرـةـ النـبـوـيـةـ عـلـىـ مـهـاجـرـهـاـ الـفـ الـفـ تـحـيـةـ. وـمـرـنـاـ

(١) الشيخ حسن بن محمد البوريقي (١٦٢ / ٥ / ١٥٥٦ م - ١٦١٥ / ٥ / ١٠٤٤ م)
 مؤرخ من أصل تلمساني ماصر احداث سنة ١٠١٦ / ٥ / ١٦٥٥ م ، حول حياته
 وتقائه و منزلته الطيبة و مؤلفاته ، انظر الترجمة الوافية ومصادرها التي اوردناها لهـ
 صلاح الدين المنجد في تعديبه للجلد الاول من تراجم الاعيان من ابناءـ
 الزـيـانـ ، يـسـقـىـ ١٩٥٩ م ، صـ ٥ - ٦ . النـصـ الذي نـتـشـرـهـ مـاـخـوذـ مـنـ مـخـلـوطـ
 تـرـاجـمـ الـاعـيـانـ مـنـ اـبـنـاءـ الزـيـانـ ، نـسـخـةـ لـهـنـيـاـ ، رقمـ

على مدينة عكار (٤٢) فاجتمعنا بالآباء المذكورين وكان الامر على
له تعلق باهداه الآداب ، وتوثق من معرفته باوثق الاسباب ، ولعمري
لقد شاهدت دولة سيفية وشهدت بسعادة يوسفية وعاينت مجدًا عاليا
وجوداً وافياً يشمل البعيد والقريب . وكانت بهما عكار صافية ،
ووعود الزمان بالمراد لمن قصدها وافية ، فاشتهرت بعد الخمول
وتعيّنت حتى صارت محطة الحمول ؛ ولعمري ان الدولة السيفية
كانت وريقة الظلال باسمة التغور عن عقود الاقبال . وقد مدحت
صاحب انشاء الدولة المذكورة ، الامير يوسف ذو السيرة المشكورة
بقصيدة ميمية ومدحت اخاه علياً باخري رائية ، وانصرفت من عكار
الى طرابلس الشام وطرفي لبرق اقبال هاتيك الديار قد شام ،
ورأيت في الطريق بقايا حصن يقال له عرقاً (٤٣) وقد عرقه الدهر
الجائر بمدينة جوره عرقاً ، وشاهدت تحامل الزمان على نواحيه
وتشتيته لجموع ساكنيه وأهليه مع انه من الحصون القديمة التي

(٤٢) النسوم المتوازنة بين ايدينا لا تشير الى مدينة تعرف بعكار بل تشير الى حصن
عكار . فيقول عماد الدين اسماعيل ابو الداء (ت ٧٢٢ هـ / ١٢٢١ م) :
« عكار حصن في الجبل المذكور (جبل عكار) » . اما الفقشندي فيذكر ما
يليه : « وهي قلعة على مرحلة من طرابلس في جهة الشرق يوسط جبل لبنان
في واد ، والجبل محيط بها وشرب اهلها من عين تجري اليها من ذيل لبنان المذكور
ولها ريش ليس بالكبير » . وكانت تشكل نيبات مملكة طرابلس الشام في العهد
المملوكي ونوابتها امرة مثرة ونائبها يخاطب « النائب بحصن عكار » انظر ،
تقويم البلدان ، حتفه م . رينولد والبارون ماك كوكين دي ملان ، المطبعة الملكية ،
باريس ، ١٨٤٠ م ، ص ٦٨ ؛ صبح الاعشى في منامة الائش ، م ، ٤ ، ص ٨٥ ،
ص ١٤٤ ، ص ٢٢٥ ، م ٧ ، ص ١٧٦ ، م ٩ ، ص ٢٥٣ ، م ١٢ ، ص ٤٦ ، ص ٤٦ .
٤٦ ، يورد المؤلف هنا نص كتاب نقلي لاحمد التواب .

(٤٣) يعرف ياثوت الحيوى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ، عرقة ، بتوله : « عرقة بكسر
اوله وسكون ثانية ... بلدة في شرقى طرابلس بينماها اربعة نراسخ وهي اخر
عمل بشق وهي في سفح جبل بينماها وبين البحر نحو ميل وعلى جبلها قلعة لها »
ويذكرها ابو الداء بقوله : « هي بلدة صفرية ذات قلعة ذات صفرة ولها بستانين
ونهر صغير ... » ، انظر معجم البلدان ، م ٦ ، تحقيق فرديناند وستنفلد ليزج ،
١٨٦٨ م ، ٢ ، ص ٦٥٣ - ٦٥٤ ، تقويم البلدان ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

محت رسمه كل ديمية مستديمة . فلما دخلت طرابلس عجبت من حاستها ورأيت عجائب البحر بالقرب من مساكنها ودخلت إليها مساليل أحد من أواسط ذي القعدة المنظم في سلك ثمور سنة ثمسان بعد ألف من هجرة خير الانام عليه من الله الصلاة والسلام . ونزلت في منزل وكيل الامير على اليوسفى السيفي وهو المسى بعلى ابن المقدم وكان بين جماعته هو المشكور المقدم وكان النزول عنده باشرة استاذه المذكور ببل بامره الذي يطيئه كل مأمور ، فأكرمنا أكراها وواصلينا انعاما وحبانا الطانا ومئن علينا إسعادا وإسعافنا ، وحضرينا علماء طرابلس مسلمين ولدعوى العلم من جانبنا مسلمين . وقد صدر أن الامير يوسف بن سينا حاكم مدينة طرابلس صاحب هذه الترجمة أرسلي في أواسط سنة خمسة عشر بعد ألف الى باب السلطنة العلية بقسطنطينية المحمية يتطلب حكما سلطانياً منشورا خاتانيا ، بأن يكون رأس المساكت الشامية وامير الاما في هاتيك الولاية السنوية لينتقم من علي بيك ابن الامير احمد بن جان بلاد الخارج بطلب الشهبا الذي تباعد عن الطاعة وابي ؟ فاجيب الى ذلك ، وظلن السلطان ايده الله تعالى انه قادر على ما هنالك وأرسل اليه الحكم المطاع الواجب الاتباع بان يكون راسا على جميع المساكت ورئيسا لجميع الجماهير من حدود غزة والقدس ونابلس واللجان وملجنون والكرك الى حدود طرابلس وجبلة واللانقية وحمص وحمامة وما هناك من الارادات والترك والعرب ، وان يسعى على ازالة حكمه من طلب ونواحيها وان يعيد الحكم السلطاني في البلاد المذكورة من قوادها الى خوافيها . فلما جاء الامير المذكور وقَدْرَ عنده الحكم المنصور أرسل الى حكام العباد وراسل الاما في سائر البلاد فاجتمعوا في حماة وجعلها موطنهم وجيماه وذهب هو ايضا اليها ونصب سرادقه عليها . ونهض على بيك من حلب الى هناك وتقابلا وتقاولا وتباولا ، ذاك مع السكبانية الباغين وابن سينا مع عساكر حضرة سلطان المسلمين ، فقدر الله تعالى ان الكسيرة الكبيرة وقعت على جانب عسكر السلطان ، وخرج سيف ابن سينا من الاجفان ولكنه ما عاد اليها بعد الخروج ،

(٤) حول تاريخ جزيرة تبرس في العهد العثماني، انتهى :

Hill, Sir George, A History of Cyprus, vol. iv, Cambridge University Press, 1952, pp. 1-99.

Dakkot, Besim, "Kibris" I. A., vol. vi, PP. 672 - 76. : ۲۷۶۳,

(٤٥) حول النصوص الجغرافية التي تذكر حيفا أنظر ما جمهه الأب مرمرجي الدوينيكي في بلادنية للبلطين ، بيروت ، ١٩٤٨ ، ص ٦٥ . في سنة ١٩٤٥ / ١٥٢٨ م كان عدد سكان حيفا عشرين خانة جبهم من المسلمين وربع حاصلتها المدروزة

للدولة كان يساوي ٧٨١ اتحدة . كما يشار الى وجود اسلكة (بناء) لمها
لخانى الدولة رسوما عن السفن التي ترده ، مدارها الى العبة سنويا ؛
والجدير بالذكر ان البحار الثنائى بيري مهي الدين ريس (ت ١٥٥٤ م) يشير
في وصته لساحل فلسطين الى وجود قلمة مدمرة في حيفا الا ان ميناءها كان
يصلح للرسو ، ويوجه احصاءات سنة ١٠٠٥ هـ / ١٩٦١ م ، كان عدد سكان
حيفا ٢٢ خانة جبיהם من المسلمين ومجموع ما يتحصل منها عشرة آلاف عجة .
الا ان هذا الاحصاء لا يشير الى رسوم الاسلحة ما دد يوحى بأنها كانت مطلقة
كبناء . انتظر طابو دلتري رقم ١٩٢ (استنبول) ، ص ٢ ، طابو دلتري رقم
١٨١ (انتفري) ، ص ١٦ - ١٧ .

Heyd, U. "A Turkish Description of the Coast of Palestine in the Early Sixteen Century", Israel Exploration Journal, vol. vi, (1956), pp.210-211.

"Hayfa" E. I³ . vol. iii, PP. 324 - 26. : ایضاً نظر

راجع بالإضافة إلى ما ذكر أعلاه جيل البحري ، تاريخ حبها ، المكتبة الوطنية ، حبها ١٩٢٢ م .

من أجل مقارنة هنا مع كل من ياما ونامера في القرن السادس عشر انظر مالكى :
Bernard Lewis : "Nazareth in the Sixteenth Century, According to the Ottoman Tapu Registers".

"Jaffa in the 16th Century, According to the Ottoman Tahrir Registers", in Studies in Classical and ottoman Islam Variorum Reprint, London, 1977. PP. 416 - 446.

كاسب للاثام ، وشرع يبيع النساء لرجالها ، وينادي لكل فرقه وعيالها، بلغ الناس في النساء مبلغاً عظيماً وثمناً جسيماً لكن مع الفضيحة الكاملة والحسنة الشاملة التي احرقت القلوب وعَظمت الكروب ، وكان الرجل ينظر زوجته ماسورة ، ويرى جاريته منظورة والمنادي ينادي في كل نادٍ، «منهم من يقدر على الفكاك ومنهم من يسكن من الإشراك في الأشراك»، «ومنهم من يُفْكِّر نفسه دون أهله ففيذهب عنها وقد فقد نور عقله»، فكم من يُبَكِّر جميلة الصورة أصبحت في يد المشركين وهي مأسورة ، وكم من غلام يلوق البدر عند النهار ، وقد ناح عليه أبواه عند الفراق وذاب منها الجسم بشديد الاحتراق»، وذلك من اعظم المصائب وأشدّ النوايب . وأمسا ابن سينا فانه خرج من البحر ضيفاً عند الامير احمد (٤١) ابن المرحوم الامير طرباي ابن الامير علي الحارثي، وهو الان امير لسواء اللجنون (٤٢) فقام اليه مكرّماً ولنزوله معظماً واظهر له ما يليق بامثاله من اكرم الامرا وأمرا الاكرام ، وابرز له ما يساوي

(٤١) حول حياة الشيخ احمد بن طرباي الحارثي ، (٤٢ ت ١٠٥٧ هـ / ١٦٤٧ م) ، امس لسواء اللجنون ودور اسرته في تاريخ سنجق اللجنون بشمال فلسطين منذ او اخر المهد الملوكي، انظر الحبس ، خلاصة الاتس ، م ١ ، من ٢٢١ - ٢٢٢ . كذلك مقالة موسي شارون :

"The Political Role of the Bedouins in Palestine in the Sixteenth and Seventeenth Centuries", in Studies on Palestine during the Ottoman Period, edited by Moshe Maoz, Jerusalem, 1975, PP. 11 - 30.

كذلك دراستي : الأسرة العارثية في مرج بنى مابر ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م - ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م . المذكورة لندوة تاريخ العرب الحديث ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ٢ - ١٢ ابريل ١٩٧٧ ، (تحت الطبع) .

(٤٢) حول لسواء اللجنون انظر دراستي المشار اليها سابقاً خاصة هامش رقم ٤ ، من ٢٥ . ولقد كان هذا اللواء يشمل النواحي التالية : شدا ، ساحل مظيت ، ناحية قصرا وناحية جنين ، لزيد من التفصيل انظر :

Wolf Dieter Hutteroth and Kamal Abdulfattah, Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the late 16th Century, Erlangen, 1977, PP. 157 - 161.

البحار الراخة من المكارم ؛ والحال ان ابن سينا طلَّع الى الامر
 المذكور وليس معه من جماعته سوى سبعة رجال على ما هو
 مشهور (١٥٠ ب) غير ان معه من الاموال مالا يدخل تحت الاحصاء
 ولا يشتمل الاستقصاء ، وارسل على بيك ابن جان بلاد الى الامير احمد
 طرباي رسالة تشمل على ما معناه، انك يا امير احمد اجتهد في قتل
 ابن سينا وجُرِّد في قتله وقتل رحمة وسينا ولک المال باسره وتحزّننا الراس
 بادر بذلك نلا حرج عليك ولا بأس ، وان لم تفعل جوزيت منا بالعتاب
 او بغاية التعزير والعقاب . فما جاب بان هذه الكلمة لا تقال، ومن وقع
 في مثل هذا لعنته لا تُقال ، ليس ذلك من فعل الامرا ولا من شأن
 الاعيان والكبرا ؛ كيف يكون ضيقني وبين الله رحمي وسني ؟ ثم انه
 بادر الى اعداء الخيول المسمومة (٤٨) وتقدیم الضيقات المظلمة وقتل
 له مرحبا بك يا امير واهلا بجودك الخطير ، لو كان لي مال لتجتنمه
 اليك ووضعته بين يديك ، ولكن عندي خيول ليس لها مثيل ولا يتسابقها
 جواد ولا في التمثيل، وفيها جواد جيد قوي ايد جموج ابى ما علا ظهره
 احد بعد ابى ، وهو لك مني عطية راضية مرضية ليس فيها منة
 عليك بل هي نعمة منك اليك ، ثم انه اضانه اياما عديدة وخدّمه خدمة
 سعيدة واكرم متواه واجل ممتاها ؛ ثم انه ارسل الى عسكر الشام
 بطلبهم الى بلاد اللجون فساروا اليه ووردوا عليه ، فسار معهم على

(٤٨) يلاحظ انه عند مودة الامير لخدر الدين المنسى من ايطاليا بناء على موالقة
 السلطات العثمانية سنة ١٠٢٧ هـ / ١٦١٧ م ، الى صيدا عبر مكا ، ان الامير
 احمد الحارني « ارسل كخداة بندبة الخيل ابضا التي ترضيها النساء » .
 راجع الشيخ احمد بن محمد الخالدي الصندي ، تاريخ الامير لخدر الدين
 المنسى ، ص ٦٦ .

طريق حوران (٤٩) ولم يسر على جبّا يو، سة، (٥٠) وارض
كتمان (٥١) خوفا من الامير فخر الدين ابن معن فانه عدوه وعند (٥٢)
اصحاب الضرب والطعن ، فلما دخل الى ارض الشام وجد اهلها في

(٤٩) في اواخر القرن السادس عشر الميلادي كانت حوران تشكل قضاء من ضمن
منطقة دمشق الشام ، وشمل هذا القضاء التواحي التالية : ناحية البطحة ،
ناحية الجولان الاربعين ، ناحية بني مانكة ، ناحية بنس الاعمر ، ناحية بنس
كتانة ، ناحية بنس جبعة ، ناحية بنس مانكة ، ناحية بنس الاعمر ، ناحية
جبدور ، ناحية بنس كلاب ، ناحية بنس مالك الصدير ، ناحية بنس مالك الاشداد ،
ناحية البنية ، ناحية بنس عبد الله ، ناحية بنس صرما ، ناحية بنس مظلة
وناحية بنس نشبة ولبيت نشبة كما جاءت مند Hutteroth انتظر :

Bakhit, M. A. The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century,
Ph. D. Thesis, London, 1972, PP. 85 - 93, (in the press),

واللاحظ ان الاستاذ هورثوت يضيف ناحية اخرى هي ناحية بنس مطبة ، انتظر
هورثوت ، المرجع ذاته ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٥٠) جب يوسف بالقرب من تابلس ؟ ليما يتعلّق بهذا المكان انتظر ما جسمه منه الاب
مرمرجي الدومنيكي ، بلدانية فلسطين ، ص ٩١ - ٥٠ .

(٥١) ارض كمان (الارض المخلفة او الفور) ، كانت في البداية تطلق على بلاد
الساحل قسم اتسع مدلوتها ليشمل بلاد سوريا الجنوبية الغربية باكملها . الا ان
المهوم الجنرالين المسلمين لهذه البلاد كان على الارجح يقتصر على الشمال
الشرقي لبلاد فلسطين . يذكر أبو النداء واديا يُعرَف بوادي كمان فيه ضيقة
تعرف باسم كمرا لا تبعد من جب يوسف اثني عشر ميلا وانها بالقرب من باتلسا .
كما ان الشیخ مدر الدين ابا عبد الله محمد بن عبد الرحمن المشتى الشامي
العناني (ت ٧٨٠ / ١٢٧٦ م) يذكر ملدة يقوله « ابا ملدة للمسما نحصون
منبع بقعة جبل كمان » راجع ياقوت : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٢١١ - ٢١٢ .
٢١٢ ، ابو النداء ، تقويم البلدان ، من ٢١٨ - ٢٢٦ ، من ٢٧٠ - ٢٧١ .

Bernard Lewis, "An Arabic Account of the Province of Safad" BSOAS,
vol. xv, (1953), P. 479.

ليما يتعلّق بالمهموم التوراتي لهذه البلاد ، انتظر :

Smith George Adam, The Historical Geography of the Holy Land,
New York 1907, PP. 4 - 5.

ذلك الخارطة رقم (٢) المرتبطة بكتاب :

Yelvin, Sh., The Israelite Conquest of Canaan, Nederlands Historisch —
Archaeologisch Instituut, Istanbul, 1971.

النیام و تسم في انتظار العـ اکر الـادمة . من الـاطراف لـھـمـوا ، الإـسعـادـ
 منهم والـاسـعـافـ على ابن جـانـ بلاـطـ ومن مـعـهـ من الـاخـلاـطـ کـاـنـ مـعـنـ
 ويـونـسـ (٥٢) ابنـ الـحرـفـوشـ، وـكـلـ منـ باـطـلـهـ خـاـيـنـ مـغـشـوشـ ؟ فـانـھـمـ
 لـاـ کـسـرـواـ جـيـوـشـ ابنـ سـيـفاـ عـلـىـ حـمـاءـ حـرـسـ کـلـ منـھـمـ بـیـتـ المـغـورـ
 وـحـمـاءـ، وـقـصـدـواـ طـرـابـلـسـ الشـامـ مـهـتـکـواـ حـرـیـمـهاـ وـلـمـ بـیـقـ لـھـاـ اـخـتـرامـ،
 وـأـقـامـ بـھـاـ دـرـوـیـشـ ابنـ حـبـیـبـ ابنـ جـانـ بلاـطـ مـدـةـ يـفـسـدـ فـیـھـاـ وـمـعـهـ
 مـنـ الـاخـلاـطـ الـىـ انـ اـصـبـحـ قـاعـاـ صـفـصـفاـ وـمـاـ عـنـھـاـ اـهـلـھـاـ ، فـماـ هـيـ مـنـ
 ظـلـمـھـ عـنـھـ ، لـاـ سـيـئـاـ بـیـوتـ تـوـابـعـ ابنـ سـيـفاـ فـانـھـ قـدـ اـورـثـمـ حـینـاـ، الـھـمـ
 الـاـ قـلـمـةـ طـرـابـلـسـ الـمـحـمـيـةـ فـانـھـ نـجـتـ مـنـ حـوـائـتـ الـبـلـيـةـ، وـمـاـ ذـاـکـ الـاـ انـ
 يـوسـفـ مـمـلـوكـ ابنـ سـيـفاـ حـمـاءـ وـحـصـنـ رـبـعـهاـ وـمـوـطـنـھـاـ وـجـاهـاـ ،
 وـكـانـ يـلـقـيـ مـنـ باـطـنـ الـقـلـمـةـ الـذـکـرـةـ نـيـرانـاـ مـحـرـقـةـ يـخـرـبـ بـھـاـ بـیـوتـ
 اـکـابرـ طـرـابـلـسـ، لـاـ سـيـئـاـ بـیـوتـ التـابـعـینـ لـابـنـ سـيـفاـ . وـلـاـ وـصلـ دـرـوـیـشـ
 ابنـ حـبـیـبـ الـىـ طـرـابـلـسـ الشـامـ وـأـوـلـىـ الـىـ اـهـلـھـاـ ماـ قـدـرـ عـلـیـھـ مـنـ
 التـعـدـیـ وـالـاـلـامـ ذـھـبـ عـلـیـ بـیـكـ ابنـ عـمـهـ وـابـنـ مـعـنـ الـىـ نـوـاحـیـ بـلـبـلـیـ
 فـاـخـرـقـوـاـ رـیـضـھـاـ وـنـهـیـوـاـ الـدـیـنـةـ وـمـاـ قـدـرـوـاـ عـلـیـھـ مـنـ قـراـءـاـ، وـاسـتـمـرـوـاـ
 رـاحـلـیـنـ الـىـ انـ اـسـتـقـرـوـاـ فـیـ الـبـیـتـ وـانـزـلـوـھـاـ فـیـ الـخـضـیـفـ بـعـدـ الـبـیـاعـ،
 وـلـنـذـکـرـ فـیـ اـنـتـاءـ هـذـهـ الـحـکـایـةـ (ـالـتـیـ) تـوـجـبـ غـایـةـ الـتـکـلـیـةـ، وـھـیـ انـ
 الـامـیرـ مـوـسـیـ اـبـنـ الـحرـفـوشـ اـمـیرـ الـاـمـرـاءـ وـدارـ الـاـمـاجـدـ الـکـبـرـاـ مـخـرـ بـنـیـ
 الـحرـفـوشـ بـالـاتـنـاقـ، بلـ هـوـ نـحـرـ اـمـرـاءـ الشـامـ عـلـىـ الـاـطـلـاقـ، کـرـمـ لاـ بـیـارـیـهـ
 الـغـنـامـ وـعـمـدـ صـادـقـ الـعـقـدـةـ فـیـ غـایـةـ الـابـرـامـ وـشـجـاعـةـ فـاقـتـ عـلـیـ
 الـاـسـوـدـ وـأـصـلـتـ عـلـیـ کـلـ ذـیـ أـصـلـ یـسـودـ ، نـھـضـ مـنـ بـلـبـلـیـ وـھـوـ
 حـاـکـمـھـاـ الـىـ نـوـاحـیـ حـمـصـ مـسـتـقـبـلـاـ لـابـنـ جـانـ بلاـطـ وـجـیـوـشـهـ ، مـدارـاـ

(٥٢) جاءت في النص يـوسـفـ بـنـ الـحرـفـوشـ، وـالـسـعـّـانـ کـانـ اـمـیرـ بـنـ حـسـینـ بـنـ
 مـوـسـیـ الـحرـفـوشـ الـذـیـ اـصـبـحـ «ـاـمـنـ بـلـاـ بـلـبـلـیـ» بـدـلـ عـمـهـ الـامـیرـ مـوـسـیـ بـنـ عـلـیـ
 الـحرـفـوشـ الـذـیـ کـانـ ذـاـ بـیـولـ سـتـیـةـ، وـتـدـخـلـ للـصلـحـ مـاـ بـینـ عـلـیـ بـنـ جـانـ بلاـطـ مـنـ
 جـهـةـ وـمـاـ بـینـ يـوسـفـ بـاـشـاـ سـيـفاـ مـنـ جـهـةـ اـخـرـیـ، الاـ اـنـھـ لـشـلـ فـیـ مـهـمـھـ وـھـرـبـ بـعـدـ
 يـوسـفـ بـاـشـاـ سـيـفاـ وـانتـسـرـ الـبـورـيـنـیـ، تـرـاجـمـ الـعـمـیـانـ ، مـ ٢ـ ، مـ ٢٧٥ـ ، اـیـضاـ
 وـرـقـةـ ١٤٨ـ بـ ١١٦٦ـ ، المـبـسـیـ ، خـلـامـ ، مـ ٤ـ ، مـ ٤٢٢ـ ، مـ ٤٤٢ـ

عن عرضه ومحاماته عن ارضه، فتحادنا وتقاولا وتشاورا فيما صدر وتجاوزا، فقال الامير موسى هلا تعطيني عهدا على الصلح به جرح الخراب يوسي ، وانا اذهب الى الشام وأخذ لك العهد الوثيق من الانام؟ فقال اذهب سليما ولكن يا موسى كلبيا ؟ فحضر الى الشام ورمي من عسكرها بغاية الكلام لشدة ما اوجعوه بغيظ الكلام ظنا من جهلائهم انه عليهم، وما كان الا ناويا سوق الخبر اليهم ، (١١٥١) لما حضر الى امير الاما قال له بما قد جئت على قدر يا موسى فجرد سيف عزتك لعله يذهب البوسي، فقال يا امير الاما : ابن جان بلاط يطلب منك ان تعطوا حوران لعمرو (٥٢) البدوي من العرب المفارقة، والبقاء العزيزي لابن الفريخ (٤)، منصور بن بكري، وأدخلوا

(٥٢) عمرو البدوي هو عمرو بن جبر شيخ مشيرة المارجة ، حلبة خير الدين المعنى ، كان رشيد بن سلامة بن نعيم شيخ المردبين من المارجة يناله على المشيخة في حوران، وكان رشيد موضع مطر الدولة العثمانية ، حيث اعطي سنة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م ، المشيخة بحوران ، حول دورها في معركة الصراع القيسى - البيضى ، انظر البوريقى ، المصدر ذاته ، م ٢ ، من ٢٢٤ - ٢٢٥ ، من ٢٢٢ - ٢٢٣ ، انتظر كذلك نفس البوريقى الموجود في مكتبة جامعة ليدن باسم : كراسنان تُبَطَّلَتْ من خط الشيخ حسن البوريقى Cod. or. 1515 ورقة ١٤ ، حيث ان هذا النص يتفق مع النص الذي نشره صلاح الدين المنجذب في هامش من ٢٢٥ من المجلد الثاني ، راجع ايضاً الشيخ احمد الخالدي الصندي ، المصدر ذاته ، من ١١ ، م ٩ ، ٨ ، من ١٠ ، ٤ ، ٣ ، من ١٢ ،

(٤) الامير منصور بن الفريخ (ت ١٢ ربيع الثاني ١٠٠٢ هـ / ٦ كانون الثاني ١٥٩٤ م) قُتل في دمشق بأمر من السلطان بناء على رغبة والي دمشق آنذاك مراد باشا ، ولقد كان أمير البقاء العزيزي بعد القضاء على أسرة آل الحنش البدوية السنية اعطي حكومة نابلس وإمارة الحاج والتزم أموالاً للدولة على صدف ، كان يقتدف الدروع والمنين خاصة : ترك عشرة اولاد اكبرهم فرقاس الذي قُتل على يد الامير موسى بن الحروش في ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٤ م ، باليماز من خير الدين المعنى بعد أن رفض الامير يوسف باشا سينا ايواجهه . من هنا نرى أن منصور بن الفريخ قد قُتل قبل هذه الحوادث . ولربما اختلط الامر على الناسخ مخلطا ما بين اسم ابن الفريخ واسم الامير مروخ بن عبد الله الجركس امير الحاج الذي تولى حكومة نابلس وعجلون والكرك سنة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م ، وإمارة الحاج . ولم يزل في هذا المنصب الى ان مات بمكة المشرفة في سنة ثلاثين والد

كيوان «٥٥» الى الشام كما كان ، واكتبا عرضاً بسان ابن جان بلاط لم يدخل الى ارض الشام ، وان ابن معن فخر الدين يؤدي ما عليه من مسال السلطان، وببلاده موصونة بالامان ؛ فعُتَّدَ امير الامراً ديواناً لهذه المطالب ، التي جاء الامير موسى وهو لها طالب ، فانتقدوا على ان حوران تعطى لعمرو ولكن في السنة القابلة، وأما البقاع فان اعطاءه لنصور المذكور غير معقول ، لكونه عند الرعايا غير مقبول ، وأما كيوان فانه يرجع الى الاوطان وعليه ما على الناس من الامان ، واليدين من جانينا لازمة لجميع الاخوان وقد كنت حاضر (١) ففي الديوان بدعة من وكيل السلطان، فقال امير الامراً وهو الوكيل للفتير العليل : اكتب لنا صورة مكتوب الى ابن جان بلاط وابره بما جرى عليه الانتقام من قبول دخول كيوان والعنف عنه وعن ذنبه «ومن وعده باعطاؤه (جاءت بااعطا) حوران ، لعمرو في السنة القابلة، ومن الاعتذار من عدم اعطاء البقاع لنصور بن الفريح ابن بكري، وأخيه بأن الحضر سيصل اليه بما طلب في حقه وفي حق ابن معن . فلما انقض الديوان على ذلك وقع الانتقام على ان يحضروا في اليوم الثاني الى بيته رجل من الجناد الشامي يقال له تركمان (٦١) حسن فاجتمع

- (١٦٢٠ م) انظر احمد الخالدي الصندي ، المصدر ذاته ، من ٧ ، من ٨ ، من ٩ ، من ١٦ ، من ٢٧ ، من ٢٥ ، الغزي ، لطف السمر ، ورقة ٢١٢ ب - ٢١٢ ، المحبس ، المصدر ذاته ، ٣ ، من ٢٧١ ، ٤ ، من ٤ ، من ٢٦ - ٢٢

(٥٥) كيوان بن ميد الله (ت ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٢ م) زعيم الجناح العسكري بدمشق المتعاون مع فخر الدين المعني ، كانت نهاية ملء يد فخر الدين نفسه « حول دوره في معركة المراعع ما بين العسكرية في دمشق واستقلال المسر للصراع القبسي - البيضي في مراععهم ذلك ، انظر الغزي ، لطف السمر ، ورقة ٢ ب - ٢٠٢ - ٢١١ ، ب ، المحبس ، المصدر ذاته ، ٣ ، ٢ ، من ٢٦ - ٢٢

(٥٦) تركمان حسن المقصود به حسن باشا ابن ميد الله الابن الكبير المرور بشوزيرة حسن من صدور دمشق واعيانها الذي كان يرجع اليه في المهمات ويحمل عليه في الابور، وكانت تناظر به امور دمشق عند غياب ولاتها . توفي سنة ١٠٢٧ هـ / ١٦١٧ . احتل ابنه محمد دوراً مماثلاً الى حين وفاته سنة ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م « حول حياته انظر ، الغزي ، لطف السمر ، ورقة ٢٩ ب ، ١٣٠ ، المحبس ، المصدر ذاته ، ٣ ، ٢ ، من ٢٦ - ٢٧ ، ٢ ، من ٢٧ ، من ٤٤ - ٤٢٨ .

الجندي كله في بيته الجندي المذكور ما عدا الوكيل الابكر عن السلطان
 وقاضي القضاة فانهما ما حضرا ولا استحضر اتفاقاً. فوقع الاتفاق على كتابة
 مكتوب مرغوب خطاباً لعلى يد ابن جانبلات بما سبق من الاتفاق،
 وعلى كتابة ديباجة محضر بان المذكور ما وطئ أرض الشام، وان ابن
 معن يوصل مال السلطان في مطلعه ، وبلاه آمنة الطرقات . مما
 المكتوب فقد كتبه وختمه اعيان الجندي وأما المحضر فانه عرض على
 الشيخ محمد بن سعد الدين ^(٥٧) فما قبل معناه ولا رضي بفحواه
 وأبرق وأرعد وما وعد ، بل توعد و (قال) انا انا لا اكتب هذا ولا ارتضيه ولا
 اقبله ولا اخفيه ؟ فرجع الامير موسى الى ابن جانبلات بغير المراد ،
 فعند ذلك قال ابن جانبلات ما يظهر مقامي عند جند الشام الا باظهار
 البرهان ، واظهار السيف البارقة والخرسان ^(٥٨). وقام من يومه
 قاصداً بلاد بعلبك وببلاد البقاع، وتخييب الاماكن والبقاع ؛ وأما الامير
 موسى ابن الحرفوش فانه استمر هارباً من ابن جانبلات الى دمشق
 فأخبرهم بأنه ترك الجماعة قاصداً للموت على الطاعة ، وافتضى
 حضوره الى دمشق حضور جند ابن جانبلات وحشرات ابن معن الى
 بعلبك فنهبواها ، والى من بقي من النساء والرجال ففرقوها ، وخيم
 ابن جانبلات وابن معن في البقاع العزيزي ، وانحاز اليهم يونس بن
 الحرفوش ومن معه من اولاد عميه مفاضباً لحضرة الامير الكبير ذو
 القدر الخطير الامير موسى ابن عم يونس المذكور ، وخرج الجندي
 الشامي الى الميدان الاخضر بدمشق وخيموا هناك، واستحضروا
 سنجق القدس وسنجق نابلس وسنجق غزة وسنجق اللجون وسنجق

(٥٧) الشيخ محمد بن سعد الدين الجياوي (ت ١٠٢٠ هـ ١٦١١ م) تبيّن الطريقة
 الجياوية بدمشق كان ملائكة كبيراً ، وكان يتوسط لدى الحكم نيابة من الرمية
 خاصة عند زيادة الضرائب، لمزيد من التفصيل حول حياته راجع البورياني ،
 المصدر ذاته ، م ١ ، من ٢٥ - ٢٦ ، الغزي ، لطف السمر ، ورقة ٦ ب -
 ١٧ ، المحب ، المصدر ذاته ، م ٤ ، من ١٦٠ - ١٦١

(٥٨) خرمان : جاءت خرمان ، أما الخرمان فهي الرياح ، انظر لسان العرب ،

عطلون، أما مقد فانها كانت مع فخر الدين بن معن وهو كان مع المخالفين الخارجين، ولم تزل الجندي تتزايد في دمشق، وكذلك عسكر الخوارج فانه ايضا كان يزيد وترددت الرسل في الصلح من الجانبين مما حصل اتفاق، واختلفت آراء الجندي الشامي فمنهم من كان يهيل الى الصلح ومنهم من كان يهيل الى القتال حتى ان ابن جان بلاط ارسل من خوارجه جماعة الى دمشق (١٥١ ب) يطلبون الصلح مما رضي بذلك راس جاويشة العسكرية وهو محمد الشهير بابن الدزدار^(٩) وخرج العسكرية الشامي من الميدان الاخير الى مكان يسمى العراد^(١٠) وزحف ابن جان بلاط وابن معن ومن معهم الى مقابلة العسكرية الشامي ومع ذلك ايضاً ابن جان بلاط كان يُظهر اراده الصلح، مما وافق على ذلك ابن الدزدار المذكور ومن تبعه من الجندي الشامي، والقدرة غالبة ويد الله غالبه . وفي اواسط جمادى الآخرة من شهور سنة خمس عشرة بعد الالف زحف الفريقان، ووقع بينهما القتال، فما ناتت ساعة او قريب من ساعتين واذا بالعسكر الشامي قد رهب نهر، مع كثرة عدده ووفور عدده . وبالله لقد اخبرني من رأى الفريقين ان خيل اهل الشام حزرت وكانت تناهز اربعين ألف فرس، وكانت عددهم وآلية (جاءت الت) حربهم في غاية القوة والمتانة، ولكن جند الله غالب وقدره سالب؛ ولما هرب اهل الشام انقسموا مرتقين، موحدة ذهبت الى اذرعات^(١١) في اواخر ارض حوران هربا من ابن جان بلاط

(٩) لم اعلم له على ترجمة في المصادر التوارية لمني .

(١٠) العراد تقع الى الجنوب الغربي من دمشق .

(١١) اذرعات ، كانت في المهد الطالبي كما نقل ابو اللداء من حسين بن احمد الملبسي (ت ٢٨٠ / ٥١٠ م) صاحب كتاب المسالك والملك المسروق بالعزيزى ، « مدينة كورة البتيبة » . ويدرك ياقوت أنها بلدة في اطراف الشام وجاور ارض البلقاء وهما ينبع الاسم الغمر . في القرن السادس عشر كانت تقع في ناحية بني ملمسد . وذكرها دناثر الطابو باسم « قبة مدينة الرمات » وانها كانت خاصه بمرسوان . بلغ عدد سكانها حوالي سنة ١٥٤٣ / ٦٩٢ م ثماني عشرة خانة سللة ، ليرتفع عدد سكانها حوالي سنة ١٥٤٢ / ٦٩٠ م الى ثمان وأربعين خانة سللة وخمسة مئتين وثلاثة مئوية واحدة ،

وابن معن، واخرى رجعت الى الشام. والراجعة الى الشام قسمان،
القسم الاول ساروا متفرقين مشتتين، والقسم الثاني مكتوا في دمشق
محاصرین، وغلقت الابواب وتهيأ من بها للحراب؛ فقصدها حزب العدو
ونهوا ما كان خارج سور من المساجد والخانات والاسواق والدور،
وانبتت الخوارج الأشقيا في البيوت الواقعة خارج دمشق، وأخذوا
الأسباب عن آخرها الا قليلاً تَجْبُوا تحت الأرض، وأسروا كثيراً من
الأولاد وتحاموا الحريم من النساء؛ وذهب ابن سعد الدين الشيخ
محمد الى ابن جان بلاط وهو نازل على قرية المزة^(١) فما قابله
بالغزة، وطلب منه حامياً يحمي محلة المعروفة بالقببيات^(٢) فاعطاه

= انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، م ١ ، ص ١٧٥ - ١٧٧ ، ايسو اللداء ،
لتويم البلدان ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، طابو دفتری ٤٠ (استنبول) ، ص ٥٥٥
طابو دفتری ٤٠١ (استنبول) ، ص ٦٧٠ .

(١) المزة بالكسر نم التشدید .. وهي قرية كبيرة غناء في وسط سهليين مشق
ويقال لها مزة كلب . كان عدد سكانها في النصف الاول من القرن السادس عشر
على النحو التالي :

طابو دفتری رقم (٤٠١) (٤٦٢) (ح ٩٥٠ / ١٥٤٢ م) استنبول (١٥٨ / ٩٥٥ م) خانة مسلمة (١٥٠) خانة مسلمة (٢٦٢) خانة مسلمة (٢٥) مجرد مسلم (—) (١) خانة مسيحية (٢) خانة مسيحية طابو دفتری رقم (٤٠١) ص ٦٠ - ٦١ طابو دفتری رقم (٤٦٢) ص ١٨٢ - ١٨٥	طابو دفتری رقم (٤٠١) (٤٦٢) استنبول (١٥٨ / ٩٥٥ م) خانة مسلمة خانة مسلمة (٢٦٢) خانة مسلمة مسلم (—) خانة مسيحية (٢) خانة مسيحية طابو دفتری رقم (٤٠١) ص ٦٠ - ٦١ طابو دفتری رقم (٤٦٢) ص ١٨٢ - ١٨٥
--	---

ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٥٢٢

(٢) القبيبات : يُمْرِّنُها الشيخ محمد احمد دهمان بانها « محلة مشهورة في الميدان
قرب الجامع الكريسي « جامع الداسق » سميت بذلك لأن أكثر بيوتها ذات بباب
ولا يزال بعضها باقياً إلى الآن ». انظر الثالثة الجوهرية في تاريخ الصالحة
لابن طولون ، م ٢ ، تحقيق الشيخ دهمان دمشق ١٩٤٩ ، م ١٩٥٦ ، م ١
من ١١٠ (المامش) . كان عدد سكان هذا الحي بموجب دائرة الطابو على
النحو التالي :

طابو دفتری (٤٠١) (٤٦٢) (ح ٩٥٠ / ١٥٤٢ م) خانة مسلمة (٢٦٢) خانة مسلمة (٢٧٢) خانة مسلمة (٢٧١) خانة مسلمة (١٢) مجرد (٦) مجرد (١) خانة مسيحية (١) خانة مسيحية ص ٤٤ - ٥	طابو دفتری (٤٠١) (٤٦٢) (٩٧٧ / ١٥٦٩ م) خانة مسلمة (١٥٨ / ٩٥٥ م) خانة مسلمة (٢٩٨) خانة مسلمة (٢٧١) خانة مسلمة مسلم (—) خانة مسيحية (٢) خانة مسيحية ص ٤٢ - ٨
--	--

ص ٧٢ - ٧١

رجلان من السكبانية يقال له عقيل فمكث عنده حامياً بيته وحده ، ولم يُقم بيته من القبيبات سوى بيته. على أن بيته قد أخذ منه خيله وبفاله ودوابه وغالب ماله فقد كان الحامي يحمي لنفسه . أما أهل القبيبات فقد غدروا من شيخهم المذكور لانه قاتل لهم من رفع يده للقتال كان من المقتولين ، فألقوها سلاحهم وظنوا أنهم يُرْحَمُون بترك قتالهم؛ فما كان القاتل السلاح الا سبباً لخراب البيار وعدم حماية النمار ، فاجتمع عليهم الذلة والجبن ونهاية المال وبعض الاولاد، والله تعالى ينتقم من اهل الغرور والعناد ، واستمر النهب في الحالات الخارجية عن سور دمشق ثلاثة أيام ولم يبقوا صامتاً ولا ناطقاً ولا ولداً صغيراً من أهل الاسلام، وما نجا سوى اهل محلة الشاغور (٦٤) فانهم حاربووا الخارج خارج السور وقتلوا منهم ما يزيد على ثلاثة رجالاً بالخصوم. وقد قتل من الخارج في الأيام الثلاثة في نواحي بساتين دمشق وعلى ابوابها وبين بيوتها ما يقرب من المائة رجل ، وغالب القتل كان من شباب دمشق وأحداثها . وأما ابن سينا فإنه ما خرج مع الجندي الشامي إلى القتال، واستمر محتجباً في البيوت مع النساء لا الرجال زاعماً أنه مريض؛ فلما بلغته كسر العسكرية خاف وعمّ اعضاء الارتجاف

(٦٤) الشاملور ، أحد الأحياء التاريخية لمدينة دمشق ، تذكر دفاتر الطابو الشاغور البرانسي والشاغور الجوانى. وكان عدد سكانها كما يلى :

١ - الشاملور البرانسي

طابو دفترى (٢٦٢)	طابو دفترى (٠١)	طابو دفترى (٧٤)
(٥٣٦) خاتمة مسلمة	(٢٦١) خاتمة مسلمة	(٥٥٩)
(١٧) مجرد مسلم	(—)	(٢٢) مجرد
(٤) خاتمة مسيحية	(—)	(٢) خاتمة مسيحية
من ٩٢ - ١١٠	من ٨٢ - ٨٨	من ٢٦ - ٢١

ب - الشاغور الجوانى

طابو دفترى (٢٦٢)	طابو دفترى (٠١)	طابو دفترى (٧٤)
(٢٠١) خاتمة مسلمة	(٢٦١) خاتمة مسلمة	(٤٢٧)
(٨٨) مجرد مسلم	(١٦) مجرد مسلم	(٢٠) مجرد مسلم
(٤) خاتمة مسيحية	(٤) خاتمة مسيحية	(٦) خاتمة مسيحية
من ٨٧ - ٩٢	من ٨٨ - ٩٢	من ٢٩ - ٢٢

فوزن لقاضي دمشق وبعض اعيانها ما يزيد على مائة الف درهم، وهي التي كانت سبباً لخلاص المدينة من حصار ابن جان بلاط وابن معن؛ وذلك انه اعطى المال المذكور وفتحت له ابواب دمشق لبلا ونجا برأس حراء، ونجا وخرج مع البازي عليه سواد وسار معه بعض الجندي الشامي، وسار معه ايضاً المرحوم الامير موسى ابن الحرموش؛ ولم يزالوا معه حتى وصل الى حصن الاركاد^(١٥) واستحسن به لانه كان محفوظاً مع عمه الامير محمود ابن سيفاً، وقبض ابن جان بلاط المال (١١٥٢) الذي اعطاء ابن سيفاً ورحل عن دمشق بعد الايام الثلاثة، وذهب متوجهاً الى نواحي حلب، وسيشرب في مجلسه ما جلب وحلب، وللقصة تتمة مفيدة تذكر ان شاء الله تعالى في هذا الكتاب بالخصوص لأنها مشرورة في نصل بها مخصوص، والله اعلم.

(١٥) يذكرها ياقوت في مهد بقوله « حصن الاركاد على الجبل المقابل » وهو بين بعلبك وحمص، وكان بعض امراء الشام قد بنى في موضوعه برجاً وجمل فيه قوماً من الاركاد طليعة بينه وبين الفرنج وأجرى لهم ازماقاً تدبّرها باعاليهم ثم خالوا على انفسهم في لحارة فجعلوا يعنونه الى ان صارت لهم حصينة منتهرة عن كثير من خواريثم، انتازوها ببابه الاركاد منهم ورجعوا الى بلدهم، وكله الانزعج وهو في ايديهم، ويذكر ابو الداء انه كان مقر ولاية السلطنة قبل دفع ساحبها انتزاعها من ايديهم، ويذكر ابو الداء انه كان مقر ولاية السلطنة قبل دفع طرابلس، اما الطقشندى فيذكر انه احدى نيايات مملكة طرابلس الشام ونيايتها امرة عشرة ورسم المكتبة للنائب، النائب بحصن الاركاد، ياقوت، سمع الجبلان، م، ٢٢٦، ص ٢٧٦، ابو الداء، كتاب تقويم البلدان، ص ٤٠٩، الطقشندى، صبح الاعمال، م، ٤، ص ٤٨٥، م، ٤٢٥، راجع من حصن المسادة التي اوردها ميز الدين بن شداد (ت ٦٨٤ / ١٢٨٥ م)، من حصن الاركاد في كتاب «الاماكن الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزر»، تحقيق سامي الدهان، منشورات المهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٢، الجزء المتعلق بلبنان والاردن وللسطين، ص ١١٥ - ١٢٠.

انظر كذلك :

التقرير السنوي الاول

لجمع اللغة العربية الاردنية لعام ١٩٧٧ م

اولا : - الخطوات التأسيسية

صدر قانون مجمع اللغة العربية الاردنية رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦ م، في عدد الجريدة الرسمية رقم (٢٦٤) تاريخ ١٩٧٦/٧/١ م.

وفي اليوم الأول من شهر تشرين الأول سنة ١٩٧٦ بدأ المجمع بخمسة اعضاء ، عيّنهم مجلس الوزراء ، بناءً على تعيين من وزير التربية والتعليم ، وفقاً للفتوى (ب) من المسادة (٢٠) من القانون المذكور ، نكانوا هم النواة لمجلس المجمع ، والمكتب التنفيذي الأول له . واقترن قرار التعيين هذا بالإرادة الملكية السامية .

وعقد مجلس المجمع اجتماعه الأول برئاسة وزير التربية والتعليم ، وانتخب رئيساً له ، ونائباً للرئيس ، ونسب الى السيد الوزير تعيين امين عام للمجمع : فكان الدكتور عبد الكريم خليفة رئيساً للمجمع ، والدكتور محمود السرة نائباً للرئيس ، والدكتور محمود ابراهيم والدكتور سعيد التل عضوين . وصدر قرار وزير التربية والتعليم بتعيين الأستاذ عيسى الناعوري اميناً عاماً للمجمع .

وصدرت الإرادة الملكية السامية بتعيين الدكتور عبد الكريم خليفة رئيساً للمجمع .

هذه كانت الخطوات الأولى والأساسية لتأسيس المجمع ؛ وهو المجمع الرابع في العالم العربي ، بعد مجمع دمشق ، ومجمع القاهرة ، ومجمع بغداد . والقانون رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦ م يحدد

اهداف المجتمع في المادة (٤) منه ، كما يحدد في المادة (٥) الوسائل التي يحقق بها المجتمع هذه الاهداف .

ثانيا :- مقر المجتمع وانتظام العمل

من ١٠/١/١٩٧٦م الى ١٩٧٧/٧/١ لم يكن للمجتمع مقر خاص به ، يستطع ان يمارس فيه عمله بانتظام وفعالية . وكان يأمل ان يكون مقره المبني القديم لمجلس الأمة ، فهو خير مكان يمكن ان يصلح للمجتمع . ومن اجل ذلك قام رئيس المجتمع بمقابلة دولة رئيس الوزراء ، ثم تشرف الرئيس واعضاء المكتب التنفيذي بمقابلة جلالة الملك العظيم . وقد تفضل جلالته بابداء اهتمامه الكريم بالمجتمع ، وبرسالته السامية ، وقال جلالته انه يمنع المجتمع دعمه المطلق ، ووعد جلالته بدراسة موضوع المبني القديم للمجلس .

وخلال هذه الفترة لقي المجتمع من الجامعة الاردنية رعاية مشكورة ، ومساعدات ثمينة سهلت له ممارسة مهمه والضروري من اعماله : فكان المكتب التنفيذي ومجلس المجتمع يعقدان اجتماعاتهما في رحاب الجامعة ، كما كان قسم كبير من اوراق المجتمع ومحاضر جلساته يطبع ويُستحب على الآلة الناسخة في الجامعة نفسها ، وبوسائل الجامعة ، وبواسطة بعض موظفيها .

وفي ١٩٧٧/٦/١ وقع اختيار المجتمع على مبني مناسب في جبل الحسين ، ناستأجره بمبلغ (عشرة آلاف ديناراً سنوياً) . ومضى يؤثره بالعاجل الضروري من الأثاث لضمان انتظام عمله ، كما عينَ المجتمع ثلاثة موظفين : واحداً للمحاسبة واللوازم ، وواحداً لاعمال الديوان ، والثالث كاتب لوازم ويساعد الاثنين ؟ وعُيّن كذلك اثنين من الأذنة ؟ وطبعت اوراق وملفات وملفات خاصة بالمجتمع . ولم يستكمل المجتمع اثنانه ولوازمه بعد .

وانتظم العمل في مقر المجتمع ابتداء من ١٩٧٧/٧/١ ، واخذ المكتب التنفيذي ومجلس المجتمع يعقدان جلساتهما في المقر الجديد .

وتد انضم الى عضوية المجتمع ستة اعضاء في بادئ الامر ، وعضوان بعد ذلك ، نسبهم مجلس المجتمع ، ومدررت بتعيينهم اراده ملكية سامية ؟ فما يصبح عدد اعضائه الان ثلاثة عشر عضوا .

ثالثا : - موازنة المجتمع

خلال الاشهر الثلاثة الاولى من تأسيس المجتمع - وهي الاشهر الثلاثة الاخيرة من العام المالي ١٩٧٦ - حُولت مخصصات لجنة التعريب والترجمة والنشر من وزارة التربية والتعليم الى حساب المجتمع . وقد بلغت تلك المخصصات (١٤٢٠٠) لريمة عشر الفا وثلاثمائة واربعة عشر دينارا وبسبعين وخمسين فلسا .

وفي العام المالي ١٩٧٧ قرر مجلس الوزراء تخصيص اعانته سنوية للمجمع في الموازنة العامة مقدارها (٦١٠٠٠) واحد وستون ألف دينار ، تسلمها المجتمع من وزارة المالية على اربع دفعات ، قيمة كل منها (١٥٢٥٠) خمسة عشر الفا ومئتان وخمسون دينارا .

وتلقى المجتمع ، بفضل مؤازرة العضو الدكتور محمد سعيد النابلسي ، محافظ البنك المركزي ، تبرعا من البنوك المحلية مقداره (٩٨١٢٥٠٠) تسعة الاف وثمانمائة واثنتا عشر دينارا وخمسين ملسا .

وعند إعداد الموازنة ، في اواخر عام ١٩٧٦ ، للعام المالي ١٩٧٧ ، طلب المجتمع رصد مبلغ (١٠٠٠٠٠) مائة الف دينار لبناء مقر له ، فلم يرصد المبلغ في الموازنة .

وهكذا تأخر بناء مقر المجتمع ، وسيعاد طلب رصد هذا المبلغ للعام المالي القادم . وقد قام رئيس المجتمع اخرا ، مع عضو المجتمع الدكتور اسحق فرحان ، بمقابلة دولة رئيس الوزراء ، وبحثا معه في موضوع البناء، فوعد دولته بالاهتمام به .

رابعاً : - اعمال المجتمع ومشاريعه

١ - رغبة في انتظام العمل في المجتمع ، قام المكتب التنفيذي بوضع مشاريع الأنظمة التالية : استناداً إلى الفقرة (د) من المادة (١٢) من قانون المجتمع :

- ١ - النظام المالي .
- ب - نظام الموظفين والمستخدمين .
- ج - نظام اللوازم .
- د - نظام علاوات الانتقال والسفر .

وقد رفعت هذه المشاريع بواسطة وزير التربية والتعليم الى مجلس الوزراء لاقرارها ، فأحالـت الى ديوان التشريع ؛ وقام الديوان بدراستها واعادة صياغتها ، ثم أعيـت طباعتها بصيغتها النهائية التي أقرـها ديوان التشريع . ولكنَّ هذه الأنظمة لم يتمَّ إقرارـها بعد في مجلس الوزراء رغم مضيَّ بضعة أشهر على رفعها اليـه .

وفي المقابلة التي تمتُّ أخيراً بين دولة رئيس الوزراء ورئيس المجتمع ، والدكتور أـسـحق الفرـحان ، جـرى البحث في موضوع الأنظمة المتـأخرـة ، وأهميتها بالنسبة الى انتظام عمل المجتمع . موعد دولـته بالعمل السـريع على اصدارـها .

وقد أـعـد المكتب التنفيذي كذلك عـدـداً من مشاريع التعليمات الداخلية التنظيمية ، وهي تنتظر صدور الأنظمة المـذـكـورة آنـفاً لكي توضح موضوع التنفيذ .

٢ - من أهم المشاريع التي انصرف اليـها المجتمع مشروع تعريب التعليم العلمي الجامعي . وقد ناقش هذا الموضوع في ثلاثة اجتماعات من اجتماعات مجلس المجتمع ، كما بحثـه في اجتماعات أخرى من اجتماعات المكتب التنفيذي .

وقد قدمَ الدكتور أحمد سعيدان مذكرة اقتراح فيها اسماء عدد من الكتب الممكن الشروع في ترجمتها ، واقتراح كذلك اسماء المترجمين ، وقدّر تكاليف الترجمة . موافق عليها مجلس المجمع ، كما عرض الامر على جامعة اليموك لعرفة رايتها ، فأيدت المشروع ، ووعيت بالمشاركة في الترجمة . ويرجى الشروع في الترجمة قريبا ، بالتعاون مع الجامعة الاردنية وجامعة اليموك ؟ ونأمل ان نجد تعاونا كافيا من سائر الجامعات العربية ، لكي تصبح اللغة العربية في وقت قريب لغة التعليم العلمي الجامعي في العالم العربي باسره .

٢ - وتعاونَ المجمع كذلك مع الجامعة الاردنية ، ولا سيما كلية التربية فيها وعمادة البحث العلمي والدراسات العليا في الجامعة ، لإنجاز مشروع حصر المفردات المستعملة في المرحلة الابتدائية . وقد تمَ المشروع في وقت قصير ، وأرسِلت الاوراق كاملة الى الجزائر ، حيث يتم الالشراف على تنسيق المشروع باكمله في العالم العربي . وقد أشرف على انجاز هذا المشروع الأستاذ عبد الله عويدات ، من كلية التربية في الجامعة الاردنية ؟ وكان تمويل المشروع من الجامعة نفسها ، في حين دفع المجمع مكافأة مالية للمشرف على المشروع مقدارها مائة دينار .

٣ - ورغبةً في المساعدة على تعريب المصطلحات في دواوين الدولة ومؤسساتها ، كتب المجمع الى جميع الوزارات والدوائر والمؤسسات الاردنية لتزويده بما لديها من مصطلحات اجنبية ، ليقوم بتعريفها ، والاتفاق بعدئذ مع الماجمِع العربي الآخر على توحيد مصطلحاتها في جميع البلدان العربية . وقد استجاب لهذه الدعوة عدد من الوزارات والدوائر ؟ وسيتمهد المجمع قريبا الى لجنة المصطلحات بتولّي هذه العملية بالتعاون مع الدواوين المعنية .

٥ - ومن اهم المشاريع التي يعمل المجمع الان جاهدا لأجل تنفيذها اصدار مجلة باسم (مجلة مجمع اللغة العربية الاردنى) لان هذه من الدعائم المهمة التي يقوم عليها المجمع ، ويؤدي عن طريقها رسالته العلمية واللغوية . ويأمل المجمع ان يصدر العدد الاول منها قبل نهاية العام الحالى^(١) . ومن اجل ذلك طلب المجمع الى جميع اعضائه ، والى الجامع الشقيقة ، المساهمة في تغذية المجلة بالبحوث والدراسات.

٦ - تلقى المجمع عدة دعوات من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومن الجامع الشقيقة ، وبعض الجهات الثقافية الاخرى ، وشارك في المؤتمرات والمناسبات الثقافية التالية :

ا - مؤتمر التعريب الثالث في طرابلس / ليبيا .

ب - مهرجان جمع دمشق بمناسبة مرور مئة عام على مولد مؤسسه الرئيس محمد كرد على .

ج - مؤتمر الدراسات العربية والإيطالية في البندقية وفي باليرمو / ايطاليا ١٩٧٦ .

د - نابين المرحوم خير الدين الزركلي في دمشق .

ه - حفلة استقبال الاستاذ احمد راتب النفاخ بمناسبة انتخابه عضوا في مجمع دمشق .

و - مؤتمر الدراسات الإيطالية / العربية في ايطاليا ، ١٩٧٧ .

وبمشاركة اعضاء من المجمع كذلك في مهرجان ابن رشد في الجزائر في ربيع العام القادم ، وفي مؤتمر التعريب الجامعي في بغداد ، في هذا العام .

٧ - اصبح المجمع عضوا في اتحاد المجامع العربية . وهذا يتبع له المشاركة الفعالة في اعمال الماجموع العربية ، وفي تنسيق العمل معها .

(١) كتب هذا التقرير وقد لمجلس المجمع في ٢٠ ايلول / سبتمبر ١٩٧٧ .

٨ - أَلْدُ المُجَمِّعِ سَتُ لجان دائمة للمساعدة على سرعة انجاز
أعماله وهي :

- ١ - لجنة الاموال .
- ٢ - لجنة التعریب والمصطلحات والمعاجم .
- ٣ - لجنة التراث .
- ٤ - لجنة الترجمة .
- ٥ - لجنة المطبوعات والمطبوعات .
- ٦ - لجنة المكتبة .

وبهذه اللجان يستطيع المجمع ان يطمئن الى انتظام العمل فيه ، والى انه يستطيع ان يمضي في تحقيق غايته بخطى ثابتة ، آملًا ان يجد الدعم الكافي من الدولة والمؤسسات الوطنية ، ليكون عمله مثرا وفعلا في خدمة اللغة العربية ، والنهضة الثقافية في الاردن والعالم العربي ، باذن الله .

والمجمع يعلم ان المكتبة من اهم الدعائم التي يقوم عليها عمله ، وهو لذلك مهتم كل الاهتمام بتزويد مكتبه بالموسوعات والمعاجم والمراجع العلمية التي تهيء له اسباب العمل الناجح المثمر .

ولقد كان المجمع يؤكد ان يمضي في تنفيذ بعض مشاريعه الأخرى ، سيرا اقامة موسم ثقافي للندوات والمحاضرات الفكرية ، مشاركة منه في حركة الثقافة الاردنية ، غير ان ناشر استقراره في مبني خاص به ، وتتأثر صدور انشطته ، عماه عن ذلك . وهو يرجو ان يكون العام القادم ، افضل بالنشاط المثير ، ان شاء الله .

ندوة المجمع الثقافي الأولى

الموضوع : — أسباب الضعف في اللغة العربية

عقد مجمع اللغة العربية الأردني ندوته الثقافية الأولى في مقره في جبل الحسين الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الأحد ١٨/١٢/١٩٧٧ م، الموافق ٨/١/١٣٩٨ هـ. وكان موضوع الندوة (أسباب الضعف في اللغة العربية) . وقد أدارها رئيس المجمع الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، واشترك معه فيها كلّ من عضو المجمع الاستاذ الدكتور محمود ابرهيم ، والدكتور نصرت عبد الرحمن ، من اعضاء الهيئة التدريسية في قسم اللغة العربية في كلية الآداب ، في الجامعة الأردنية . وحضر الندوة عدد من اعضاء المجمع ، ونخبة من المهتمين باللغة العربية ، والكتاب الأردنيين ، ومن العاملين في مديرية التربية في محافظة عمان .

استهلّ الدكتور عبد الكريم خليفة الندوة بالاشارة الى أن هناك مشكلة حقيقة تستدعي الاهتمام والمناقشة ، وهي مشكلة الضعف العام في اللغة العربية ؟ فعلى الرغم من انتشار التعليم في العالم العربي بشكل واسع ، لا يزال خريج الدراسة الثانوية ، في الغالب ، يعجز عن قراءة صفحة واحدة قراءة صحيحة ، وعن كتابة رسالة قصيرة دون اخطاء كثيرة : في الاملاء ، وفي التركيب ، وفي القواعد الصرفية

والنحوية . وليس خريج الجامعة باحسن حالا منه . يضاف الى ذلك ان الكثرين من المعلمين والمعلمات ، حتى ممّن يدرّسون اللغة العربية نفسها ، يعانون ضعفاً ملحوظاً فيها ، وكنالك الكثيرون من الكتاب أنفسهم ، ولا سيما من الشبان .

واشار الدكتور خليلة الى ان هذه ، في الواقع ، مشكلة خطيرة ، لأن اللغة هي مرآة الأمة ، وهي رابطة الوحدة التي تشمل الأمة في كل ارجاء وطنها الكبير ، وعلى الرغم من ان الموضوع قد استثار باهتمامٍ واسعٍ وطويل الامد من جميع الهيئات المعنية باللغة العربية ، ظلَّ الفحص كما هو ، ولم تتخذ اي خطوة عملية نحو معالجته .

وقال الدكتور خليلة ملائماً نجتمع الان مع هذه النخبة الطيبة من الاساندة والمرتدين الحريصين على كرامة اللغة العربية ، لكي نتبادل الرأي معهم في هذا الموضوع الحيوي ، لعلنا نضع ليبينا على موطن الداء ، ونتعاون معاً على ان نجد له الدواء .

ثم أعطى الكلمة للدكتور محمود ابراهيم ، ببدا بالحديث على الازدواجية في اللغة ، وقتل إن الطفل يتعمد على سماع اللهجة العامية في البيت والشارع ، وعلى التحدث بها ؛ وحين يصل الى المدرسة يجد امامه لغة اخرى جديدة عليه ، يبدأ بتعلمها على معلميه ، فيحصل منندلاً بُهُوةً واسعة بين اللغة التي اعتادها ، واللغة الجديدة التي بدأ يتعلّمها ، فكانَ هذه لغة اجنبية يُفرض عليه ان يتّعلّمها وان يترجم اليها انكاره ؛ وهذا سبب من اسباب الضعف الذي نعاني منه في اللغة العربية .

وقال الدكتور محمود إن هناك اسباباً اخرى عديدة ، لا يمكنه ان يلخص الحديث فيها دفعة واحدة ، ولكنه يقتصر الان على هذا السبب الاول — وهو الازدواجية — على ان يعود الى تناول بعض الأسباب الأخرى .

وأعطيت الكلمة بعده الى الدكتور نصرت عبد الرحمن ، ببدا بتلوكه نفس اخذه من (ادب الكاتب ابن قتيبة) يعيّب فيه على المتأثرين

ضعف لغتهم ؟ ثم تلاه ينْصَ لاحمدو امين في الموضوع نفسه ، من كتابه (فيض الخاطر) في المعنى نفسه . ثم قال إن بين هذين النصين نحو الف عام من الزمن ، ومع ذلك كانت الشكوى تتردّد في كليهما من ضعف لغة الكتاب . فالشكوى اذن قديمة جدًا ، رافقت تاريخ الأدب العربي كُلُّه ، ولا تزال تتكرّر بالنفمة عينها .

وقد انكر الدكتور نصرت أسباب هذه الشكوى ، وقال إنها غير قائمة ، لأنّه لا يزال لدينا اليوم كتاب يكتبون بلغة أفضل من لغة احمد امين نفسه ، وهذا يعني أن اللغة العربية بخير ، وأن الشكوى المتكررة ليست سوى من قبيل القلق الحرير على أن تظلّ اللغة قوية عزيزة .

غير أنّ الدكتور نصرت عاد فاعترف بوجود المشكلة ، وتحثّت على سبب من أسباب الضعف في اللغة العربية ، إذ قال إن الكتب المدرسية في البلدان الغربية توضع على أساسٍ تربوية ونفسيةٍ تُقرّف مُتدرّب الطالب في كل مرحلة من مراحل الدراسة ، فتجعل لكل مرحلة قاموساً من المفردات خاصاً بها . وأما عندنا فقد لاحظ المحدث أن كتاب القراءة للصف السادس الابتدائي ، أصعب من مفرداته وتراكيبه من كتاب الصف الثالث الإعدادي ، مما يُدلّل بوضوح على عدم وجود خطّة تعليمية ذات أساس نفسية وتربوية سليمة . فعلاً غرابة اذن في أن يشعر الطالب بشيء من الفتور والتrepid امام الصعوبة اللغوية التي تُبَرِّز لـه في كتب المدرسة .

وعقب الدكتور عبد الكريم خليفة على ذلك بـأنّ حاول تلخيص ما قاله الزميلان : الدكتور محمود ابراهيم والدكتور نصرت عبد الرحمن ؟ ثم وجّه الكلام الى الحضور ، وقال إن لديهم من الانفكار والاراء حول الموضوع ما يمكن ان يزيد الموضوع انسارة وبلورة .

واشترك في المناقشة كل من السادة : حسني فريز ، ومحمد عطيات ، والاستاذ مصطفى الزرقا ، وروكس العزيزي ، وعبد الرحمن بشناق ، والدكتور محمد بركات ابو علي . ثم طلب الدكتور محمود

ابرٌ هيم الكلمة ، معلق على راي زميله الدكتور نحرت عبد الرحمن ، فقال، إن ما يراه الزميل المحترم من ان اللغة العربية بخير ، وانه ليس في الامكان ابدع مما كان ، معناه ان المشكلة غير موجودة ، وان مناقشتها لا ضرورة لها ؛ ولكن الواقع ان ما يراه من ان هناك اليوم كتاباً يكتبون بلغة افضل من لغة احمد امين ، انا هو امر ينطبق على افراد معدودين ، وليس على المتعلمين والمتقنين مامه . وقال إن استمرار الشكوى منذ زمن ابن قتيبة ، الى زمن احمد امين ، ثم الى اليوم دليل واضح على ان هناك مشكلة حقيقة تقتضي العلاج .

ثم اشار الدكتور محمود الى ان المشكلة تكمن في اكثر من سبب واحد : هناك الكتاب المدرسي الذي لا تُراعى فيه من قبل الطالب ومقدراته الذهنية ؛ وهناك المنهاج الذي لم يوضع على أساسٍ نسبيّة وتربيوية وتعلمية سليمة ؛ وهناك المعلم الذي كثيراً ما يكون هو نفسه ضعيفاً في اللغة وقواعدها وبلغتها . وما لسم يُعَدُ المعلم إعداداً جيداً ، سيظلّ هو احد الاسباب الكبيرة في ضعف اللغة عند طلابه .

وختم الدكتور عبد الكريم خليفة المناقشة بقوله : ان هذه هي ندوتنا الاولى ، وقد حُصّلناها لمعالجة اسباب الضعف في اللسان العربية ، لأن المجمع قد قدم اساساً من اجل خدمة هذه اللغة الشريفة ، لغة القرآن الكريم ، ولغة الأمة العربية باسرها . والمجمع يُعتبر هذه اللغة امانةً مقدسة في عنقه ، يحرمن على سلامتها ، وعلى كرامتها وعلى تلاميذ اسباب الضعف فيها .

وقال الدكتور خليفة إن لغتنا ليست اكثـر صعوبة من اللغات الغربية ، فنحن لو اخذنا تصريف الانفعال باللغة العربية ، وقارناه بتصريف الانفعال في اللغة الفرنسية ، مثلاً ، اوجـدنا ان لغتنا اسهل كثيراً . وضرب على ذلك مثلاً من تصريف الفعل : (ذهـب) ومقابله بالفرنسية (ALLER) وبين كيف ينتقل الفعل بالفرنسية بين شـكـلـيـن مـخـلـفـيـن كل الاختلاف ، فيقال :

Je vais - Tu vas - Il va

Nous allons, vous allez, ils vont

هناك يُعْلَان يتصرفان معاً ، لا يُفْعَلَ واحداً ، في حين أن الفعل العربي يَظْلَمُ واحداً في كل تصريحاته .

وعَقِبَ على ذلك بقوله إن الصعوبة أدنى ليست في اللغة نفسها ، بل هي في أسباب أخرى خارجة عنها : من المنهاج ، والكتاب المدرسي ، والمعلم ؛ ومني صلحت هذه كلها استطعنا التغلب على المشكلة من أساسها .

وأضاف قائلاً إن هناك شيئاً من الصعوبة الفعلية في توازنه الصرف والنحو ، ولكن هذه الصعوبة تزول متى هرمنا كيف نتقلب مليئاً بالحكمة ، وبيان لا نُعْلَمُ الطالب منها إلا ما هو أساسـيـ، وعلى شكل دواوـنـ : تبـداـ صـفـيـةـ ، ثم تـكـبـرـ مع تـعـاقـبـ المـفـوـفـ ، وـتـمـوـفـ الطـالـبـ . وأما حين نعطي الطفل كل مسؤوليات القواعد وهو ما يزال دون سن النضج ، فنحن نضع العقبات فـسـيـ سـبـيلـ تـعـلـيمـ لـلـفـةـ ، لـمـ نـلـوـمـ عـلـىـ التـقـسـيرـ فـيـ مـهـمـاهـ .

وشكر الدكتور خليفة للشاركيـنـ في الندوةـ تـقـضـلـهـمـ بالـحـضـورـ ، وحسنـ تـعاـونـهـ بـالـشـارـكـةـ فيـ منـاقـشـةـ المشـكـلةـ ، وـوـمـدـ بـاـنـ يـمـضـيـ المـجـمـعـ فيـ نـدـوـاتـهـ لـخـدـمـةـ الـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ ، مـعـتمـداـ عـلـىـ مـشـارـكـتـهـمـ وـتـعاـونـهـمـ وـتـشـجـعـهـمـ لـلـجـمـعـ وـلـرـسـالـتـهـ الـقـدـسـةـ .

